

دار العلوم ندوة العلماء ومساهماتها في تطور اللغة العربية وآدابها:
دراسة تحليلية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية
(نسخة منقحة)

قدمها

جبيلية. بي

تحت إشراف

الدكتور/ كى جمال الدين الفاروقى

موتل، ويناد، WMO عميد كلية (سابقا)

والمشرف على البحوث في قسم اللغة العربية وآدابها

كلية فاروق (الحكم الذاتي)



جامعة كاليكوت

كيرالا، الهند

م ٢٠١٩

Darul Uloom-Nadwathul Ulama, its Contributions to the Development of Arabic Language and Literature: An Analytical Study

Thesis submitted to the University of Calicut

For the award of the degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY IN ARABIC

(REVISED COPY)

By

JUBAILIYA P

Under the supervision and guidance of

Dr. K. JAMALUDEEN

**Principal (Rtd), WMO Arts and Science College, Muttill, Wayanad
And Research Guide, Research Centre & PG Department of Arabic
Farook College (Autonomous)**



UNIVERSITY OF CALICUT

CERTIFICATE

Certified that the thesis "**Darul Uloom-Nadwathul Ulama, its Contributions to the Development of Arabic Language and Literature: An Analytical Study**" submitted to University of Calicut for the award of the degree of Doctor of Philosophy in Arabic literature, is a bona fide record of the research work carried out by JUBAILIYA P under my supervision and guidance. No part of this thesis has been submitted earlier for any other purpose.

DR. K JAMALUDEEN

Principal (Rtd), WMO Arts and Science College
Wayanad, Muttill
And Research Guide, PG & Research Department of Arabic
Farook College (Autonomous)

Date :
Place :

DECLARATION

The thesis entitled **Darul Uloom-Nadwathul Ulama, its Contributions to the Development of Arabic Language and Literature: An Analytical Study** is substantially my own work and has not been submitted for a higher degree to any other university or institution. I have indicated in this thesis the source of information used and extend to which the work of others has been utilized.

Date:

JUBAILIYA P



المحتويات

1.....	المقدمة
70 - 9.....	الباب الأول: اللغة العربية وآدابها في الهند في فترات الحكم الإسلامي
9.....	الفصل الأول: الهند في عهد الحكم الإسلامي
34.....	الفصل الثاني: العلماء البارزون في العربية وآدابها في الحكم الإسلامي
61.....	الفصل الثالث: ازدهار العلوم الإسلامية بأرض الهند في العهد الإسلامي
113 - 71.....	الباب الثاني: ندوة العلماء والتقدم اللغوي والعلمي في الهند
71.....	الفصل الأول: ظروف المسلمين في الهند في مطلع القرن التاسع عشر
78.....	الفصل الثاني: خلفية تأسيس ندوة العلماء ودار العلوم
	الفصل الثالث: الشخصيات البارزة وجهودهم في رفع شأن دار العلوم ندوة العلماء
90.....	الباب الثالث: مساهمات دار العلوم ندوة العلماء في تطور اللغة العربية وآدابها
168 - 114	الفصل الأول: الجهود المشكورة في العلوم الشرعية
114.....	الفصل الثاني: خدمات أبناء دار العلوم ندوة العلماء في التاريخ والسيرة والأدب الأطفال
142.....	الفصل الثالث: مساهمات دار العلوم ندوة العلماء في الشعر العربي
155.....	

الباب الرابع: مساهمات دار العلوم في الصحافة العربية.....169- 208

الفصل الأول: الصحافة الإسلامية في الهند قبل ظهور ندوة العلماء169

الفصل الثاني: دور علماء الندوة في إحياء الصحافة العربية الهادفة178

الفصل الثالث: أبرز الدوريات الصادرة عن ندوة العلماء190

الفصل الرابع: دراسة تحليلية عن مجلة البعث الإسلامي196

الباب الخامس: دراسة تحليلية عن أبرز المؤلفات العربية لعلماء الندوة209- 283

الفصل الأول: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة السيد عبد الحيّ

الحسني.....209

الفصل الثاني: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبي الحسن علي

الندوي218

الفصل الثالث: السيرة النبوية لأبي الحسن علي الحسني الندوي239

الفصل الرابع: شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض للدكتور سعيد

الأعظمي الندوي246

الخاتمة284

المصادر والمراجع289

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فهذه أطروحة بحثية أكاديمية على مستوى الدكتوراه في الأدب العربي تم إعدادها للتقديم إلى جامعة كاليكوت. وهي نتيجة دراسات في الأعمال الابتكارية (المختارة) عن "دار العلوم ندوة العلماء ومساهماتها في تطور اللغة العربية وآدابها" حيث تبحث الباحثة عن الواقع والأحداث التي سببت بناء هذا المعقل العلمي والثقافي وعن تأسيسه والأعلام المتخرجين منهم ودورهم في التأليف والتدريس والصحافة العربية في الهند وخارجها.

تحليل العنوان

عنوان هذا البحث (دار العلوم ندوة العلماء ومساهماتها في تطور اللغة العربية وآدابها: دراسة تحليلية)

ندوة العلماء: هي جمعية إسلامية أهلية عامة أنشئت في سنة 1311 هـ الموافق 1893م، في لكهنؤ، الهند.

ودار العلوم: اسم معهد في لكهنؤ التابعة لندوة العلماء أسست في سنة 1316 هـ الموافق 1898م،

شعارها: «الجمع بين الجديد النافع والقديم الصالح»

وكلمة تطوّر هي مصدر على وزن تفعل بمعنى تقدّم. والمفهوم بها تقدم دار العلوم ندوة العلماء في اللغة العربية منذ بدئها إلى الآن.

وكلمة آداب جمع أدب بمعنى literature في اللغة الإنكليزية وهذه الكلمة مختلفة في أصولها وتطورها ومعناها على مر العصور بمعنى الدعوة إلى اللوائم أو التهذيب والتعليم وأطلق بعضهم على التأليف عامة. والمفهوم به في البحث آثار من تأليفات الندويين الذين تخرجوا من دار العلوم ندوة العلماء.

والمراد بدراسة تحليلية في البحث هو دراسة موضوعية للمشاكل المتداولة تحليلاً مبوباً حسب تسلسل الوقائع وظروفها وتوضح عناصرها وتعرض أثرها في المجتمع أثناء بحثها.

دوافع البحث

ويرجع سبب اختيار هذا الموضوع إلى رغبة الباحثة في الاستزادة من المعلومات التي تتعلق بالأدب العربي الهندي، وإزاحة الستار عن المساهمات الجبارة التي قام بها علماء الهند لإثراء الأدب العربي بالدراسة والتدريس والتأليف، وندوة العلماء، والمؤسسات التابعة لها تحتل المقام الأول في هذا الصدد، وتاريخها هو تاريخ مسيرة اللغة العربية.

الدراسات السابقة

وقد أجريت دراسات أكاديمية حول موضوع «دار العلوم وندوة العلماء» في بعض الجامعات الهندية بمستوى الماجستير والدكتوراه من قبل الأكاديميين. كما نشرت مقالات فردية في الصحف والمجلات المختلفة العربية وغير العربية، وقد ألفت مؤلفات ومقالات عديدة في المجلات والصحف من قبل خريجي ندوة العلماء، ومعظمها في الأردنية، وأما الدراسات التي تتناول "دار العلوم ندوة العلماء ومساهماتها في تطور اللغة العربية وآدابها" لا نكاد نجد أحداً قام بها في جامعة كاليفورنيا،

فاختارت الباحثة هذا الموضوع إذ أنه يستحق الدراسة والبحوث المتواصلة بمستوى الدكتوراه.

مشكلة البحث

يرتكز البحث على اكتشاف الأجوبة والاستفسار للأسئلة التالية:

كيف كان تطور الأدب العربي في الهند في عهد الحكم الإسلامي؟
لم أسست دار العلوم ندوة العلوم؟ ومن المؤسسون؟ وما دورهم في إصلاح الأمة الإسلامية في الهند وخارجها.

ما هي ظروف المسلمين حين احتلها الإنجليز؟

ما دور أبناء الندوة في تطور اللغة العربية وآدابها؟

ما هي أهداف ندوة العلماء؟

ما دور جامعة عليكره في إيقاظ الأمة الإسلامية في الهند؟

ما هي المناهج الدراسية التي تميزت بها دار العلوم عن سائر جامعات العالم العربي؟

كيف تعالج ندوة العلماء القضية الإسلامية الهندية؟

ما هي المجالات والجرائد التي تصدر عن ندوة العلماء؟

ما الموضوعات التي عالجها الشيخ أبو الحسن علي الندوي في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين في العالم؟»

خطة البحث

جاءت الرسالة في مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة وفهارس المصادر والمراجع.

المقدمة: عرضت الباحثة فيها أهمية الموضوع ودوافع البحث ومشكلة البحث والدراسات السابقة فيها وأهداف البحث.

الباب الأول: "اللغة العربية وآدابها في الهند في فترات الحكم الإسلامي" فيه ثلاثة فصول. الفصل الأول: "الهند في عهد الحكم الإسلامي". عرضت فيه طلوع الإسلام في الهند ويختص بذكر العصور والدول الإسلامية في الهند، واحتلال الإنجليز. والفصل الثاني: "العلماء البارزون في العربية وآدابها في الحكم الإسلامي". تناولت في هذا الفصل الأعلام البارزين الذين يعرفون مختلف الفنون والآداب في هذا العصر، والفصل الثالث: "ازدهار العلوم الإسلامية بأرض الهند في العهد الإسلامي"، بحثت في هذا الفصل أهم الفنون والعلوم من الأدب الإسلامي وخاصة التفسير والأحاديث النبوية وبعض المؤلفات.

الباب الثاني عنوانه "ندوة العلماء والتقدم اللغوي والعلمي في الهند"، وفيه ثلاثة فصول، الفصل الأول: "ظروف المسلمين في الهند في مطلع القرن التاسع عشر". وصورت فيه أحوال المسلمين في ظل حكمهم وبعد انهزامهم واحتلال الإنجليز والصراع بين الشرق والغرب. والفصل الثاني: "خلفية تأسيس ندوة العلماء ودار العلوم". وذكرت فيه ظروف المسلمين حين اشتدت وطأة استعمار الإنجليز، ولذا أسست حركة ندوة العلماء بأهدافها السامية والفصل الثالث: "الشخصيات البارزة وجهودهم في رفع شأن دار العلوم ندوة العلماء". وذكرت فيه الأعلام المصلحين الذين بنوا دار العلوم ومساهماتهم وإصلاحهم للأمة الإسلامية.

الباب الثالث عنوانه "مساهمات دار العلوم ندوة العلماء في تطور اللغة العربية وآدابها". وفيه أربعة فصول. الفصل الأول: "الجهود المشكورة في العلوم الشرعية".

وبحثت فيه عن أهم العلوم والفنون في الأدب الإسلامي . والفصل الثاني: "خدمات أبناء دار العلوم ندوة العلماء في التاريخ والسيرة وأدب الأطفال". عرضت فيه خدمات الندويين الذين دبجوا الصحف بأقلامهم في السيرة النبوية وأدب الأطفال.

والفصل الثالث : "مساهمات دار العلوم ندوة العلماء في الشعر العربي". ذكرت الباحثة بعض الشعراء المجدين ومساهماتهم في الشعر العربي، وأغراض أشعارهم الرائعة.

الباب الرابع عنوانه: "مساهمات دار العلوم في الصحافة العربية"، والفصل الأول: "الصحافة العربية في الهند قبل ظهور "ندوة العلماء"، وتناولت الباحثة فيه عن الصحافة في اللغة والاصطلاح، والصحافة في العهد الإسلامي، والسر السيد أحمد خان وخدماته في الصحافة، وطلوع الصحافة العربية في الهند. والفصل الثاني: "دور علماء الندوة في إحياء الصحافة العربية الهادفة". وعرضت الباحثة فيه أعلام الصحافة في دار العلوم ندوة العلماء وخدماتهم في الصحافة العربية.

والفصل الثالث: "أبرز الدوريات الصادرة عن ندوة العلماء". تناولت فيه مجلة "الضياء" التي هي من طلائع الصحافة العربية في الهند سنة 1936 م. ثم صارت مطبوعة في التاريخ بعد أربع سنوات ومجلة "البعث الإسلامي" و"جريدة الرائد" نصف الشهرية التي تصدر عن الندوة وهي عربية إسلامية.

والفصل الرابع: دراسة تحليلية عن مجلة "البعث الإسلامي" وبحثت فيه عن مصدرها ونشأتها وأهدافها ومكانتها في الهند وخارجها.

الباب الخامس "دراسة تحليلية عن أبرز المؤلفات العربية لعلماء الندوة". وفيه أربعة فصول، والفصل الأول: "نزهة الخواطر" للعلامة السيد عبد الحي الحسني. وهذا

الكتاب القيم الذي يعد موسوعة ذات مرجعية، وعن مؤلفه وبيئته. والفصل الثاني: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" للعلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي. وهو أشهر مؤلفات الشيخ الندوي وانتشر صيته في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، ويقسم الشيخ الندوي هذا الكتاب إلى خمسة أبواب. ويؤكد فيه المؤلف أن الحل الوحيد لبعثة الأمة أن يتحوّل العالم من الحضارة الأوربية المادية إلى الحضارة الروحية الإسلامية التي يقودها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته السماوية. والفصل الثالث: "السيرة النبوية" لأبي الحسن علي الندوي الذي هو الآخر يعد موسوعة في السيرة والتاريخ.

والفصل الرابع: "شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض" للأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، يذكر فيه شعراء الرسول الثلاثة: كعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير، وملامح أشعارهم.

منهج البحث

قد اعتمدت الباحثة في دراستها المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، وهو يتوقف على تصفح المعلومات من مصادرها الأساسية والأصلية. وقد سنحت لي الفرصة لارتداد مكتبة دار العلوم والاتصال بمعاهدها ورجالاتها حيث توفرت لي المراجع والوثائق ذات القيمة العلمية والميزة المنهجية.

أهداف البحث

1. عرض مساهمة دار العلوم ندوة العلماء في التعليم الإسلامي ودورهم في إيقاظ الأمة الإسلامية.

2. دراسة حركة دار العلوم وتقييم أهدافها وعرض مناهجها.

3. عرض مسيرة دار العلوم عبر السنوات ومستواها العالم الإسلامي.

4. تميزها بشعار الجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع.

5. فتح الأبواب موسعة لدى الطلاب والباحثين للاطلاع على هذه المساهمة بحجمها الكبير وتحمسهم في السير في تكثيف هذه المساهمات العلمية في العربية ولفت أنظار الأكاديميين إليها.

الشكر والامتنان

أول الشكر وآخره أتقدم به إلى جل جلاله الذي أحاطني برعايته الإلهية العظيمة ويسرلي إنجاز هذا البحث العلمي، وأذكر في هذه المناسبة والدتي الكريمين إذ كانا ربياني منذ الصغر شغوفاً على العلوم وأتاح لي كل أسباب التعليم رغم معاناتهم كما أذكر زوجي أبو بكر الذي ساعدني وشجعني على استكمال البحث وحمل عني أعباء الأسرة تيسيراً لي، والله أدعو أن ينعم عليهم بموفور الجزاء والأستاذة الدكتورة أم الحسنات عميدة كلية أنوار الإسلام هي أيضاً تستحق الشكر والامتنان، إذ كانت تشجعني على هذه الدراسة وتصوّبني كلما أنا أخطأت والدكتور عبد القادر كويا تتغل، العميد السابق، كان أيضاً غمرني برعايته وزودني بالعلوم. وأشكر جميع زملائي الأساتذة في الكلية، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف سعادة الدكتور جمال الدين الفاروقي، الذي أشرف على دراستي هذه ودعمني بالإرشادات والتوجيهات، ودلني على أماكن المصادر المتعلقة وجزاه الله خيراً، كما أعبر عن شكري وتقديري للأستاذ د/ علي نوفل، رئيس قسم العربية بكلية فاروق الذي هو دائم الانتباه بكل ما يتعلق بالباحثين وبحثهم والذي بقيادته يحتل القسم العربي المكانة المرموقة في الأوساط التعليمية الجامعية في البلاد.

كما أخص الشكر والامتنان لأساتذة دار العلوم ندوة العلماء وإدارتها، ومنهم روح القدس الندوي الذي أهدى لي من الكتب القيمة في الموضوع وأسدى التسهيلات في مكتبة شبلي النعماني للمطالعة والمراجعة، كما امدني بتوجيهات تجاربه العلمية، والسيد محمد عثمان خان الندوي هو الآخر الذي أعانني وزودني بما أحتاج لأكمال البحث، وأشكر أيضا الأستاذ محي الدين محمد الندوي الذي ربطني بأهل دار العلوم ورتب لي وسائل السفر إليها. وأتقدم بالشكر أيضا للأخ الفاضل شفيق بن صلاح الدين الذي قام بطباعة الأطروحة، وهؤلاء وأولئك أنكرهم بوافر الشكر، والله يجزي الجميع بالأفضل الأجل.

جبيلية بي

الباب الأول: اللغة العربية وآدابها في الهند في فترات الحكم الإسلامي

الفصل الأول: الهند في عهد الحكم الإسلامي

طلوع الإسلام في الهند

إذا استعرضنا صفحات التاريخ الهندي نرى الصلات بين الهند والعرب قائمة منذ قبل الميلاد، وكانت أول واسطة بينهم التجار العرب الذين كانوا يتجرون بسفنهم، لأن بلادهم قريبة من الهند، وكلتاها تقع مطلا على البحر العربي. ولما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية وصاروا في دينهم الجديد حملوا معه لغتهم وثقافتهم إلى البلاد التي كانوا يسافرون إليها، وكان هذا الدين يدعو الناس إلى التوحيد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة، مما انجذب به أهل الهند إلى دين الإسلام، والهند آنذاك يسودها، مما صار هو الآخر سببا لترحيبهم بالإسلام بكل قلوبهم، وكان بمنزلة الربيع في قلوب الهنود.

ثم تتابع المسلمون جهودهم ونفوذهم في الهند على مر العصور. كان رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعرفون الهنود وأشياءهم، يدل على ذلك ما "يروى أن أحد ملوك الهند أرسل هدية للرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عبارة عن جرة فيها زنجبيل فأخذ الرسول يطعم أصحابه منها"¹. وكانت الأشياء الهندية مستعملة في

¹ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الدكتور أحمد شلبي

البلاد العربية. وكان العرب يعرفون خصائصها وأسماءها، مثل الكافور والزنجبيل والعود الهندي والمسك والقرنفل والفلفل والمهند وغير ذلك، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك "مليبار" يدعو إلى الإسلام ويروى أن ملك "كودونغالور" زار النبي صلى الله عليه وسلم .

كان عهد الخلفاء الراشدين حافل بالفتوحات الزاخرة واتسعت رقعة الدولة الإسلامية حتى وصلت شرقا إلى حدود الهند وانتشر الإسلام في كل بقعة فتحوها. وسعى الحكام المسلمون إلى الدعوة في أرجاء الهند، ولا سيما في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أرسل واليه على البحرين وعمان. وهو عثمان بن العاص الثقفي عام 15هـ / 636 م إلى سواحل الهند. فوجّه أخاه الحكم إلى البحرين وأمضى جيشا إلى "تانة" (Thana) الواقعة شمال مومباي (Mumbai)، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يخبره ذلك، فكتب إليه عمر: يا أخا ثقيف حملت دودا على عود ويبدو من رسالة عمر هذه أنه كان يخاف على المسلمين من الاستماتة بركوب البحر².

يقول البلاذري: "فلما ولي عثمان رضي الله عنه وولى عبد الله ابن كرز العراق كتب إليه يأمره أن يوجّه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره". فوجّه حكيم بن جبلة العبدى، فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد، فقال:

² تاريخ الإسلام في الهند - لعبد المنعم النمر، ص 103

يا أمير المؤمنين قد عرفتھا قال: فصفھا لي قال: "ماؤها وشل وثمرھا دقل ولسھا بطل، وإن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا، فقال له عثمان: أخابر أو ساجع؟ قال: بل خابر فلم يغزھا أحد...³

فلما كان آخر سنة 38ھ / 658 م وأول سنة 39ھ / 659 م في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توجه إلى ذلك الثغر "الحارث بن مرة البعدي" مطوعا بإذن علي فظفر وأصاب مغنما وسبيا ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية سنة 44ھ / 664 م.

وفي زمن عبد الملك بن مروان كان عامله الحجاج بن يوسف الثقفي. وفي سنة 95ھ / 713 م، بدأت الحملة القوية المنظمة حتى فتحها واختط للمسلمين بها وبنى لهم مسجدا، فكان أول مسجد بهذه المنطقة وضمها إلى الرقعة الإسلامية. يقول عبد الله المنعم النمر في كتابه تاريخ الإسلام في الهند ما نصه قد وجه الحجاج أولا بعض قواده إليها، ولكنه فشل في مهنته فرأى أن يوجه حملة أخرى جعل على رأسها ابن أخيه الشاب الشجاع محمد بن قاسم الثقفي، وذلك سنة 711 م / سنة 92ھ وكان لم يتجاوز العشرين آنذاك، ولكنه عرف بالصلابة والشجاعة. وتتابع محمد بن قاسم سيره حتى تخضع له البلاد صلحا أو عنوة ثم اقتتلوا ملك "داهر" وجيشه حتى قتل داهر حتى خلا

³ المصدر السابق

الجو للمسلمين في هذه البلاد التي كان يملكها "داهر" واستمر القائد من نصر إلى نصر ومن فتح إلى فتح وأراد أن يضم إلى المملكة الإسلامية مملكة الهند الشمالية بعاصمتها "قنوج"، ف جاء إليه خبر الوفاة الخليفة "الوليد بن عبد الملك" ثم جاء "سليمان بن عبد الملك" وفي أيامه عزل الحجاج وأمر بعزل محمد بن قاسم أيضا وحبسه في سجن "واسط" حتى وافاه المنية"⁴.

ولما انتقل الحكم إلى الدولة العثمانية واستقر لهم الأمر في الهند، فتحوا كشمير (Kashmir) وملتان (Multan)، ومع سقوط بغداد وضعف الحكم الإسلامي في الشرق توقفت الفتوحات الإسلامية تماما حتى طرق بابها طارق قوي هو الفاتح المسلم السلطان محمود الغزنوي.

الدول الإسلامية في الهند

الدولة الغزنوية

اتسعت رقعة الدولة العباسية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، ولذا صارت عاصمة الدولة "بغداد" بعيدة عن أطراف الدولة ومع ذلك كان الخليفة ضعيفا يخضع لقواده من

⁴ فتوح البلدان، البلاذري، ص 208.

الأتراك، فصارت الخلافة في أيديهم حتى قيل "أن الخلفاء صاروا ألعوبة في أيدي الأتراك" الذين حاولوا نقل الحكم إلى العنصر التركي.

وفي أثناء ذلك قام إسحاق بن البكتكين بولايته على أفغانستان وعاصمتها غزنة، من قبل السامانيين التابعة للخلافة العباسية. ولما توفي إسحاق اجتمع القواد والأمراء واختاروا "سبكتكين"، وكان من غلمان إسحاق بن البكتكين المشهور بالعقل والعفة وجودة الرأي والصرامة حتى قامت الدولة الغزنوية عام 366 هـ / 977 م.

ولما ثبتت دعائم ملكه في "غزنة" يرى أن يرسل الجيوش إلى أطراف الهند الغربية وهزم "جيبال" ملك الهند وصار ابنه محمود ساعده الأيمن في كل حملاته إلى الهند. ثم توفي أبوه سبكتكين سنة 387 هـ / 997 م بعد أن حكم عشرين سنة. وكان محمود غائبا عن العاصمة آنذاك، ولذا عهد أبوه ملكه إلى أخيه إسماعيل ودارت بينهما منازعة حتى غلب على أخيه وبرز الأسد في الحكم.

محمود الغزنوي 387-421 هـ / 997-1030 م

برز الأسد محمود الغزنوي الذي اشتهر بشجاعته وأعماله الإصلاحية في تاريخ الهند، ويعتبر أنه مؤسس الدولة الإسلامية في الهند التي ازدهرت وقويت من بعده على يد الحكام من أسرته نحو ثمانية قرون ونصف قرن حتى سقطت الدولة على براثين الإنجليز سنة 1273 هـ / 1857 م.

ولد محمود الغزنوي سنة 357 هـ / 968 م فشب وترعرع في كفالة أبيه وكان يشارك معه في الحروب حتى اشتهر أمره وسُمي سيف الدولة، ثم اتجه إلى من حوله من الأمراء وانتصر على الدولة السامانية فأقره الخليفة العباسي أميراً على "غزنة" فلقبه "بأمين الملة" وسمي أيضاً بعد انتصاراته في الهند "يمين الدولة".

دخل محمود الغزنوي الهند سبع عشرة مرة للقتال، حارب أولاً أمراء المسلمين حتى استمرت حروبه في الهند خمسة وعشرين عاماً. ومن فتوحات العظيمة: فتحه على الملك "جيبال" (Jeepal) والملك "أنديال" (Andayal) وقلعة "ناكركوت" (Nagarkoot) و"التهانسير" (Tahanseer) وفتح "كجرات" (Gujarath) وغيرها.

وغزا محمود غزواته وفتوحاته مستمراً في الهند منذ سنة 392 هـ - إلى 416 هـ / 1001 م - 1025م. وكان معه من المحاربين نحو خمسة عشر ألفاً، بينما كان مع "جيبال" نحو 12 ألفاً فارس و30 ألفاً من المشاة و300 فيل. ورغم كثرة عددهم تغلب عليهم محمود وأسر "جيبال" وأسرته وغنم كثيراً، ومنها قلادة ثمينة كانت في عنق "جيبال" تقول عنها ابن الأثير: "أنها كانت من الجواهر العديم النظير وقدرت بمائتي ألف دينار وأصيب أمثالها من أعناق الأسرى".⁵

⁵ كما نقل عبد المنعم النمر في كتابه "تاريخ الإسلام في الهند" ص 115. واسم هذا المؤرخ الهندي، الحكيم محمد قاسم البيجاپوري واشتهر تاريخه باسم "فرشته" في أربعة أجزاء كتبها بالفارسية وترجمت إلى الأوردية، ويمتاز بالاسهاب في ذكر الجزئيات عن تاريخ الهند.

يقول ابن الأثير: "فلما فرغ محمود من غزواته أحب أن يطلق "جيبال" ليراه الهنود في شعار الذل فأطلقه بمال قرره عليه فأدى المال. ومن عادة الهنود أن وقع أحدهم أسيرا في أيدي المسلمين لم تتعد له بعدها رياسة، فلما رأى "جيبال" حاله حلق رأسه، وألقى بنفسه النار".⁶

ثم غزا محمود أطراف الهند مثل "بشاور" و"بهندا" و"بهاطيه". وكان واليها "راجاجي راؤ"، وكانت مدينة محصنة يحيط بها خندق عميق. وكان واليها معتزا بكثرة جنوده وأفياله، فلم يبال بمحمود ونوابه ثم التقى الجمعان حتى انتصر محمود وفرّ الوالى وجماعة معه إلى صحراء السند فتبعه المسلمون، حتى حين وجد نفسه سيقع في أيديهم انتحر وقطع المسلمون رأسه وأرسلوا به إلى محمود كما قتلوا كل من كان معه وهكذا تم النصر لمحمود ورجع إلى غزنة بعد أن خلف نائبه في الهند.

ثم غزا محمود أنتدبال سنة 399 هـ / 1008 م ولما سمع أنتدبال بخروجه أراد أن يستغيث عليه بملوك الهند فاستجاب له ملوك من "أجين" و"كواليار" و"كالنكر" و"قنوج" و"أجمير" و"دهلي" وعسكر الجمعان في صحراء بشاور، وكانت جيوش الهندوس جمعا كثيفا تتزايد يوما فيوما، وقد ابتلى المسلمون في هذه الحروب ابتلاء

⁶ المصدر السابق.

شديداً. وكان النصر حليفهم، إذ كانت جيوش فيل الملك رجعت القهقري بما أصابها الذعر، حتى قتل منهم ثمانية آلاف منهم وغنموا غنائم كثيرة.

ثم استولى محمود على قلعة "نكركوت" وكان الهندوس جعلوها مركزاً لصنمهم الأعظم وقناطيرهم المقنطرة وذكر "فرشته" في تاريخه ما يلي: " 700 ألف دينار من الأواني والحليّ وسبعمئة من الذهب والفضة الجيدة وعشرين من اليواقيت والأحجار الثمينة استولى عليها كلها ورجع بها إلى غزنة حتى إذا وصل إليها بسط كل الغنائم أمام الناس الذين أخذوا يفدون من كل مكان ليروا هذه الغنائم العجيبة والخيرات الوفيدة الثمينة وبقي هذا المعرض هكذا ثلاثة أيام وقد اجتمع عنده رسل الملوك. وأخذ يقسم هذه الأموال على الفقراء والمساكين وغيرهم ممن أراد أن يؤلف قلوبهم".⁷

لما أراد محمود أن يخرب "تهانسير" الذي اتخذته الهندوس صنماً ليقدموا له الذبائح، تعرض له أحد الملوك الهندوس الذي كان على صلح ومودة مع محمود وقال إنني أعرف عن هدم المعابد الهندوسية شيء تتقربون به إلى الله وقد حصلت على هذا التقرب مما هدمتم من معابد، لا سيما في قلعة نكركوت، ونحن ندفع لكم ما تريدون من مال وجواهر وأرسل لكم زيادة على ذلك خمسين فيلاً كل عام على أن تتركوا لنا المعابد ولا تهدموها.

⁷ تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص 119.

فأجابه محمود قائلاً: إننا نحن المسلمين نعمل أولاً على نشر شعائر الإسلام وهدم معابد الأصنام. ونعتقد أننا سنجد على ذلك أضعاف مضاعفة من الأجر عند الله ولا حاجة لنا إلى المال. وهكذا محمود قام بمهامه في نشر الثقافة الإسلامية.

يعتبر فتح كجرات حدثاً كبيراً في سلسلة فتوحات محمود الغزنوي، والمقصد الأول معبد سومنات الشهير في الهند على شاطئ البحر العربي حيث الصنم المعروف بسومنات. وكان من معظم الهنود يفدون إليه ليلة الخسوف، وذلك إيماناً منهم أن الأرواح إذا فارقت أجسادها اجتمعت عنده لينشئها من جديد في جسم آخر على حسب ما كانت عليه من خير وشر. وذلك من منطلق عقيدتهم في التناسخ. وفيه يقول جوستاف لوبون: أما سومنات الصنم نفسه فكان من حجر طوله خمسة أذرع ثلاثة مدورة ظاهرة واثنان في البناء وكان في حجره مظلمة تضيئها فناديل الجواهر الفائق لما كان عنده سلسلة ذهبية وزنها مئتا من وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية والفضة وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجواهر كل واحدة منسوبة إلى عظيم.

قد وصل محمود إلى كجرات بعد أن تجاوز الصعوبات والأخطار في الطريق. وإن أهل سومنات يعتقدون أنه ينجيهم من كل آفة، مما جعلهم ينتظرون عاقبة المسلمين على يد سومنات وكانوا يقولون: تعالوا يا معشر المسلمين لقد دعاكم سومنات ليهلكم ويأخذ بثأر الأصنام التي كسرتموها ثم صارت بينهم الحروب دموية حارة حتى انهزم

الهنود فهلكوا جماعة بعد جماعة وقد قدر ابن الأثير قيمة غنمه محمود من هذا المعبد
بعشرين ألف ألف دينار.

استطاع محمود أن يحطم سومنات ويكشف لهم أكاذيبهم ويهديهم إلى رشدهم
ويحطم صنم سومنات، فرجعوا عن عبادة الأصنام ودخلوا في دين الإسلام أفواجا.
فصار محمود محمودا مع جهاده وحروبه وانتشار الإسلام في آفاق الهند، لقد أسس
بجهوده وجهاده دولة إسلامية عظيمة في الهند ظلت أكثر عن ثمانية قرون قوية
مزدهرة، وقد توفي سنة 421 هـ / 1030 م بعد أن أوصى بالملك لابنه الصغير محمد.
ودفنه بغزنة في مكان يحيط به مسجد عظيم. وقد جمع بين المملكتين: السيف والقلم،
مما جعله واحدا من عباقرة الملوك في العالم. وإليه يشير ابن الأثير: عنه كان يمين
الدولة عاقلا دينيا عنده علم ومعرفة صنف له كثير من الكتب في فنون العلم وقصده
العلماء من أقطار البلاد. وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن إليهم وكان
عادلا كثير الإحسان إلى رعيته والرفق بهم كثير الغزوات ملازما للجهاد، وقد ذكرنا
منها ما وصل إلينا على بعد الدهر ويقول المؤرخ "فرشته" اتفق المؤرخون على أن
السلطان محمودا كان جامعا للمحاسن الدينية والدنيوية كما عرف بسايسيته وشجاعته

وعدله وكان أكثر غزواته لإشاعة الإسلام وإقامة العدل واستتصال الظلم وكان من

أشجع الملوك يمشى إلى الحروب كالسيل لا يبالي بالخطر بل يركبه.⁸

يعترف المؤرخون الإفرنج أن محمود الغزنوي لم يكن فاتحا غازيا عالي المكانة من الجهة العسكرية فقط. بل 'إنه كان سلطانا عاقلا أدبيا كيسا جامعا بين دولتي السيف والقلم، وقد ضم بلاطه الفارابي والفردوسي والبيروني، وقد كان السلطان محمود هو الذي اقترح على الفردوسي نظم الشاهنامه. ووعدته أن يكافئه على كل بيت قطعة من الذهب، إلا أن ذلك أثار عليه غضب حساده فوشوا به إلى السلطان فبدل الفضة بالذهب، فغضب الفردوسي وفر وهجاه هجوا مرا، وندم السلطان وأمر أن يرجعه إليه، ولكن الفردوسي كان قد مات. كما نبغ في أيامه بديع الزمان الهمداني وأبو بكر الخوارزمي، وكان الهمداني عامله على هراة.

يقول عبد الحي الحسني في كتابه نزهة الخواطر: كان السلطان من أعيان الفقهاء، له مؤلفات مثل التفريد في الفروع، وهو مشهور في بلاد غزنة بكونه في غاية الجودة وكثرة المسائل، وفيه نحو ستين ألف مسألة، ولا ندري متى تفرغ مثل هذا التأليف ولكن لا عجب فقد كان صاحب السيف والقلم.⁹

⁸ تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص 128|9 139.

⁹ نزهة الخواطر، عبد الحي الحسني، ج 1، ص 90.

ثم جاء بعده ولده مسعود الذي أخذ الملك من أخيه محمد فتابع سياسة أبيه في الفتح والتوسع، وكان شجاعا كريما محبا للعلماء ومعطاء عليهم، وجرى التصنيف في أيامه أيضا، مثل قانون المسعودي في الرياضة للبيروني، وكتاب المسعودي في الفقه الحنفي للقاضي ابن محمد الناصحي. وقتل مسعود على يد أخيه في سنة 432 هـ / 1040 م وجاء بعده ابنه مودود، ثم توالى الملوك الغزنويون على عرش غزنة والهند، إلا أن تناحرهم وتنازعهم فيها بينهم أضعفهم حتى سقطت عاصمتهم "غزنة" سنة 547 هـ / 1152 م في عهد آخر ملوكها "بهرام شاه".

الدولة الغورية

الغوريون من أفغان وفي جبال غور، قامت الدولة على يد الحسين بن الحسن الملقب بعلاء الدين، وأسس ملكه في منطقة جبال "غورستان" ثم زحف بجيشه إلى "غزنة" في عهد بهرام شاه بن مسعود محمد الغزنوي فاستولى عليها، ثم استرد الغزنويون ملكهم، وخلفه غياث الدين واستطاع هو وأتباعه الاستعلاء على غزنة ثانيا.

شهاب الدين الغوري

زحف شهاب الدين الغوري إلى لاهور (Lahore) عاصمة غزنة في عهد "الملك خسرو" سنة 582 هـ / 1186 م. وكان له دور فعال في حكم الهند مثل ما كان لمحمود الغزنوي، وكان بعض ملوك الهندوس وعلى رأسهم راجبتهورا (Rajputhra)

تجمعوا على شهاب الدين وجهزوا جيوشهم لمقابلته والتقى الفئتان سنة 587 هـ / 1191 م على نهر "سرسطي" (Saraswati)، فانهزم المسلمون أمام الهندوس وسقط شهاب الدين جريحا حتى ظن أنه قتل، وقد تأثر بالانهزام كثيرا، وأقسم ألا يقرب النساء ولا يغير ملابسه حتى ينتصر وينتقم.

وفي سنة 588 هـ / 1192 م جهز جيشا كثيفا وسار به إلى الهند والتقى الجيشان في نفس الموقع على نهر سرسستي، وانتهى ذلك في هزيمة الهندوس وأسر الملك وقتله. وقال ابن الأثير: "وقد كان شهاب الدين شجاعا مقداما كثير الغزو، عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم، حاكم بينهم بما يوجبه الشرع المطهر، وكان العلماء يحضرون عنده فيتكلمون في المسائل الفقهية وغيرها. وكان فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير يعظ في داره. فحضر يوما ووعظ وقال في آخر كلامه: "يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبس الرازي وأن مردنا إلى الله. فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثرة بكائه".¹⁰ ورغم بسالة شهاب الدين وقيادته الرشيدة إلا أنه لم يكن له أحد من أسرته يخلفه في الحكم. وقد قتل عام 602 هـ / 1206 م، وجده أصحابه قتيلا في مصلاه، وحملوه إلى غزنة ودفن بها.

دولة المماليك

¹⁰ تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص 140.

أسدل الستار لحكم الغوريين عام 602 هـ / 1205 م وبعد شهاب الدين كثرت الخلافات في الأسرة وبدأوا يضعفون. وفي هذه الفرصة قام قطب الدين وكان مملوكا للسلطان شهاب الدين الغوري مستقلا. وقد أقطع له شهاب الدين بعض البلاد في ناحية دهلي، مما أتيح له أن يبني دولة مستقلة من الممالك في دهلي، وقيل إن إمارة الممالك في الهند كإمارتهم في مصر، أصلهم أرقاء من أجناس مختلفة امتزجوا بالجيش وتفوقوا بالبسالة والإقدام وحسن التدبير، حتى استطاع البعض منهم الرقي إلى الإمارة والسلطة، كما أنهم في الهند ومصر أقاموا آثارا ثقافية رائعة.

قطب الدين أبيك

السلطان شهاب الدين الغوري هو الذي عنى بتربية قطب الدين وتعليمه، وقد خدم في جنده وأكسبه ذلك المهارة الإدارية وقدرة التصرف، مما تيسر له القيام بمهام الحكم في الهند، وجلس في العرش منذ عام 603 هـ / 1206 م، ولم يحكم إلا أربع سنوات، وقد توفي عام 607 هـ / 1210 م، إلا أنه أبدى قدرته وكفاءته في خلال ذلك، وكان كثير العطاء والجود حتى سمي "لك بخش" يعني الذي يعطى مائة ألف.

كان مدينة دهلي في عهد قطب الدين أكبر مراكز العلوم الإسلامية، وفد العلماء إليها يأتون معهم من العلوم الفارسية والعربية. ومن أبرز العلماء آنذاك الشيخ الحسن بن محمد الحسن الصغاني اللاهوري، المحدث الفقيه اللغوي الشهير صاحب الكتاب

الجليل "العباب الزاخر واللباب الفاخر". كما يمكن الإضافة إلى مناقبه تلك الآثار الحية في دلهي المتمثلة في الإصلاحات وبناء المساجد. وقد بنى مسجد الكبير وقطب مینار ومسجدا آخر معروفا باسمه في أجمیر.

شمس الدين إلتمش

كان شمس الدين إلتمش ملكا عادلا ومملوكا لقطب الدين، وصله إليه في صغر سنه ورباه في مهد السلطة حتى صار أميرا على الجند وزوجه السلطان ابنته. يقول ابن بطوطة: "لما مات قطب الدين استبد بالملك وأخذ الناس بالبيعة، فأتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة وجيه الدين الكاساني، وقعد القاضي إلى جانبه كالعادة، وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه فيه، فرفع طرق البساط الذي هو قاعد عليه. وأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعا سنة 607 هـ / 1211 م".¹¹

وقد استمر في حروبه عقب توليته. وقد غزا جنكزخان ببنجاب الغربية. وتوفي سنة 633 هـ / 1235 م بعد أن أوصى بالملك لابنته "رضية" فكان سببا لقيام خلافات مع إختوتها وكبار رجال الدولة حتى انتهت ذلك في قتلها، وكان إلتمش ملكا فاضلا ومنصفا عادلا. يقول ابن بطوطة: أنه كان يحرص على رد المظالم وانصاف

¹¹ مهذب الرحلة، ابن بطوطة، ج 2، ص 31.

المظلومين وأمر كل مظلوم أن يلبس ثوبا مصوغا، وأهل الهند جميعا يلبسون البياض، فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحدا عليه مصوغ نظر في قضية وانصفه ممن ظلمه.

بعد السلطان إلتمش تولت الحكم ابنته "رضية" التي حكمت أربع سنوات، فكانت تركب كما يركب الرجال ولا تستر وجهها، ثم حاولت أن تسترد الملك ولكنها هزمت وقتلت، وخلا الجو لناصر الدين بن إلتمش الذي نرى عنه في نزهة الخواطر: "نموذج الخلفاء الراشدين، ونادى برفع المظالم وأظهر العدل والكرم، وكان ورعا متعبدا ذا حكم وأناة ورأفة، وراغبا في الخيرات مع الزهد والتقشف وكانت له عناية عظيمة بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة، ومن أخباره أنه كان يكتب القرآن نسختين منه كل سنة فيبيعهها. وأن زوجته سألته أن يعطيها جارية تكفي مؤنتها في طبخ الطعام وغيره من أمور البيت فأبى".¹²

وتوفي ناصر الدين سنة 664 هـ / 1266 م، وبوفاته انتقل الملك من أسرته إلى أسرة غياث الدين بلبن.

غياث الدين بلبن

¹² نزهة الخواطر ، عبد الحي الحسني، ج 1، ص 228.

كان غياث الدين من الأتراك من تركستان، وصل إلى الهند فاشتره السلطان إلتمش، فأخذ يترقى ويتدرج في المناصب لما أبداه من الكفاءة والمقدرة ثم زوجه السلطان ابنته، وبقي وزيراً لناصر الدين محمود بن إلتمش نحو عشرين سنة، وكان له الفضل الكبير في إدارة الحكم وقمع الغارات والثورات. ولما مات إلتمش صار حاكماً على الدولة سنة 664 هـ / 1266 م ونظم الدفاع عن الحدود ضد غارات المغول وعين ابنه بغراخان حاكماً على البنغال، ولكن وليّ عهده "محمد خان" قتل سنة 684 هـ / 1285 م أثناء دفاعه عن ملتان ضد غارات المغول فحزن عليه حزناً شديداً حتى توفي. وبعد وفاته أوصى بالحكم إلى حفيده كى خسرو، ثم أتى بعده ابنه كيقباد بن بغراخان بن بلبن وبعد قتله انتقل الملك إلى أسرة أفغانية هي أسرة الخلج.

الدولة الخلجية

تولى جلال الدين فيروز شاه الملك ("كيقباد" ابن غياث الدين بلبن)، ولكنه قتله ابن أخيه علاء الدين الخلجي سنة 695 هـ / 1295 م، وتولى هو الإمارة سنة 696 هـ / 1296 م، كان علاء الدين شهماً شجاعاً جريئاً، هذا العهد رغم قصره عصر ذهبي في الاقتصاد والأدب. كثرت التأليفات في العربية كما ازدان عصر علاء الدين بأمثال الشيخ نظام الدين أولياء أحد كبار العلماء الذي اشتهرت خطابته العربية في الهند، والشاعر الكبير أمير خسرو شاعر القصر، كان خلفاء علاء الدين في المنازعات

والمناوشات في داخل أسرته مما قضى على دولتهم وحكمهم سنة 721 هـ / 1321 م، وانتقلت سلطنة دهلي إلى أسرة تغلق.

دولة تغلق 721 - 725 هـ / 1321 - 1325 م

غياث الدين تغلق شاه 721 - 725 هـ / 1321 - 1325 م

كان تغلق من الأتراك استولوا على عرش الملك بعد هزيمة الخلع سنة 721 هـ / 1321 م حتى 875 هـ / 1470 م، وكان مؤسس هذه الدولة غياث الدين تغلق، قيل إنه قاتل التتار تسعا وعشرين مرة فهزمهم، ولذا سمي الملك الغازي. استمر في ملكه أربعة أعوام مع العدل والفضل والكرم وتوفي سنة 725 هـ / 1325 م. ثم أتى بعده محمد تغلق، وكان كلاهما يحبان رجال العلم وقد بذلا جهدا كبيرا لنشر العلوم الإسلامية، أما فيروز تغلق فكان عالما صاحب مؤلفات. كما تميز هذا العصر بوجود العلماء الكبار مثل الشيخ أبي بكر إسحاق بن تاج الدين الملتاني صاحب خلاصة جواهر القرآن "وخلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام، وبحار الزخيرة" حسام الدين الدهلوي، وشرح الهداية للقاضي حميد الدين الدهلوي. وانتهى خلافة تغلق بخلافة محمود بن محمد بن فيروز. وجاء بعده تيمور سنة 801 هـ / 1398 م، وخلفه "خضر خان" (حكم السادات) نحو سبعة وثلاثين عاما منذ سنة 817 هـ / 1414 م إلى 855

هـ / 1451 م. وانتهى ملك السادات واستولى على دهلي "بهلول لودي" من الأسرة الأفغانية.

كان بهلول لودي حاكماً على لاهور في عهد شاه عالم (حكم السادات)، ولما رأى ضعف العاصمة وكثرة الفتنة والأحداث زحف إلى دهلي واستولى عليها سنة 855 هـ / 1451 م. وتوفي بهلول لودي سنة 894 هـ / 1489 م. وأتى بعده ابنه "اسكندر شاه اللودي" الذي توفي سنة 923 هـ / 1517 م وخلفه ابنه إبراهيم اللودي، فلم يحسن تدبير ملكه فقامت ثورات في كل مكان كما قامت بينه وبين إخوانه، مما جعل حاكم لاهور "دولة خان اللودي" يزحف إلى دهلي واستولى عليها، وهزمه إبراهيم اللودي، واضطر "دولة خان" للفرار من دهلي والاستجداء بالحاكم التيموري بابر الذي كان حاكماً على كابول فانتهاز بابر هذه الفرصة، فتم له النصر على إبراهيم اللودي الذي قتل في معركة "باني بت" سنة 938 هـ / 1526 م. واستولى على عرش دهلي، وهناك بدأت دولة إسلامية جديدة هي دولة المغول.

دولة المغول 932 - 1273 هـ / 1526 - 1857م

تأسست الدولة المغولية في الهند على يد ظهير الدين محمد الذي كان يلقب ببابر بعد ما هزم السلطان إبراهيم اللودي في معركة باني بت سنة 932 هـ / 1526 م، وهي أعظم إمبراطورية إسلامية شهدت الهند وانتهى بأخر ملوكه بهادرشاه الذي نفاه

الإنجليز إلى رنغون. وقد حكم بابر خمس سنوات، ورغم قصر حكمه إلا أنه حافل بالفتوحات، ومن جهة أخرى كان شير شاه السوري الأفغاني واسمه الحقيقي فريد خالد جاء إلى الهند وحكم حتى عام 952 هـ / 1545 م ولو مد الله في أجله لحفلت صفحات تاريخه بصورة أكثر روعة.

ولكن خلفاء شير شاه السوري استمر في النزاع وسفك الدماء، وفي هذه الفرصة طمع همايون أن يسترد ملكه وقاتل أولاً إخوته ثم قاتل إسكندر شاه السوري، وأعاد التاريخ ذكرى موقعة أبيه "بابر" مع إبراهيم اللودي ثم سار إلى دهلي وآكره، وانتزع الحكومة من السوريين سنة 962 هـ / 1555 م. وأسست الدولة المغولية لمرتها الثانية، ولذا يعده المؤسس الثاني للدولة المغولية وفي خلال ذلك وافته المنية سنة 963 هـ / 1556 م. والأجدر بالذكر من بين ملوكهم أربعة: جلال الدين محمد أكبر وسليم نور الدين جهانكير وشهاب الدين خرم شاه جهان ومحي الدين أورنكزيب الذين يرجع إليهم الفضل في الترقى الثقافي والحضاري والمعماري في الهند، كما أن لهم قدم سبق في المجالات الأدبية والإبداعية.

جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري تولى عرشه بعد أبيه همايون سنة 963 إلى 1014 هـ / 1556 إلى 1605 م، هو الثالث من بين الملوك المغول. وعهده بداية عهد جديد في سياسة الهند، وقد أقام الاتحاد الديني والعدل بين الناس، واستمر في الجهاد والسعي لتوطيد الدولة واتساعها، مما أنشأ لأجله دينا جديدا

وسماه الدين الإلهي، وأعلن أن الدعوة الإسلامية مضى زمنها بمرور ألف سنة، وبدل كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إلى "لا إله إلا الله أكبر خليفة الله" وقسم الصلاة والقربات وأحكام السلطة لأمرء راجبوت وعيّنهم في المناصب العالية، ونهى عن ذبح البقرة ونفذ بعض الطقوس الهندوسية مثل وضع نقطة من الطين الملون في وسط الجبين، والزواج من نساء راجبوت وتزوج بنت "راجا" جيبور بيهارمال سنة 932 هـ / 1526 م، فولد له ابنه سليم الملقب بجهانكير وزوج ابنه سليم "بمان بائي" بنت راجا بهكوان داس. ولذلك اشتدت علاقته الودية بهم. يقول جوستاف لوبون ويعد عهده الذي دام خمسين سنة من أنصر العهود الجديدة. وقد توفي أكبر سنة 1014 هـ / 1605 م بعد ما ملأ صفحات تاريخ الهند بمآثر ومفاخر وقدوة في السياسة والحكم.

جهانكير 1014 - 1037 هـ / 1605 - 1627 م

تولى العرش بعد أكبر ابنه سليم ولقبه نور الدين محمد جهانكير، ومعنى جهانكير آخذ الدنيا أو مالکها، وهو الرابع في دولة المغول، ولد سنة 977 هـ / 1569 م. وأمه بيهارمال وهي هندوكية، ولكنها قامت بتربيته تربية إسلامية مما تأثر به في العقيدة والثقافة، كان يحترم العلماء ويكرمهم وتحترم الدين وتعاليمه، وأبطل ما كان ينفذه أبوه خلافاً للشريعة الإسلامية. وبقي في حكمه حتى عام 1036 هـ / 1627 م، وشاركته زوجته في شؤون الحكم حتى إنه كان يصدر الأوامر بتوقيعها وضربت النقود باسمها.

شاه جهان 1037-1067 هـ

كان خرم قائدا ومظفرا، تولى ملكه بعد أبيه جهانكير ولقب شاه جهان أي ملك الدنيا وهو لقب أعطاه أبوه بعد انتصاراته في الحروب. وهو الخامس في ملوك المغول، أخذ زمام الحكومة بعد أن تمكن من الانتصار على أخيه شهريار. وكان عصره عصر العمران والتقدم الحضاري والفني، يدل على ذلك القلعة الحمراء والمسجد الجامع في دلهي، وتاج محل بآكرا الذي يعتبر أحد العجائب العالمية، هو الذي خلد ذكره.

وكان شاه جهان محافظا على أحكام الشريعة وتعاليم الإسلام وآدابه، وقد عين القضاة والمعلمين ليعلموا الناس أحكام الشريعة، وأجرى الأرزاق على المعلمين والمتعلمين ونهى السجدة أمام السلطان تحية له تلك العادة التي وضعها أكبر شاه. ولكن في آخر أيامه حُبس في القلعة بيد ابنه أورنكزيب وقضى في الحبس ثمانى سنوات وحتى توفي 1076 هـ / 1665 م.

أورنكزيب - عالمكير 1067-1118 هـ / 1657 - 1706 م

هو أبو المظفر محي الدين محمد أورنكزيب السادس من بين الحكام المغول. وهو فردان باسمه وشخصيته. أورنك معناه مالك زمام الملك وزيب معناه زينة الملك، تولى ملكه سنة 1067 هـ / 1657 م بعد أن حبس والده المتهم بتهاونه في أمر الدولة.

حكم عالمكير 50 سنة وقام بتنفيذ الأحكام الشرعية وإحياء السنة في البلاد ذات الديانات المختلفة. ونشر العلوم والفنون، قائماً بالفتوحات العظيمة حتى تم توحيد أنحاء الهند مما لم يسبق له مثيل. وكان شبيها بالخلفاء الراشدين في موافقه وسياسته. أما التعليم فقد ازدهر في عهده كثيراً، ويشير الدكتور عبد المنعم النمر رحمه الله في كتابه "تاريخ الإسلام في الهند": أما التعليم فقد ازدهر في عهده أيما ازدهار، ولم يكن ذلك عجباً فقد كان هو محباً للعلم والعلماء والأرزاق على العلماء والطلاب ليتفرغوا لدراساتهم، وأنشأ المساجد الكثيرة ورتب الأرزاق للقائمين بها كما أصلح الشوارع والطرق، وأكثر من إنشاء الرباطات والحمامات والاستراحات لأبناء السبيل، كذلك أنشأ دوراً للعجزة والمستشفيات في أكثر البلاد، وكانت عنايته بالثقافة والآداب والتعليم الإسلامية وسيرته الدينية وزهده وتقواه وتصوفه مما بعثت الحمية الإسلامية في النفوس، وأحيا فيها ما كاد يندرس على يد أكبر من قبل، وجمع الفتاوى المشهورة باسم الفتاوى الهندية أو العالمكيرية لها قيمة ثمينة بين العلماء في العالم الإسلامي".¹³

توفي سنة 1118 هـ / 1707 م بعد أن حكم 50 سنة وعمره نحو تسعون. وبوفاته بدأ سقوط الامبراطورية المغولية حتى تم ذلك سنة 1274 هـ / 1857 م. فقد جاء بعده خلفاء ضعفاء لم يكونوا مثله في الشجاعة والحزم والتدبير. فأخذت الدولة

¹³ تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص 366.

الإسلامية تتهاوى وتتلاشى. وكاد يستقل هنا وهناك أمير يحكم ولايته، مما أتيح الفرصة لبعض الأمراء الهندوس والسيخ والراجابوت والمراهتا ليجمعوا الجيوش ويشنوا حروباً عليهم ويقطعوها قطعة قطعة من الولايات حتى ضعف الحكام وتقلص نفوذهم وفقدوا دولتهم.

خلال هذه الفترة احتل الإنجليز بنكال وبهار وعززوا قواهم وسيطروا على دهلي. ذلك بعد القضاء على الملك المغولي سراج الدين بهادرشاه الذي وقف في وجه الإنجليز مع جنوده المسلمين، إلا أنهم هزموه ونفوه إلى رنكون، وخلا لهم الجو لإقامة الإمبراطورية البريطانية في الهند. وانقرض العهد الزاخر الذي قاده الملوك المسلمون طيلة ثمانية قرون الماضية.

يقول الأستاذ مسعود عالم الندوي: "وشهدت الدولة الإسلامية المغولية الفتك والانحلال بعد وفاة أورنكزيب حتى أصبحت على وشك الانقراض، وتولى على عرش الدولة ملوك ضعاف لا يملكون من أمرهم شيئاً وينصرون ويعزلون كالأطمار البالية، واضطرب حبل الدولة وكثرت الفتن والمصائب، وهكذا لم تعد الدولة مركز الحياة ولم يبق لها السلطان والقدرة على توجيه البلاد".¹⁴

¹⁴ تاريخ الدعوة الإسلامية - الشيخ مسعود عالم الندوي، ص - 52.

يقول الأستاذ أبو الحسن علي الندوي: "قد تمكن المسلمون من قيادة البشرية فكريا وعلميا لعدة قرون، ثم بدأ انحطاطهم الفكري السياسي، وذلك تمكنهم من أداء هذه الشهادة قولاً وعملاً، ولفصلهم الدين عن شؤون الحكم وتركهم الجهاد والاجتهاد، فكانت النتيجة بأن العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه ظهر فيه الضعف والاضمحلال فكريا وسياسيا، وهذا ما أدى تخلفه وجعله فريسة سهلة لغزو الاستعمار السياسي والحضاري".¹⁵

¹⁵ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - الشيخ أبو الحسن علي الندوي، ص - 175.

الفصل الثاني : العلماء البارزون في العربية وآدابها في الحكم الإسلامي

دخلت العربية في شبه القارة الهندية منذ عصر الخلافة الراشدة بواسطة التجار المسلمين، ولا سيما بعد الفتح الإسلامي الذي قاده محمد بن القاسم إلى بلاد السند. نقلوا معهم لغتهم وثقافتهم وعاداتهم، حتى استقرت العربية في بلاد السند. وفي هذه الفترة وصل عدد كثير من العلماء إلى الهند كأمثال ربيع بن صبيح البصري السعدي الذي جاء مع جيش المسلمين، وكان من التابعين ومن المبادرين إلى تدوين الأحاديث النبوية، وحباب بن فضالة التابعي. وبملازمة هؤلاء الأفاضل ترعرع جيل مثقف بالعلوم الإسلامية واللغة العربية في مناطق السند. والشيخ أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي الذي ألف أقدم كتاب في السيرة النبوية أبرزهم. وكذلك الشاعر العربي أبو عطاء السندي.

بعد فترة جاء المسلمون فاتحين مع محمود الغزنوي، ثم توالى الفتوحات واستمر ملكهم نحو ثمانية قرون ونصف قرن. ولم يكونوا من السلالة العربية. بل ينتمون إلى الأصول الفارسية حملوا معهم لغتهم الفارسية وحضارة بلادهم في أفغانستان وفارس وما وراء النهر. ولذا صارت الفارسية لغة المسلمين السائدة، ولم يلبث أن صارت رسمية. وبالتمازج بالفارسية تولدت في الهند لغة جديدة، وهي الأردية التي صارت فيما بعد اللغة الشعبية ولغة الحكم والملوك، ومع ذلك كان يوجد في الهند من يحسن اللغة

العربية أيضا، والشاعر الأمير خسرو بن سيف الدهلوي كان بارعا في اللغة الفارسية
والعربية.

واستطاعت الهند أن تواكب الدول العربية في احتضان العلم والعلماء، وكان
بلاط الملوك مجالس العلماء والأدباء في كل الأقطار، كما كان بغداد في العصر
العباسي، فبرز في العصور المختلفة علماء عباقرة كانوا ولا يزالون فخرا للهند والعالم
الإسلامي كله. وفي طليعتهم الشاعر العربي المشهور أبو عطاء السندي، والإمام
حسن محمد الصغاني والإمام علي بن صام الدين المنقي، والشيخ زين الدين المخدوم
الكبير، والمجدد الكبير أحمد بن محمد عبد الأحد السرهندي وشاه ولي الله الدهلوي
والشيخ زين الدين المخدوم الصغير والقاضي محمد عبد العزيز الكاليكوتي والسيد غلام
علي آزاد البلكرامي وغيرهم كثير.

أبو عطاء السندي

ولد أبو عطاء السندي في الكوفة في مطلع القرن الثاني للهجرة واسمه الحقيقي
"أفلاح" ورد هذا في كتاب الأغاني واشتهر بكنيته "أبو عطاء" وعطاء اسم غلامه الذي
اختاره لرواية أشعاره وإنشادها. وقد اجتمع الرواة على أنه كان سنديا أعجميا، إلا أنه
نال اسمه العربي من مواليه من بني أسد. والأرجح أن أسرته من عداد الأسارى وقت
فتح السند على يد محمد بن قاسم، ولذلك صار سندي الأصل، وكان أبو العطاء في

أوائل أيامه مملوكا لعنبر من سماك بن الحصين الأسدي، ولكن العلاقة ساءت بينهما، يدل عليه قوله:

إذا ما كنت متخذا خليلا

فلا تتقن بكل أخي أخاء

وإن خيرت بينهم فالصق

بأهل العقل منهم والحياء

فلا تتقن من النوكي بشيء

ولو كانوا بني ماء السماء

وعاش أبو عطاء في فترة بين العصر الأموي والعباسي إلا أنه يعد من شعراء

بني أمية إذ كان ميله إليهم. وقد ذكر الشاعر أبو تمام بعض أشعاره في ديوان الحماسة.

وكان في أشعاره حرا طليق الفكرة ملتزما بقيودها ونظامها. ناطقا بعذوبة روحه

وسداجة طبعه ونقاوة ضميره، وكان يقادي فيها منوال الشعراء الفحول من الجاهلين.

كانت له صلة وثيقة بالأمراء الأمويين، وخاص بيزيد بن عمرو بن هبيرة،

ونصر بن سيار وسليمان بن سليم كيسان. ولما آل الحكم إلى بني العباس مال إليه

وبدأ يمدحهم مثلما ما نراه في شأن أبي العباس السفاح الخليفة الأول:

إن الخيار من البرية هاشم

وبنو أمية أرذل الأشرار

وبنو أمية عودهم من خروج

ولهاشم في المجد عود نضار

ولما قل عطاءه من بني عباس بدأ يهجوهم كما فعل المتنبي لكافور الأخشيدي وهو

يقول:

يا ليت جور مروان عادلنا وأن عدل بني العباس في النار

مكانته في شعره

أبو عطاء السندي طرق معظم أبواب الشعر في عصره مثل الحماسة والمدح والثناء والأدب والحكمة، كما تناول القليل من الشؤون السياسية، وقد اثنى عليه النقاد كابن قتيبة الذي قال فيه "كان جيد الشعر" ويقول أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني "كان من أحسن الناس بديهة وأشدهم عارضة وتقدما".

يتجلى شاعريته في الأبيات التي أوردها أبو تمام في ديوان الحماسة وقال في

مطلع مدحه للولادة الأمويين:

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر

فو الله ما أدري وإنني لصادق أداء عراني من حبابك أم سحر

وإن كان سحرا فاعذريني على هوى وإن كان داء غيره فلك العذر

ومن شعره الحماسي البطولي قوله:

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم ولا عاصم الأقتنا ودروع

حبست به نفسي على موفق الردى حفاظ وإطراف الرماح شروع

وما يستوى عند الملمات إن عرت صبور على مكروهاها وجزوع¹⁶

¹⁶ ديوان الحماسة أبو تمام، الجزء الأول، ص 12

وقد اختلف المؤرخون في وفاته ويذكر صاحب الأغاني إنه مات في آخر أيام المنصور، ولكنه يخالف الواقع إذ كان يمدح الخليفة المهدي، وعليه يقول القاضي أظهر المباركبوري في كتابه رجال السند والهند إنه مات سنة 160 هـ / 777 م.

الإمام رضي الدين (حسن بن محمد) الصغاني اللاهوري

الإمام أبو الفضائل رضي الدين محمد بن الحسين علي إسماعيل القرشي العدوي اللاهوري من رجال القرن السابع الهجري وينسب إلى صغانيان، إحدى ولايات ما وراء النهر. ثم نزلت أسرته إلى لاهور واستوطنتها، وينسب إلى عمر الفاروق وهو يشير إلى هذا النسب.

فقلت يادهر سالمني مسالمة فانني عمري ثم صاغاني

ولد بمدينة لاهور في صفر 577 هـ / 1181 م، ولكن نشأته في غزنة، وأخذ العلم عن والده الشيخ محمد بن الحسن، العالم الجليل في اللغة والأدب والعلوم المختلفة، وكان في عهده الدروس في المساجد أو في المنازل، وفي أثناء دراساته كان يزور لاهور، ولما أنهى دراسته في الهند رحل إلى أقصى البلاد وقرأ الحديث على كبار المحدثين ومنهم أبو الفتوح نصر بن أبي الفرح محمد على البغدادي الحنبلي المتوفى 619 هـ / 1222 م وأبو منصور بن الرزار سعيد بن محمد البغدادي المتوفى سنة 616 هـ / 1219 م وأخذ اللغة بفصاحتها وأصالتها وكان يلتقط ألفاظها ونطقها من السنة أهلها.

رحلاته

لما توفي والده عام 590 هـ / 1194 م غادر إلى لاهور حيث ازدهرت العلوم بوجود العلماء الذين يترددون إليها. وهناك سمع عنه الملك قطب الدين أبيك حاكم الهند فاستدعاه وعرض عليه منصب القضاء ولكنه رفض.

ثم زار الحرمين وبعد الحج أقام بالحجاز نحو خمس سنوات، ثم رحل إلى المدينة وقضى أكثر أوقاته في حرم النبي ومنها إلى اليمن حيث كان القاضي إبراهيم بن أحمد بن سالم العالم الفقيه الشافعي. وبعد فريضة الحج عاد إلى الهند عن طريق اليمن. ووصل السند وتجوّل في أقطار بنجاب فرأى تقاليد الهندوطوسهم، واجتمع حوله عدد من تلاميذه ليستفيدوا منه فمكث في الهند نحو ثلاث سنوات، ووصل بغداد عام 615 هـ / 1218 م، وهي وقتئذ ملجأ العلماء والمحدثين والفضلاء والفقهاء وأخذ منها الأحاديث المتواترة ما يزيد على أربعمئة فصار مشهورا في بغداد. وكان مدرسا في شتى مدارسها عاملا فيها مرشدا وواعظا. وتولى القضاء فيها في عهد الخليفة العباسي ناصر دين الله. وكان يرسل الرسل والبعثات إلى سلاطين الدول الأخرى لتوثيق العلاقات بين الأقطار الإسلامية.

صار الإمام سفيرا إلى الهند من قبل الخليفة العباسي، وكان الملك يومئذ في الهند السلطان شمس الدين إلتمش فمكث فيها نحو ثماني سنوات. تجول خلالها في

مختلف المدن الهندية يدرس الحديث وينشر العلم. ولما تولى المستنصر بالله الخلافة العباسية استدعاه إليه ثم أرسل إلى الهند مع الهدايا إلى السلطان، فرحب به الملك، وما زال في التجول في أنحاء الهند حتى صار مشهورا بينهم. ومرة زار ناكور واجتمع حوله العلماء ومنهم القاضي عبد الحميد الناكوري والقاضي كمال الدين وكان يلقي لهم دروسا من كتابه مصباح الدجى.

ولما مات السلطان شمس الدين إلتمش وقع الخلاف بين أبنائه فيمن يتولى الخلافة ثم صارت الخلافة إلى بنته رضية بنت إلتمش. فاستأذنها الإمام الصغاني لأداء الحج في سنة 634 هـ / 1233 م وبقي في الحجاز حتى أتم تأليف كتابه تكملة صحاح الجوهرى، ثم رجع إلى الهند ولكنه مل الحياة في ظل الملكة رضية، فرحل إلى بغداد وظل فيها حتى توفي عام 650 هـ / 1252 م بالغا من العمر 73 سنة ونقلت جثته إلى مكة على وصية منه ليدفن في جنة المعلاه.

دوره في التأليف العربي

للإمام الصغاني المحدث ستة وأربعون كتابا، 22 في اللغة العربية، مما يعده من عمالقة اللغة من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن دريد الجهولي وابن الفاري والزنجاني، ويقول الإمام الذهبي: كان إليه المنتهى في معرفة علم اللغة. وقال الدمياطي: إنه كان إماما في اللغة والفقه والحديث. ومن أعماله كتاب التكملة والذيل

والصلة في ستة أجزاء، وهو مكمل لما فات الإمام الجوهري في كتابه الصحاح وما أهمله. واهتم في ذلك بتصحيح الأخطاء التي وقع فيها الجوهري في الكلمات والأعلام، وأكمل الشواهد الشعرية وصحح نسبه، ويلييه كتاب صغير خصّصه لبيان ما فاته في الأول "العباب الزاخر واللباب الفاخر" الذي يعد من مراجع اللغة العربية، ألفه باسم مؤيد الدين بن العلقمي وزير المستعصم. ويعد الكتاب من أكبر تصانيف الصغاني وأكثرها شهرة، يقع في عشرين مجلد، وبه خلد ذكره. وقدمات الصغاني قبل أن يكمله وبلغ إلى حرف الميم. وقد اثنى العلماء عليه وقدروه بالغ التقدير.

قال عنه السيوطي: أعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن سيد الأندلسي الضرير سنة 458 هـ / 1066 م. ثم كتاب العباب لرضي الصغاني وقال أيضا "إنه كان حامل لواء اللغة".

مجمع البحرين: وهو كتاب ضخّم في اثني عشر مجلدا جمع فيه المؤلف بين الصحاح والتكملة مما أهمله الجوهري يذكر فيه الصحاح والتكملة، وأردفهما بحاشية ويذكر ما ليس فيهما. والصغاني يصحح بعض أخطاء المؤرخين الذين نسبوا الأمكنة إلى غير موطنها الأصلي وعلى سبيل المثال يقول البلاذري في كتاب البلدان: بليمان بالسند والهند. قال الصغاني: لا أعرف بالهند والسند موضعا يقال له بليمان.

مشارك الأتوار النبوية في صأا الأأبار المصطفوية: هذا الأاب شهر في

الأاأ جمع الصأاني فيه من الصأا 2246 أأاأا.

الإمام علي الأنا أسام الأنا الأنا

ولأ العلامة الأأأ علاء الأنا علي الأنا بن أسام الأنا الأنا سنة 775

هـ / 1373 م بمأنا برهانفور. وقضى في صأر سنة مرأنا للأنا بهاء الأنا الصوفي

البرهانفوري، فأار قلبه ونفسه راسأا في الأنا والأنا والأنا مما كان لأنا عليه

أأار الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم سافر إلى الأنا ولأنا الأنا الأنا الأنا

الأنا قرأ عليه الأنا الأنا، ثم سافر إلى الأنا الأنا وأأأ الأنا عن

الأنا أبا الأنا الأنا والأنا الأنا أحمد بن أأر الأنا.

ومن مؤلفاته: أنا الأنا في سنن الأنا والأنا. أنا هذا الأنا من أأر

ما صنأ في الأنا وهو أشبه بموسوعة للأنا الأنا.

الأنا زأنا الأنا الأنا

كانأ أسرة الأنا ممن نزلأ في أنا أأرالا في الأنا الأنا عشر

الأنا أأنا من بلاد الأنا مرورا بمناطق أنا أنا، ومنها إلى أنا أنا أنا

في أنا فوناني، وكان والده الأنا علي ابن أحمد الأنا أنا على أنا، وأنا

مبادئ الأنا والأنا من أنا زأنا الأنا بن إبراهيم الأنا، وكان أنا في

كفالتة ولما ولى عمه قضاء بلدة فناني رافقه معه، وهناك حفظ القرآن وقرأ على عمه علوم الصرف والنحو والفقہ وغيرها من العلوم.

ثم تلقى العلوم الدينية والعربية من الفقيه والشاعر فخر الدين أبي بكر بن رمضان الشالياتي، صاحب مخمس قصيدة البردة وقصيدة بانث سعاد، كما تلقى العلوم من أكابر علماء زمانه من أمثال الإمام العلامة أحمد شهاب الدين بن عثمان اليميني وتبحر في علم الفقه والفرائض ثم ارتحل إلى مصر ليرتوي من موردها. وتلمذ على جهاذة علمائها من أمثال الشيخ عبد الرحمن آدم مصري وقضى عنده خمس سنوات، وقد أجاز له الشيخ روايته الحديث والتفسير والفقہ والأصول، كما أخذ العلوم من الشيخ شمس الدين الجرجري والشيخ زكريا الأنصاري والشيخ كمال الدين محمد بن شريف ثم قصد الحج فذهب إلى مكة فحج واعتمر وزار الأرض المقدسة ثم عاد إلى موطنه الهند.

ونرى من آثاره المسجد الجامع الكبير الذي يظل يبقى إلى الآن في فناني، وبعد اتمام بنائه بدأ يلقي الدروس الدينية، وذاع صيته في الآفاق وبدأ يُشَدُّ الرحال إلى مناهله من أنحاء البلاد مثل ملايا، وإندونيسا وغيرها حتى عُرفت فناني بمكة ملييار. واحتضنت هذه القرية فيما مضى عددا كبيرا من علماء العربية والعلوم الإسلامية ممن ساهموا في إعداد موسوعة النباتات الطبية في ملييار، وذلك بإشراف من السيد وان ريد (Wan Reed) الحاكم الهولندي آنذاك في ملييار، والذي تم نشرها في أمستردام عام 1089

هـ / 1678 هـ، وعلماء أسرة مخدوم هم الذين ساهموا في تزويد هذه الموسوعة بالمصطلحات العربية.

وكان الشيخ زين الدين الكبير عالماً في كثير من اللغات مثل اللغة العربية والفارسية ولغات الهند الأخرى، وله كتب عديدة في مختلف الفنون العربية والإسلامية، وكان له اتصال عميق بعلماء مصر من أمثال الإمام السيوطي، والإمام السيد محمد السمهودي والإمام الأكبر أبي بكر الحضرمي والإمام سيد أبي بكر العيدروسي وغيرهم من العلماء، ويقال إنه أول من درس في الجامع الأزهر من بين أبناء ملبار، وبعد رجوعه إلى الهند استمر في خدمة العلم والأمة حتى وافته المنية سنة 927 هـ / 1521 م ودفن أمام الجامع المشهور في فنانى.

مؤلفاته العربية

- 1، مرشد الطلاب.
- 2، كفاية الفرائض.
- 3، سراج القلوب وعلاج الذنوب.
- 4، تحفة الأحياء وحرفة الألباب في الإنكار.
- 5، تسهيل الكافية في شرح الكافية لإبن حاجب.
- 6، حاشية الكافية في شرح الكافية لإبن حاجب.

7، حاشية وافية على الإرشاد لابن المقرئ في الفقه من الطهارة إلى الحيض.

8، شمس الهدى كتاب المواعظ.

9، المسعد في ذكر الموت.

1، تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصليبان

هذه القصيدة من أروع أعمال المقاومة في الأدب العربي الهندي، تهدف إلى مقاومة نزعات الاستعمار، وقد كان للعرب المسلمين النفوذ الكامل في مجال التجارات البحرية في سواحل مليبار منذ القرون. ولما سقطت الأندلس على أيدي الإفرنج بدأت القوات الاستعمارية تبت نفوذهم في السواحل الشرقية طمعا منها على جلب الخيرات إلى بلادهم. وكان أول من وطئ أرضها منهم فاسكودي غاما سنة 903 هـ / 1498م، نزل في قرية "كاباد" المليبارية، وبجهودهم الغاشمة سيطروا على الأسواق مخفين مخباتهم الفاسدة. ولم يكن ملوك مليبار يفهموا ما يضمرون في قلوبهم، وتسامحوا وتصالحو معهم، ولكن العلماء المسلمين فطنوا إلى الخطر الكبير لو بقوا على مخططاتهم. وقد قام البرتغال في مليبار باستثمار أهدافهم وضربوا ملوكها بعضهم ببعض وحرشوا بينهم مثل ما فعلوا بالملك ساموتري وملك كوشن، مما أدى إلى الحرب مع المواطنين، واستشهد كثير من المسلمين، ولم تنته وحشيتهم في هذا الحد، بل ارتكبوا الجرائم لتدمير ممتلكات المسلمين وإهراق دمائهم وهتك أعراضهم. وقد أغرقوا سفينة

تقل الحجاج من مكة إلى أوطانهم وقتلوا من فيها شر قتلة، إلا بعض الشباب أخذوهم إلى فرنسا ليجعلوهم قسائس الكنائس وأكروهو المسلمين البائسين على اعتناق النصرانية. وكانت الأسرة المخدومية في طليعة المقاومة. حرضوا الملوك المسلمين وعامة الناس على الوقوف في وجه الطغيان والخداع، واستجاب المواطنون المسلمون والهنداكة وتكاتفوا كتلة واحدة لمقاومة ذلك الشر والفساد. ويصور زين الدين بن علي بن أحمد المعبري بشعور متألم عن الأحوال والأهوال التي عاشها المجتمع في القصيدة ذات مائة وخمسة وثلاثين بيتا.

ومطلعها:

لك الحمد يا الله في كل حالة وأنت عليهم بالكرب وحاجة

صلاة وتسليم على خير خلقك محمد الداعي إلى خير ملة

ثم يشكو الشاعر بلاء المسلمين إلى الحكام إلى السلاطين المسلمين لينزلوا إليهم بالرحمة والحنان والعطف ويطلب منهم المدد والنصر لإنقاذهم من براثن الإنجليز. فقال:

فأما كربنا بارتكاب شذائد بإفرنج عبد الصليب وصورة

طغوا في بلاد الله من كل ممكن وقد أكثروا فيها الفساد بشهرة

بغوا في ملييار بأصناف بغيهم وأنواع شدات وأجناس فتنة

من الأسر والنهبي واحراق مسجد وحرق كتاب ثم هتك لحرمة

كما يحرض الأمة الإسلامية على الجهاد في سبيل الله بكل همة ونشاط حتى

يكون لهم مخرجا من هذه الأزمة.

فيا أهل الإسلام وأمة أحمد هلموا إلى هذا الجهاد بهمة

ففيه رضا الخلاق والخلق إنسهم وحن ووحش والطيور ودابة

ولا تجعلوا أفرنج ياقوم أوليا وإن خفتم هلكا وفوق تجارة

وغربت شمس حياة الشيخ زين الدين المليئة بالنضال والجهاد والمقاومة في

شعبان عام 928 هـ / 1522 م.

الإمام أحمد السرهندي

الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد بن عبد الله الأحد السرهندي،

ولد عام 971 هـ / 1561 م وتوفي عام 1034 هـ / 1625 م. وهذه الفترة تميزت

بازدهار علوم الحديث ورجالها في مصر والشام والعراق كما ازدهرت العلوم العقلية

والمنطق والفلسفة في إيران وازدهار الفقه الحنفي في الهند وتركساتان. وكانت إيران

تزهو وتفتخر بالعلامة جلال الدين الدواني والعلامة عماد بن محمود الطارسي

والعلامة غياث الدين المنصور الذين بثوا العلوم. وكانت تتفجر منهم ينابيع العلوم

والحكمة مما تجاوزت أصدائه في الهند.

وقد شهد هذا العصر اضطرابا في الأفكار وانحلالا في العقائد مما تأثر بالصوفية والثقافة الهندوكية في الهند. كما انتشر في الهندو التشيع الوارد من إيران، وقد اعتنق برهان نظام شاه المذهب الشيعي بتأثير طاهر بن رضا، كما انتشر التشيع في كشمير بجهود مير شمس الدين العراقي، ويقال أن قد تم إدخال 34 ألفا من الهنادكة في التشيع، وأنشأوا دينا جديدا باسم نر بخشي، الذي يعارض تماما روح الدين الإسلامي والذي من أجله شاعت البدع والتقاليد الباطلة التي تنافي روح الإسلام. هذا إلى جانب النزعات الفاسدة من قبل المتطرفين والغلاة في الدين ممن أدخلوا في الدين عقائدهم مبادئهم الهدامة لتضليل الناشئين، حتى في ظل الملك والحكم بدت التقاليد الدنسة، ومنها السجود بين يدي الملوك والأمراء تعظيما لهم، وتقديس الشعائر الدينية الهندوسية. ويمكن القول إن هذه الفترة تتمثل الجاهلية الحالكة مثل جاهلية ما قبل الإسلام.

وفي هذا الوقت المظلم بُعث الإمام السرهندي، الذي فطن إلى خطورة الأمور وما آلت إليه الأمة في العقيدة والعادات، ولم يلبث أن أرسل عددا من خلفائه إلى مختلف أرجاء البلاد للتربية والدعوة والإرشاد. ولمسوا نجاحا ملحوظا في مهمتهم هذه.

الإقامة الجبرية في قلعة كواليار

وحدث أن سمع السلطان شاهجهان عن الإمام السرهندي وإقبال الناس عليه، وأمر بالحضور أمامه، وبعث الأمراء والأعيان ليتقبلوه في الطريق ونصب له خيمة بجوار قصره. ولما دخل عليه في البلاط لم يلتزم بالآداب والتقاليد التي كانت يلتزم بها الوافدون، فنظر السلطان وأدرك أن الإمام لم يراع الآداب ولم يأت بالتحية المعتادة، فسأله عن السبب، فقال إنني لم أزل متقيدا بالآداب والأحكام التي دعا إليها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا أعرف غير هذه الآداب. فغضب السلطان، وقال: اسجد. فقال الإمام: ما سجدت لغير الله قط ولن أسجد لغيره أبدا. فتغيظ السلطان وزاد غضبه إلى أن أمر بحبسه جبرا في قلعة كواليار. وقعت هذه الحادثة الأليمة في ربيع الآخر 1028 هـ / 1619 م، وقضى فيها سنة واحدة.

يقول عبد الحي اللكهنوي: "كانت هذه التحية تقليدا شائدا في البلاط منذ عهد الملك أكبر، وكانت تعد من الأدب بالآداب الملوكية، وكانت على ثلاثة أصناف الكورنش وهو أن يضع يمينه على جبينه ويطأ رأسه إلى الصدر، وثانيها التسليم أن يضع ظهر الكف من يمينه على الأرض ويقوم ويضع باطنه على الرأس، وثالثها السجدة كما يسجد في الصلاة".¹⁷

¹⁷ الهند في عهد الإسلام ، علامة عبد الحي اللكهنوي، ص 273.

وفي آخر لحظاته أوصى الإمام أبناءه باتباع السنة واجتتاب البدعة والمداومة على الذكر والمراقبة والعض على السنة بالنواجذ والعمل بقوله صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة" والطاعة الكاملة للرسول، وقال لزوجته: اتبعوا السنة في تكفيني ودفني ولا تنكروا شيئاً من السنة واشترى ثوب الكفن من مال صدائقك، وقال أيضاً: تدفونني في مكان مجهول. فقال له أبناؤه: كنتم أوصيتم قبل أن يكون قبر حضرتكم يجاور قبر أخينا الأكبر وتوصون الآن بغير ذلك. فقال: أجل، إنني أرغب كذلك، فلما رأى سكوت أبناءه قال لهم: لكم الخيار ادفنوني حيث شئتم وليكن قبوري غير مجصص حتى لا يبقى بعد مضي أيام عين ولا أثر.

لفظ نفسه الأخير عام 1034 هـ / 1625 م بعد قيامه بتطهير المجتمع من التقاليد والبدع الباطلة وقيادتهم إلى العقيدة الصحيحة. فجدد العالم تجديدا صحيحا من الخرافات والبدع التي سادت في عهد المغول. ومات وعمره ثلاث وستون سنة.

إن الإمام السرهندي يعرف بمجدد الألف الثاني، لأنه استعاد - الهند إلى حظيرة الإسلام وسانها من ظلمات الجهالة إلى نور الهداية، وبأعماله الإصلاحية ضعف أثر الدين الإلهي الذي أتى به الملك أكبر، كما رجعت الأمة من التقاليد الفاسدة والعادات المنكرة إلى الحق الصحيح. وشهادة السيد أبو الحسن علي الندوي خير دليل لتأثير أعماله، وهو يقول: "وهكذا فتح الإمام السرهندي بمفتاح تجديد إيمان محمد صلى الله عليه وسلم وإعادة الثقة برسالته جميع الأفعال المعقدة الثقيلة التي اخترعها الفلسفة

الإيرانية واليونانية والإشراقية المصرية والهندية، وأصاب مقتل هذه الفتن كلها التي تهدف الطبقة المثقفة من المسلمين بينهم واحد مسدد ورمية مصيبة قاتلة "18.

فقد حظيت العربية من إسهاماته كثيرا، إذ كان جلّ مقالاته إرشاداته الدينية في العربية. وفيما يلي يقول منذرا عن مظاهر الشرك والوثنيات:

"إن تعظيم مظاهر الشرك، وأعياد الجاهلية من أعظم أنواع الاشتراك بالله عزوجل وإن من يعتقد بصحة دينين وصلاحيتهما في وقت واحد، فهو مشرك، وإن من يعمل بأحكام الإسلام وأعمال الكفر والشرك فهو مشرك، ولا يتم الإسلام إلا بالبراءة من الشرك ومحاداته ومعاداته. وإن التوحيد هو الاشمئزاز والنفور من كل شائبة من شوائب الشرك"¹⁹. كما يقول رأيه في الاستعانة بغير الله:

"إن الاستعانة بالطواغيت والأصنام في دفع الأمراض وشفاء الأسقام التي راجت في المسلمين وعمت في دهمائهم عين الشرك والضلال، وإن طلب قضاء الحاجات من الأحجار المنحوتة جحود صريح بالله تعالى وعين الكفر، يقول الله تبارك وتعالى مبينا حال بعض الغواة الضالين:

¹⁸ رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن علي الندوي، ج 3، ص 180

¹⁹ المصدر السابق، ج 3، ص 238.

"يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا[النساء: 60]. وإن كثيرا من النساء لغاية جهلهن وضلالهن يطلبن قضاء حوائجهن من غير الله، ويسألن بأسماء ما أنزل بها الله من سلطان، دفع البليات وكشف الكربات، أنهن لأسيرات في أغلال الشرك وطقوسه وتقاليده."²⁰

الإمام شاه ولي الله الدهلوي

ولد شيخ الإسلام وحكيم الأمة قطب الدين أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي عام 1114هـ / 1702 م في بيت أحواله بقرية "فلت" في مدينة "مظفرنكر". ويصل نسبه إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق. وكانت أسرته عريقة في العلوم والتقوى والقضاء والتدريس والفتيا، وكان أمه فخر النساء، تمتاز ببراعة فائقة في العلوم الدينية، وكانت عالمة بالعلوم الشرعية كالتفسير والحديث وعارفة بأسرار الحقيقة، وكان والده الشيخ عبد الرحيم من العلماء الذين رتبوا الفتاوى الهندية في عهد أورنغزيب عالمكير، كما أنه مؤسس المدرسة الرحيمية في دهلي التي صارت منارة العلم والهدى والإصلاح زمنا طويلا في الهند .

برز نبوغ شاه ولي الله الدهلوي في علوم التفسير والحديث والفقہ والتصوف والشعر العربي والفارسي، مما اكتسب به كفاءته في الاجتهاد حتى صار يعد من بين

²⁰ المصدر السابق.

الأئمة من أمثال الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وأحمد بن تيمية، كما أنه وضع بصامته واضحة جلية في الإصلاح الديني وتجديد الفكر الإسلامي.

رحلته العلمية:

بدأت دراسته وهو ابن خمس وحفظ القرآن وعمره سبعة ومع الخامسة عشر استطاع التحصيل العلمي في معظم العلوم. وقصد بعد ذلك الحجاز، وهذه الرحلة صارت نقطة تحول في مسيرته العلمية والفكرية والأفكار الإصلاحية، إذ نال الفرصة لملازمة كبار العلماء ومطالعة الأحاديث النبوية والوقوف على منهج التحقيق والتنقيح. ومن أبرز أساتذته في هذه الفترة الشيخ أبو طاهر المدني.

وفي الثلاثين من عمره قصد الحج، مما صار فرصة أخرى للتفرغ إلى العلوم، وفي أثناء إقامته في الحجاز ألف كتابه "إنسان العين في مشايخ الحرمين" وذلك في تراجم أساتذته في الحرمين الذين استقى منهم الدهلوي نزعاته السلفية. كما أن ملازمته إياهم مهد السبيل في التعمق في علوم الحديث.

بعد عودته من الحجاز بدأ تدريس الحديث الشريف في المدرسة الرحيمية، ولم يلبث أن يفد إليه جماعات من الطلاب من مختلف الأقطار وأنحاء البلاد حتى ضاق بهم المكان، ثم صارت هذه المدرسة في بيت فخم وكانت تعتبر "دار العلوم الكبرى". ولم تنزل على حالها حتى ثورة 1857 م (1273هـ). ومن أشهر تلاميذه السيد محمد

مرتضى الزبيدي البلكرامي صاحب "تاج العروس شرح القاموس" والقاضي ثناء الله الباني المعروف ببيهقي الهند بعمله "التفسير المظهري". وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل والتأليف انتقل إلى رحمة الله عام 1176هـ / 1762 م. وتم دفنه في مهنديان بالقرب من دهلي دروازا، حيث كان قبر والده عبد الرحيم.

عصره:

نشأ الإمام الدهلوي في عصر الجهل، بما نشر من البدع والعادات المنكرة والعادات الشيعية والمجوسية ونفوذ التصوف في أواخر الحكم المغولي، والسلطان أورنكزيب الذي تصدى للقضاء عليها، قام بأعمال طيبة بهذا الصدد، ومن هذا القبيل جمع الفتاوى العالمية في عهده، لتكون مرجعا للعلماء وتبصرة للعوام وحجة لشعائر الدين، والشيخ الدهلوي يتمثل شخصيته كما يقول الدكتور محمد إقبال في بيت من شعره:

"كان فراشة لشمعة التوحيد، وكان في بيت الأصنام والأوثان كإبراهيم عليه السلام".²¹

²¹ المصدر السابق، ج 4، ص 40.

والشيخ الدهلوي بنفسه يشير إلى سوء حال هذا العصر: "إننا في زمان الجهل والعصبية واتباع الهوى واعجاب كل امرئ بآرائه الرديئة وإن المعاصرة أهل المنافرة، وإن من صنف فقد استهدف".²²

وهذا العصر بلغ فيه الإنحطاط السياسي والإداري والخلقي وفساد النظام غايته إلى جانب سوء إدارة ملوك الطوائف وما ساد في أيامهم من القلق والاضطرابات والمعارك بين الهنادكة والسيخ وأمراء المسلمين، مما يجعل ظهور الإمام الدهلوي منة إلهية، لصبح مجدد قرنه ومصلح أمته.

وقد نهض الإمام بمسؤوليته في هذه الأزمة، واستدعى الملك الأفغاني أحمد شاه أبدالي لقطع دابر الثوار من الشيخ وقبائل الجايط والمراهتا الذين أشعلوا نيران الفتن والفساد. فاستجاب له الملك، فغزا تسع غزوات على هؤلاء الثائرين حتى هزموهم، وفي المعركة الأخيرة انهزموا شر هزيمة. ثم جمعوا قوتهم وشملهم وتخالفوا مع الإنجليز بعد رجوع أحمد شاه أبدالي إلى أفغانستان حتى انقضت حكومة دهلي.

الإمام الدهلوي خدماته ومساهماته في علوم الحديث

إن الإمام الدهلوي انقطع إلى خدمة الحديث ونشره وتدرسه، أقبل عليه بقلبه وقاله وهو يعبر عنه: "نسيت كل ما قرأت سوى علم الحديث الشريف".²³ كما أنه يشير بنفس الشعور إلى شخصية أستاذه الشيخ أبا طاهر المدني:

²² المصدر السابق

²³ المصدر السابق، ج 4، ص 160.

نسيت كل طريق كنت أعرفه إلا الطريق يؤديني لربكم

ومن مؤلفاته

- 1، المصفى شرح موطأ للإمام مالك بالفارسية.
- 2، المسوى شرح الموطأ المختصر بالعربية.
- 3، شرح تراجم الأبواب لصحيح البخاري.
- 4، مجموعة الرسائل العربية.
- 5، الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي المبين. والنوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر. والأربعين.
6. حجة الله البالغة

هذا الكتاب المفيد المشهور يحتل الصدارة بين مؤلفات علوم أسرار الشريعة، والكتاب يشمل على قسمين بين الإمام الدهلوي الأصول التي توارد عليها الأمم، وهي تنقسم إلى سبعة مباحث. وفي القسم الثاني أسرار الأحاديث مستدلاً بالآيات وأقوال الصحابة والتحقيقات التي قدمها المتقدمون من أبواب الإيمان والعلم والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والإحسان والمعاملات وتدبير المنازل وسياسة المدن وآداب المعيشة وغيرها.

أثنى العلامة أبو الحسن علي الندوي على هذا الكتاب فقال: "إن الإمام الدهلوي من المصنف الأول من المصنفين الهنود الذي نجد في تصانيفه - وبالأخص حجة الله البالغة - السلامة وقدرة البيان وعذوبة اللسان مثل أهل اللغة وعربيته يضاهي عربيته أدباء العرب فلا ترى فيها الأسقاط والأقسام التي توجد في غالب الأحيان في كتابات علماء العجم".²⁴

إذا قرأنا حجة الله البالغة يسحرنا بأسلوبه الجذاب الذي يخلو من التكلف والتصنع، وكان يختار الألفاظ والكلمات عن الأفكار والمعاني ذات الحيوية والجديّة، ويتجنب الألفاظ الغريبة ووحشية الكلام الثقيلة فهمها ، وكان متوسطاً في صناعته بين الطول القصير، وهذا الأسلوب يرفعه إلى نورة العلماء الكتاب قياساً إلى الفترة التاريخية التي عاشها. يشير إليه العلامة السيد سليمان الندوي: إنه لم يكن يشعر أحد حتى بعد قراءة آلاف الصفحات من تصانيف الإمام ولي الله الدهلوي بأنه من نتاج القرن الثاني عشر. عصر الأرباك والاضطراب والقلق والعرج. وقد أعاد إلى اللغة العربية بأعماله التأليفية رواءها ورونقها وصفاءها ونقاءها بعد أن تكبدت الخسائر على أيدي المتلاعبين والعابثين.

غلام علي آزاد البلكرامي

²⁴ المصدر السابق

غلام علي آزاد البلكرامي المعروف بحسان الهند ولد سنة 1116 هـ / 1704 م بقرية بلكرام المشهورة في تاريخ الهند المسلمة، تقع في مقاطعة هريدار. وقد وهبت هذه القرية كثيرا من العلماء والأدباء والشعراء والمصلحين الذين سجلوا خدماتهم للعلم والثقافة والأدب العربي. والسيد محمد بن علي الحسني نزل أولا بهذه القرية بسنة 614 هـ / 1217 م بأمر من السيد قطب الدين بختيار، وقاتل أهلها وهزم راجه شري أمير القرية، واستقر هناك يدرسون المواطنين ويدعوهم إلى الإسلام حتى اشتهر باسم محمد الصغرى وإليه ينتهي نسب السيد غلام علي آزاد.

كانت أسرته ممن يخدمون الملوك والأمراء، ووالدته بنت ميسر عبد الجليل البلكرامي أحد العلماء البارزين، وأخذ عنه اللغة والحديث والتفسير، ثم تلقى مختلف العلوم من الشيخين: مير طفيل محمد وابن خاله محمد يوسف.

لازم السيد غلام آزاد كثيرا من العلماء والشعراء والمحدثين والأمراء والمشايخ في رحلاته. وأول رحلته كانت إلى دهلي حيث قضى سنتين في دراسة علوم الحديث والتفسير وصناعة الشعر. ثم رحل إلى سوستان السند حيث كان خال والدته مير محمد. وفي أثناء الطريق إلى السند لقي الشاعر فقير الله عفريين، وعلاقته به عزز قدرته الشعرية.

ثم كانت رحلته لأداء فريضة الحج سنة 1150 هـ / 1737 م مروراً بمالواه،
مما تمكن من زيارة الأماكن التاريخية حتى بلغ الأراضى المقدسة عام 1151 هـ /
1738 م، وقرأ صحيح البخاري في المدينة على الشيخ محمد حياة السندي ونال منه
الإجازة ثم صحب الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري خمس سنوات فأدهشه علو
كعبه في علمه ونسب إلى اسمه لقبه (آزاد) قائلاً له "أنت من عتقاء الله تعالى". ثم
عاد إلى الهند سنة 1186 هـ / 1772 م ونزل في أورنغاباد، وبعد قليل رحل إلى
حيدرآباد حتى صحب السلطان ناصر جنك آصف الذي عرض عليه منصب الإمارة
ولكنه أبى أن يتولاه وقال: هذه الدنيا مثلها مثل النهر طالوت غرقة منه حلال والزيادة
عليها حرام. وهذا الكلام يدل على قناعة نفسه وتقشفه في الحياة ونزاهته.

مؤلفاته العربية

- 1، سبحة المرجان في آثار هندستان
- 2، السبعة السيارة
- 3، مظهر البركات
- 4، ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري
- 5، تسلية الفؤاد في قصائد آزاد
- 6، شفاء الغليل
- 7، الشجرة الطيبة في أنساب السادة من أهل البلكرام

8، سند السعادات في حسن خاتمة السادات

9، أوج الصفا في مدح المصطفى

10، الدر الثمين في محاسن التضمين

11.لامية المشرق

12، المرأة الجمال

السيد غلام علي آزاد البلكرامي صار مشهورا بكتابه سبحة المرجان، ألفه سنة 1177 هـ / 1763 م. ويحكى فيه عن الهند وسجياها وفضائلها، ويورد فيه الآيات والأحاديث ويبين فيه ميزة الهند ويقول "إن آدم هبط من الجنة إلى سيلان" ويقسم هذا الكتاب إلى فصول: وفي الفصل الأول يبحث الكاتب عن ذكر الهند فيما جاء في التفسير والحديث، والفصل الثاني في تراجم علماء الهند وأعمالهم في النثر والشعر العربي، أورد فيه تراجم 43 عالما، والفصل الثالث في محسنات الكلام، يشير فيه ما تم اقتباسه في العربية من بلاغة أهل الهند ومحسنات كلامهم.

الفصل الثالث: ازدهار العلوم الإسلامية بأرض الهند في العهد الإسلامي

حين نتصفح أوراق التاريخ عن ازدهار العلوم الإسلامية في العهد الإسلامي نرى أن أبرز أسبابه تلك المدة الطويلة، ثمانية قرون ونصف قرن، حكم فيها المسلمون بلاد الهند.

كان دخول المسلمين أولاً في الهند في حملات متعاقبة متقطعة يعزونها الغزوات ويقيمون فترة، ثم يرجعون إلى أوطانهم. فقد كانت الحملة الأولى في عهد بني أمية التي قادها محمد الثقفي ثم تتابعت حملات الغزنويين على الهند منذ سنة 366 هـ / 976 م إلى 567 هـ / 1171 م، وبانتشار الإسلام في الهند صارت بلدة ملتان مدينة العلم، ومنها نهض كثير من العلماء كما صارت لاهور عاصمة الملك في أيام الغزنويين فصارت مركزاً للعلوم والفنون.

آذن نجم البيت الغزنوي بالأفول فطلع الغوريون وكان الأول منهم شهاب الدين الغوري الذي استولى على لاهور سنة 582 هـ / 1186 م ثم عاد إلى غزنة، ثم جاء قطب الدين أيبك وتوجه إلى دهلي واستولى عليها وجعلها عاصمة له سنة 589 هـ / 1193 م، وجعلوا الهند وطناً لهم، وانتشر في عهدهم التعليم، فانتشرت المدارس وأنشأوا جوامع، فلما صارت مدينة دهلي عاصمة البلاد المفتوحة وفد العلماء العباقرة إليها، وكان البارز منهم فخر الدين الرازي العالم المفسر في عصر شهاب الدين الغوري،

يقول ابن الأثير: ومن علماء عصره فخر الدين الرازي صاحب تفسير القرآن المعروف، وكان فخر الدين الرازي يقوم بالوعظ في دار شهاب الدين وكان هو يجلس أمامه جلسة المرید ويبكى لعظاته وحكمه. وأنشأت مدرسة عظيمة في دهلي في عهد السلطان شمس الدين إلتمش. ويليها مدرستان عظيمتان في بنجاب وسند في عهد السلطان رضية بنت إلتمش. وقد لعبت دورا هاما في نشر الإسلام. وانتقل في عهد السلطان معز الدين بن إلتمش بعض كبار العلماء والأولياء من خراسان إلى الهند.

ولم تنزل أحوال العلمية في قلوب المسلمين فجاء الحكم الخلجي سنة (689 هـ / 1290 م - 720 هـ / 1320 م) وهذا العهد رغم قصره عصر ذهبي في مجال العلوم العربية، فنرى كثيرا من العلماء في عصر علاء الدين الخلجي كأمثال الشيخ نظام الدين أولياء. وكان الشاعر خسرو الملقب ببغاء الهند، ممن ازدان بهم هذا العهد. ثم استولى بعده آل تغلق سنة 721 - 875 هـ / 1321 - 1470 م. وكان مؤسس هذه الدولة غياث الدين تغلق، ثم أتى بعده محمد تغلق، وكلاهما يحبان العلم ورجاله، وبذلا جهدا كبيرا لنشر العلوم الإسلامية. وكان في مدينة الدهلي ألف مدرسة في عهدهم وكانت كلها متمسكة بالفقه الحنفي إلا واحدة فكانت على فقه الشافعي. وشهد هذا العصر كبار العلماء أمثال الشيخ أبي بكر إسحاق بن تاج الدين الملتاني صاحب خلاصة جواهر القرآن وخلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام وصاحب

بحار الزخيرة حسام الدين الدهلوي وصاحب "شرح الهداية" القاضي حميد الدين الدهلوي.

ثم جاء دور المغول منذ سنة 932 - 1273 هـ 1526 - 1857 م وكانت أقوى الإمبراطورية التي حكمت الهند وشهدت الهند عهدا زاهرا في الناحية العلمية والأدبية والفنية الصناعية والمعمارية كلها لم تشهدوا من قبل وكان بلاط الملوك المسلمين ملتقى العلماء والأدباء والفنيين كانت العلماء تزدان بهم الدولة من أمثال مجدد الألف الثاني أحمد بن عبد الأحد السرهندي وشاه ولي الله الدهلوي والعلامة غلام علي آزاد البكرامي.

ظل الحكم المغولي في أثناء هذه الفترة تحت تأثير إيراني علميا وثقافيا وعسكريا. فقد نال ظهير الدين بابر وابنه دعم الإيرانية وازدهرت فيها الثقافة والعلوم. وانتقل إليها علماء وفلاسفة ومتملكون من إيران، وكان بابر أدبيا شاعرا فقيها ويقول الدكتور أحمد الشلبي: "وكان بابر بالإضافة إلى تفوقه العسكري أدبيا شاعرا فقيها، وقد كتب تاريخ حياته كتابة دقيقة في كتاب اسمه (بابر نامه) وهو في صورة يوميات أو مذكرات ضمها بالإضافة إلى ترجمة حياته تاريخ عصره، وذكر ما صادق من أحداث داخلية وخارجية ومن حروب وفتوحات وانتصارات وهزائم، مع وصف أحوال البلاد التي عرفها،

مما جعل كتاب "بابر نامه" من عيون كتب التاريخ المغولي في الهند، وقد كتب بلغة "الجفتائية" وترجم إلى الفارسية وإلى عدة لغات عالمية".²⁵

امتاز عهد السلطان الأكبر بكثيرة الكتب المعقولات، ومن أهم أسبابه اتجاه بعض العلماء من إيران وسمرقند إلى الهند. الذين شاركوا في ترويج المنطق والفلسفة، وحدثت ثورة علمية في عهده على الرغم من الصراع الديني، وينسب فضل ذلك الثورة إلى الشيخ أحمد سرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي الذين كانا يضيئان بعلمهما الهند كلها بل العالم الإسلامي أيضا.

وكانت سلاطين المغول يعطون على العلماء ويرغبونهم إلى الهند وفتحوا لهم مدارس ومراكز علمية لهم وفتحوا لهم مجالات البحث والمناقشة ونقلوا العلوم إلى اللغة الهندية يقول الملا عبد القادر عن نقل الكتب: "أراد الإمبراطور أكبر أن يترجم "معجم البلدان" فوزع أجزاءه على اثنين عشر عالما من عراقي وهندي فنقل الكتاب وقد اشترك محي الدين عالمكير نفسه في إعداد تدوين الفتاوى الهندية المعروف "الفتاوى العالمكيرية" وكان يسمعه كل يوم لفظا وكلمة وقد اشترك في إعداد الفتاوى جماعة من العلماء المبرزين ونقل في هذا العهد كثير من المصنفات العلمية إلى الفارسية والأردية وبالعكس"²⁶ ويفصل هذه الجهود تحولت الهند في فترة قصيرة إلى بلد إسلامي ومهد

²⁵ تاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د أحمد شلبي، ج 8، ص 293.

²⁶ حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، محمد واضح رشيد الحسني الندوي، ص 33.

علمي وانتقلت الثروة الأدبية والعلمية والدينية إلى الفارسية والهندية بأقلام كبار أساتذة العصر.

كان عالم كبيراً وملياً عظيماً وكيساً وحازماً في أمور المملكة مع شغوفه بالعلم حيث اطلع في عهده على تأليف كتاب قيم باسم الفتاوى العالمكيرية فهي أجلها وأنفعها في كثرة المسائل وسهولة العبارة وحل العقيدة وهي التي اشتهرت في بلاد العرب والشام ومصر والقاهرة بالفتاوى الهندية وهي ست مجلدات كبار.

نرى كثيراً من المراكز العلمية آنذاك في الهند مثل ملتان وسند وكجرات وجونبور كل هذه الأماكن مهاد للعلماء ومراكز العلم ولذا ورد إليها أهل العلم من خارج الهند واشتغلوا بالتدريس وانتشر العلم في كل ناحية من نواحي الهند وتخرج عليهم جماعة من الفضلاء ونهض من كل قرية علماء كثيرون مشهورون أشهرها بلكرام، هركام، وأميتهي، وكاكوري، خير آباد وسندلية. وبالأسف إذا نزر هذه الأماكن الآن فنرى هناك مقابر للأسلاف والنذور والحفلات ويفدون إليها الناس بالبركة والشفاء للأمراض وغير ذلك.

والحق، وقد التقى الهند كثيراً من العلماء النابغين في العلوم الإسلامية الذين قصدوا الهند عقب الإضطرابات السياسية في العالم العربي، وقد قاموا هؤلاء العلماء بخدمات جليلة في نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية، هذا في جانب وفي جانب

آخر، ولدت الهند العلماء الماهرين من العلوم النقلية والعقلية الذين شاعوا شهرة الهند وأهبوا صيتها في أرجاء العالم كلها، فأورد في الصحف ضوءا خاطفا على بعض المحاولات من قبل الهنود في علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم النحو وعلم العروض وعلم البلاغة والشعر وغيرها.

مصنفاتهم في التفسير :-

"تبصير الرحمن وتيسير المنان بالتفسير الرحمن" ألف هذا التفسير علاء الدين علي بن أحمد بن إبراهيم المهائمي المتوفى سنة 835 هـ/1431م، يعد هذا التفسير من أشهر التفاسير القرآنية في الهند. من أهم مميزات هذا التفسير ربط الآيات القرآنية بعضها ببعض. وقد نقل صاحب "سبحة المرجان" نماذج عديدة من هذا التفسير. طبع هذا التفسير أولا بدلهي في عام 1286 هـ / 1869 م ثم في مطبعة بولاق بمجلدين.

وفي الحديث

ومنها "مشارك الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفية" للشيخ الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني اللاهوري. فقد قام فيه بترتيب الأحاديث المندرجة في الصحيحين كلاهما بأصول جيد، وهو يحتوي على اثني عشر بابا. ومن كتبه "مصباح الدجى في حديث المصطفى والشمس المنيرة".

وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للشيخ علي بن حسام الدين المتقي
البرهانفوري. وهذا الكتاب ترتيب "جمع الجوامع" للعلامة السيوطي ويعد من الكتب التي
يتداول بها علماء الحديث كثيرا. ومنها "الدرر الثمين في مبشرات النبي الأمين"
و"النوادر من الحديث" و"حجة الله البالغة" وصاحبها الشيخ شاه ولي الله الدهلوي الذي
ناطق هذه الدولة وحكيمها، وأنه رحل إلى الحجاز وأخذ العلم عن الشيخ ابن طاهر
وعن غيره من أئمة الحديث، وجد وكد ودرس وخرج وصنف وقد نفع الله بعلمه كثيرا
من عباده المؤمنين، وأنه طمس بجهوده من فتن البدع ومحدثات الأمور بالكتاب
والسنة.

ومصنفاتهم في الفقه

فتح المعين اسمه الكامل "فتح المعين بشرح قرّة العين". وهذا الكتاب شرح
الكتاب "قرّة العين بمهمات الدين"، لما شعر المؤلف أن هذا الكتاب يحتاج إلى شيء
من البسط والإيضاح حتى يعم نفعه، نهض بشرحه حيث يحل رموزه الغامضة ويفصل
ما قال مجملا، فصار الكتاب مقبولا في فقه الشافعي، ولهذا الكتاب منزلة في الكتب
الفقهية الشافعية. وأبوابه مرتبة ترتيبا منظما علميا، ومسائله واضحة لا غموض فيها.

عقد الجيد في أحكام الإجتهد والتقليد

هذا الكتاب أيضا للشيخ شاه ولي الله الدهلوي. ويحتوى هذا الكتاب على خمسة أبواب. ويبين في الباب الأول عن المبادئ الأربعة للاجتهد، وفي الباب الثاني عن الخلافات بين المجتهدين والفقهاء، وفي الباب الثالث يعقد على اتباع عهد المدارس الفقهية الأربعة، وفي الباب الرابع عن طبقات الناس المختلفين وقدرتهم على استخراج المسائل، وفي الباب الخامس ينبئ القراء ألا يستغلوا التقليد لمصالحهم الذاتية. وله كتاب أيضا الإنصاف في بيان سبب الاختلاف، هو يستعرض فيه الاختلافات الفقهية المتبعة لدى الفرق الإسلامية المختلفة. ويناقش هذه الخلافات بطريقة علمية قيمة

مصنفاتهم في النحو:.

كتاب المقصد للشيخ تاج الدين محمود بن محمد الدهلوي المتوفى سنة 891 هـ / 1486 م ومنها هداية النحو للشيخ سراج الدين بن عثمان الأودي وهو كاتب مقبول متداولة بأيدي الناس ومنها شرح لب الأبواب للشيخ يوسف بن الجمال الملتاني المتوفى 790 هـ / 1388 م.

أما مصنفاتهم في طبقات العلماء ومنها: معدن الجوهر للمولوي مهدي بن الغارض المدارسي وآثار الأول في تراجم علماء فرنكي محل للمولوي عبد الباري بن عبد الهاب اللكهنوي وسبحة المرجان للسيد غلام علي بن نوح الحسنى البلكرامى.

وفي السيرة النبوية كتاب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن يوسف الحسني الدهلوي والحدائق الحاضرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة، والمنتخب المصطفى في أخبار مولد المصطفى والمناهج إلى معرفة المعراج للسيد عبد القادر شيخ الحضرمي الكجراتي.

ومن الشعراء الماهرين وشعرهم في هذا العهد: والشيخ سعد بن مسعود بن سليمان اللاهوري وهو أول من برع في العلوم العربية من أهل الهند وجمع ديوانا له ومن شعره:

ثق بالحسام فإنه ميمون واكب وقل للنصر كن فيكون

وأمر خسرو بن سيف الدهلوي شاعر ماهر في قصر علاء الدين الخلجي وكان بارعا في اللغة الفارسية ومع ذلك أنه ماهر في اللغة العربية وله أبيات رائعة بالعربية منها قوله :

يا عادل العشاق دعني باكيا إن السكون على المحب محرم

من بات مثلي فهو يدرس حالتي طول الليالي كيف بات متيمم

ومنهم السيد غلام علي البلكرامي له سبعة دواوين بالعربية سماها السبعة وقصيدة في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم سماها مرآة الجمال وله مزدوجة في البحر الحقيقي.

شأن المحب في صبابته الهجر يقتله والوصل يحييه

لولاه ما شافه عرف الصبا بحرا ولم يكن بارق الظلماء يشجيه

ومنهم الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي وأنه شاعر موهب وله ديوان في

الشعر ومن شعره :

أن نجوماً أو مضت في الغياهب عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب

إذا كان قلب المرء في الأمر حائراً فاضيق من تسعين رجب السباسب.

جدير بالذكر إن هؤلاء العلماء الكبار ما زالوا في جهودهم بفضل عناية الملوك

المسلمين بالعلم والفن، حتى نهضت العلوم الإسلامية في الهند. وقاموا بتطوير التعليم

الإسلامي وبالتجديد وإحياء كل العلوم التي نشأت وتطورت من الحين آخر. ولذا

أصبحت الهند بعنايتهم بالعلم آخر ملجأ لعلماء الإسلام، فيأتي إليها العلماء أفواجا من

بلاد أخرى. وأشار إليه المؤرخ الشهير ضياء الدين برني في كتابه تاريخ "فيروز شاهي"

قائمة طويلة للعلماء المسلمين غير الهنود الذين وصلوا إلى الهند في عهد السلطان

شمس الدين ألتمش بعد استيلاء التتاريين على العالم الإسلامي. ومن هؤلاء الأجلاء

الشيخ رفيع الدين الشيرازي والشيخ جلال الدين الدواني. وعمرؤا بدروسهم الفياضة

للحياة الهندية، وخلفوا وراءهم خزائن كتب قيمة من العلوم الإسلامية التي تضيء اليوم

في الهند كلها من آثار ذلك العهد الميمون.

الباب الثاني : ندوة العلماء والتقدم اللغوي والعلمي في الهند

الفصل الأول : ظروف المسلمين في الهند في مطلع القرن التاسع عشر

حكم المسلمون الهند منذ أن فتحها محمود الغزنوي في أول القرن الحادى عشر الميلادى، فظلوا يتداولون حكمها دولة بعد دولة حتى جاء الإنجليز تجارا فأكرمهم، وأتاحوا لهم فرصة المتاجرة وأسسوا شركة تجارية سموها "الشركة الهندية الشرقية"، حتى قضوا نهائيا على الحكم الإسلامى سنة 1274هـ / 1857م. وقد بلغ المسلمون فيها أوج عزتهم في الحكم وذروتهم في الحضارة وال عمران. وكانت الشريعة الإسلامية هي الأساس العالم لحكم البلاد، وسرعان ما صارت قيادة المسلمين في القرون المتأخرة بأيدي أناس لم يكونوا جامعين بين الدين والدنيا، وانفرد الملوك لدنياهم وانقطع العلماء لدينهم، وبقي العامة لا قائد لهم ولا رائد. واستطاع المسلمون بفضل حكمهم وملكهم، وكون شريعتهم نافذة، أن يقوموا بما يحفظ للمسلمين دينهم وثقافتهم. وقد وجدوا من الأمراء من الحفاوة والاحترام ما يجعلهم ينشئون المعاهد الدينية لدراسة الشريعة واللغة العربية. وكان وصول الملوك والأمراء إلى الهند واتخاذها وطنا لهم و دفاعهم عنها ونهوضهم بإصلاحها، صار دافعا لرقبها، حتى أصبحت تعرف بجنة آسيا.

لما استتب الأمر للإنجليز تغير الحال وبدأ نفوذهم يتسع، وعزلوا المسلمين من وظائفهم ليعطوها للهنود، هكذا كانوا يحققون هدفين بعمل واحد أو يضربون عصفورين

بحجر واحد، ثم تغيروا القوانين الإسلامية كلها وعزلوا قضاة المسلمين وعينوا قضاتهم يحكمون على أساس القوانين الجديدة التي وضعوها بدلا من الشريعة الإسلامية. هكذا استأصلوا جذور المسلمين فصاروا أذلاء بعد ما كانوا أعزاء، وضعافا بعد ما كانوا أقوياء.

ويحكي السيد عبد المنعم النمر قول "هنتر" W. Whenter عن أحوال المسلمين حينما احتل الإنجليز فيقول: "هذه الحقائق عن بنكال التي عشت فيها زمنا طويلا أكتبها كما شاهدتها عن حالتي اليسر والعسر للأسر الملكية وغيرها ليعرف الشعب الإنجليزي ما عرفته في هذه البلاد، ومع ذلك فإن ما أذكره عن بنكال يمكن أن يصدق أيضا على كل مقاطعات الهند التي وقعت في قبضتنا. ثم يقول: "إن في مرشد آباد وما حولها كثيرا من الأمراء الذين كانت لهم سطوة في الماضي مما لاتزال نرى آثاره في قصورهم وهي بقية آثار المجد السابق. ومع ذلك فقد تحولت هذه القصور التي يسكنها هؤلاء الأمراء إلى قصور خاوية. فسقفوها قد خربت ينهمر منها المطر على سكانها الأمراء كأنه لا فرق بين داخل القصر وخارجه، وقد تحولت الحدائق التي كانت ممتلئة بالورود المتنوعة إلى أرض جداء ممتلئة بالأشجار والشوك، وأصبحت

الأحواض الجميلة التي كانت تحوطها الورود، وتسبح في مياهها الأسماك الملونة، أصبحت حفرا ممتلئة بالقاذورات".²⁷

هكذا أصبحت الهند في الصراع بين الشرق والغرب فكانت الحياة الإسلامية على أساس العقيدة والإيمان والحياة الغربية على أساس القوة والتقدم وصاروا ينشرون ثقافتهم وعقيدتهم اللادينية. وكانت هي أزمة عظيمة للمسلمين، لأنهم أهل عقيدة ثابتة، مما يجعلهم يدافعون عن دينهم. وعلوا أن المدارس التي فتحها الإنجليز، رغم ما يوجد فيها فرص التعليم المعاصر، إلا أنها تضر في مناهجها الحيلة والمكيدة لكيان المسلمين، وذلك بغرس الثقافة الغربية في قلوب الناشئين. لاسيما المدارس الابتدائية، لأن أبناء المسلمين مطبوعون على ثقافتهم المسكينة التعسة.

ومن حسن حظهم أن قد كان لهم مدرستان في آخر العهد الإسلامي وبداية العهد البريطاني هما مدرسة الشيخ ولي الله الدهلوي ومدرسة الملا نظام الدين، تختلفان في المنهج التعليمي، مدرسة الملا نظام الدين شكلت بهدف كسب العلم وتطهير للنفس مع الاهتمام بالعلوم العقلية ودفع العلماء إليها. وأما مدرسة ولي الله الدهلوي فإنها شكلت على صيغة الدعوة الدينية وخدمة العلوم الإسلامية. كما كانوا يهدفون إلى القضاء على التيارات الفاسدة كالشيعة ورجال البدع والبراهمة.

²⁷ تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص -521 .

ثم أنشأت مدارس عصرية أخرى في بنجاب ودهلي وأدخلت العلوم العصرية محل العلوم الإسلامية. وفي هذا الوقت خاف العلماء المسلمون انتقال السيادة العلمية إلى أيدي الإنجليز. وثورة عام 1857م التي سببت مقتل عدد كثير من العلماء والصالحين وتشريدهم صارت هي الأخرى في تخلف المسلمين، ولم يكن أمام العلماء إلا أن يجهدوا بما يمكن به الاحتفاظ بالعلوم الإسلامية وإعداد جماعة من الدعاة المجاهدين للنضال بالسيف والقلم لمكافحة الغزو الفكري والعلمي، وحركة "ديوبند" جاءت تلبية لهذه الفكرة وبدأوا يقاومون النزعات الغربية والتبشير المسيحي وأنشأوا لذلك نظاما تعليميا وقضائيا خاصا. وفي هذا الأوان أدرك سر سيد أحمد خان خطورة تخلف المسلمين في التعليم وعجزهم عن المناصب الإدارية واستلاء غيرهم على المناصب الإدارية، فغلبت عليه فكرة تنشيط وتعليم المسلمين تعليما عصريا فأنشأ مدرسة عصرية "مدرسة العلوم" بعليكره عام 1303 هـ / 1886م. لرفع مستوى التعليم في المسلمين ولكنها قد انمهرت في تيار حضارة الغرب وثقافته. وفتحت في بعد ثورة 1857 م شبكة من المدارس وأهمها دار العلوم ديوبند، أسسها الشيخ محمد قاسم النانوتوي عام 1283 هـ / 1866م واختار لها منهجا يتميز عن سائر المناهج خاليا من كتب الفلسفة. وكانت مدة التعليم ست سنوات. والعلوم العقلية في نظرهم تدفع صاحبها إلى الظلمة النفسية والتشويش الفكري. بينما تكون العلوم الدينية تبعث النور والبركة. وأبناء هذه المدرسة كانوا يجتهدون لمحو البدع وإصلاح العقيدة والدعوة إلى

الدين وإتباع السنة ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم وإقامة عقيدة التوحيد. وتفرغت منها مدارس في أنحاء الهند مثل مدرسة مظاهر العلوم ببهارنפור ومدرسة الشاهي بمراد آباد والمدرسة العالية برانفور وغيرها. ثم نشأت حركة التجديد في التعليم لأنه المبشر المسيحي "ورن هيسنتعز" قد جاءت مدرسة في كلكتا بهدف إعداد المسلمين لخدمة الحكومة عام 1266 هـ / 1850 م. ويقول الأستاذ أبو الحسن علي الندوي: "صارت قيادة المسلمين في القرون المتأخرة إلى أناس لم يكونوا جامعين بين الدين والدنيا، فحدث في الإسلام بدعة فصل الدين والدنيا ولما طال بعد العلماء عن الحياة صاروا أجنب عن الحياة وعن الدين والسياسة حتى إذا تدخلوا في شأن من شؤونها كان ذلك حجة لأهل الدنيا على أهل الدين لعدم خبرة العلماء وقلة مهارتهم في شؤون الحياة وعلوم العصر. وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وبمسائل لا تجدى نفعا وتشاغلوا في الزمن الأخير بالجدل والشقاق والتفكير والتضليل".²⁸

وموقف الإنجليز وسياستهم سببت وجود فئتين من العلماء المسلمين: الفرقة الأولى المتحفظون، وهم علماء مدرسة ديوبند، المتمسكون بالقرآن والحديث والمقاومون كل التيارات الغربية. والطائفة الثانية المنقادون للغرب في أسلوب عملهم وسلوكهم العلمي. ومع ذلك نشأت العصبية المذهبية في التعليم الديني، وكان الدرس النظامي

²⁸ حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، محمد واضح رشد الحسني الندوي، ص 95.

الذي اتبعته المدارس، يهتم بأصول الفقه اهتماما كبيرا. وكان نصيب الحديث فيه ضئيلا، وكان المدرسون معظمهم يتبعون المذهب الحنفي. ولما دخل الحديث في المدارس التابعة لمنهج ديوبند، اتسعت الخصومة بين رجال الحديث السلفيين والحنفيين، وصارت المساجد والمدارس مسارح الجدل والقتال وانقسمت المساجد إلى حنفية وغير حنفية واشتدت المخاصمات بين أتباعها للأمر التافه والمسائل الفرعية. يشير إليه الأستاذ إسحاق جليس الندوي قائلا: "كل يعرف مخاصمة التقليد وعدم التقليد قائمة منذ زمان حصل بهذا مخاصمات كبيرة بين هذين الفرقين، عوقب المسلمون بسبب هذا حتى سجن بعضهم، ووصل كثير من الشكاوي إلى المحكمة بالمخاصمة على رفع الصوت في أمين وعدم الرفع، رفع اليدين في التكبيرات وعدمه، فكم أهينت الكتب المقدسة في المحاكم الإنجليزية".²⁹ وأما الفرقة الثانية فرقة المنقادين للغرب ومن رئيسها السرالسيد أحمد خان الذي تحاول إقامة اتصال وتسوية مع الغرب الحديث وبذل كلا الجانبين لإنقاذ المسلمين من الوضع الحرج الجديد.

وجماعة أخرى من العلماء أدركوا محاسن هذا وذلك ومساوئهما، وكانوا لا يرون بأسا في الأخذ عن الغرب ما هو النافع كما أوجبوا البقاء على المقومات الدينية التي هي الأصل والأصيل، حتى يستطيع الأمة مكافحة الغرب بأسلحتهم ومواكبة العالم في

²⁹تاريخ ندوة العلماء، لأستاذ إسحاق جليس الندوي، ج 1، ص -202.

حضارته وثقافته محافظين على أصل الدين وأصيله. ويمثل هذا الموقف الشيخ الكبير محمد علي المونكيري والشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آباد.

هؤلاء وأمثالهم اجتمعوا سنة 1892 م الموافق 1310 هـ في حفلة مدرسة فيض العام في كانفور. وبحثوا عن ظروف المسلمين السائدة ومسائل التعليم ومستقبل المدارس الدينية ورأوا ضرورة تأسيس جمعية دينية علمية. وندوة العلماء كانت نتيجة هذه الحفلة المباركة.

الفصل الثاني: خلفية تأسيس ندوة العلماء ودار العلوم

إن حركة ندوة العلماء تمثل ثورة على الحضارة الغربية التي كادت تتربع على العقل المسلم وأفسدت عليه أخلاقه وشخصيته. وكان ظهورها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. وكادت الثقافة الغربية تبتلع بكل قوتها ونشاطها جميع مقومات الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي، بما صارت الأمة المسلمة في جمودهم، وحاول الغرب أن يستبد على الشرق كاستبداد الضعيف على القوى وسرعان ما أسدل الستور عليها جماعة من العلماء الريانيين ممن رزقوا الإيمان والقوة والعلم فلم يسمحوا للغرب بتحقيق أمانهم الفاسدة.

يقول الأستاذ محمد الرابع الندوي عن الظروف التي أسست ندوة العلماء "ندوة العلماء جمعية إسلامية أهلية عامة أنشئت في السنة الحادية عشرة من القرن الرابع عشر الهجري في حفلة عقدها كبار علماء الإسلام في شبه القارة الهندية للتشاور في ظروف المسلمين السائدة وأوضاعهم الراهنة، حين اشتدت وطأة استعمار الإنجليز عليهم وأصبحت المدينة الغربية الزاحفة إلى الشرق تبهر عيون السذج والطبقة المتعلمة منهم، وفي نفس الوقت كان رجال العلوم الدينية في جدال وعراك على خلافياتهم

الفقهية واختلافاتهم المذهبية غير مبالين بالأخطار المحدقة بالإسلام والأمة الإسلامية".³⁰

إن ظهور ندوة العلماء إذًا في ظروف قارصة، وقد وضعت نصب عينيها الجمع بين محاسن العلوم القديمة ومنافع العلوم الجديدة، تولى قيادتها الشيخ محمد علي المونكيري، وهو بنفسه قام بتشكيل مناهجها والتوجيهات الإدارية، وذلك في جلسة عقدها في مدينة كانفور 1310هـ / 1893 م. وحضر هذه الجلسة أولو العزم والغيرة من علماء الهند من أمثال شيخ الهند مولانا محمود حسن، رئيس هيئة التدريس بدار العلوم، ديوبند، وفضيلة الشيخ مولانا أشرف علي التهانوي بمدرسة جامع العلوم كانفور، وفضيلة الشيخ مولانا خليل أحمد السهرانبوري، أستاذ دار العلوم ديوبند، ومولانا شاه محمد حسين آله آبادي، ومولانا السيد محمد علي المونكيري، ومولانا لطف الله العلي كرهى، ومولانا ثناء الله الأمرتسري، ومولانا نور محمد البنجابي، والعلامة شبلي نعماني، ومولانا أحمد حسن الكانبوري، ومولانا شاه سليمان الفلواروسي، ومولانا السيد ظهور الإسلام الفتح بوري، ومولانا عبد الغني خان مرشدآبادي، ومولانا حكيم فخر الحسن اللكهنوي، ومولانا شاه تجمل حسين الدستوي.

³⁰ ندوة العلماء فكرتها ودورها ومنهجها، محمد الرابع الندوي، ص 3.

يقول العلامة السيد عبد الحي رحمه الله عن هذه المبادرة: ندوة العلماء هي المؤسسة التي تمثل فصلا من أروع فصول تاريخ الوعي الإسلامي والقيادة الإسلامية والفكرة العلمية، فهنا تجسم الشعور بالواقع المرير، الذي كان يعيشه المسلمون ليس في شبه القارة الهندية فحسب، بل في العالم الإسلامي في فجر القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي، من تمزق الشمل وتشتت الفكر".³¹

والخاصية الفكرية التي تحتضنها ندوة العلماء وسلوكها التربوي تتمثل في كلمات الشيخ أبو الحسن علي الندوي حيث يقول: "كانت حركة ندوة العلماء الفكرية التي أسسها الشيخ محمد علي المونكيري، وقادها العلامة شبلي النعماني وزملاؤه. ودار العلوم التابعة لها، جديرة بأحداث قنطرة تصل بين الثقافتين: الإسلامية والغربية، والطبقتين: علماء الدين والمثقفين العصريين وأحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم والجديد. ويعتبر أصحاب هذه المدرسة الفكرية "بين القديم الصالح والجديد النافع" وبين التصلب في الأصول والغايات، والتوسع والمرونة في الفروع والآلات." كانت قادة هذه الفكرة ينظرون إلى مناهج التعليم وبرامجه كأداة التعليم قابلة للنمو والتطور. خاضعة لحاجة كل عصر، ومقتضاه ولم يكونوا ينظرون إليها كأدات حديدية لامرونة فيها (مع الاحتفاظ بالروح والأهداف والعلوم الأساسية) وهي عندهم حافلة بالحيوية الكاملة والازدهار، وبتعبير آخر، إن الدين حقيقة خالدة ليست في حاجة إلى تطوير

³¹ حياة عبد الحي، للشيخ الندوي، ص 141.

أو تبديل، ولكن العلم شجرة مزهرة مثمرة تؤتي أكلها كل حين، ويستمر نموها وازدهارها، والإسلام عندهم دين الإنسانية كلها ودين العصور كلها لذلك من الطبيعي أن يمر بمراحل التطور، والارتقاء الفكري الإنساني المختلفة، ويكلف القيادة في بيئات تتغير فيها الأفكار والمفاهيم لذلك يجب أن يوسع نطاق التعليم والثقافة الذي يعد ممثلي الإسلام ومفسريه، ويبرهن دائما على صلاحها وحيويتها".³²

وتاريخ ندوة العلماء لم يكن تاريخ مدرسة أو معهد ديني فحسب، بل هي سجل حركة تربوية واعية وهادفة، حركة علّمت العالم كيف يمكن التغلب بعناصر الإيمان والعلم على قوى المادة والسيطرة. كما علمت نظام الحكم البريطاني حدة المسلمين وقوتهم للبقاء في سبيل الحق والعدل، وتماسكهم فيما بينهم من أجل إعلاء كلمة الله. وكان بروز الندوة في الحقيقة تهديدا للقوات الإنجليزية التي كان رجالها يؤثرون بقاء المسلمين في الجهل والتخلف. وقد فتح الإنجليز المدارس الإنجليزية العامة وخاصة في المناطق المعمورة بالمسلمين، وذلك لجذب أبنائهم إليها ونشر المبادئ العلمانية في قلوب الناشئين ودعوة المثقفين إلى السلوك اللا ديني بدلا أن يكون متعصبين لدين خاص.

³² ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة، أبو الحسن علي الندوي، ص 7.

والسيد أبو الحسن علي الندوي يشير إلى خطورة حضارة الغرب في معرض

كلامه عن الشاعر الهندي السيد أكبر حسين الآله آباد:

"ياحسرتا على فرعون! ذهب عليه أن ينشئ كلية في مصر فلا يذكر بفضيحة

قتل الأولاد".³³

وفي هذه الفرصة نلفت أنظاركم ونوجه اهتمامكم إلى تلك الظروف القاسية
والفترة العصبية من التاريخ التي عرفت بقسوتها البالغة وألقى المسلم في مدرجة
الخطوب جثة بادخال كل نوع من الخوف والذعر في قلوب المسلمين، وكل لون من
اليأس والضجر في حياتهم وهم متخلفون في كل مجال من الحياة، وتفتح في كل ناحية
مدارس عصرية إنجليزية وتجري المناظرات بين المسلمين والنصارى، وصنفت كتب
كثيرة ضد الإسلام والمسلمين. وكان الفكر الأروبي يبسط سيطرته ونفوذته في جميع
أرجاء البلاد.

وكان العلماء القدامى منقطعين إلى إشعال الفتنة المذهبية وتكفير بعضهم
البعض، نرى هذه الأحوال اليائسة القبيحة اليوم بين علماء كيرالا وهم في مخاصمات
شديدة لأمر تافهة ومسائل فروعية. والاختلاف في الفروعيات لا يأتي بفائدة، كما قال
السيد سليمان الندوي: وإن الاختلاف في الفروع حرام كحرام أكل لحم الخنزير. وهذه

³³ شرح كتاب "الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف"، السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي، ص

الاختلافات أدت إلى إيجاد الفرص لحكام الإنجليز للتدخل في معتقدات الدين الإسلامي وعبثوا بها كما أشار إليه السيد إسحاق جليس الندوي.

ويمكن القول إن تأسيس ندوة العلماء يأتي وسطا بين النزعات التربوية التي كان يمثلها دار العلوم ديوبند ومدرسة عليكره لسر السيد أحمد خان. وكان رجالها على وعي كامل بروح الدين الإسلامي من بين تلك الاختلافات فأثروا ذلك، كما كانوا يعرفون ما يحدث في العالم الغربي محاسنه ومساوئه. وتم الجمع بين هذا وذاك.

أهداف ندوة العلماء

أنشئت ندوة العلماء ودار العلوم لخدمة الأمة المسلمة التي كانت تبعد عن الدين الخالص، وهم في نحلة المبطلين وتأويل الجاهلين وعقيدة الغالين. ورسمت الندوة مناهجها أمام العوام والخواص. وقامت بتوعية الناس بما يحيط بهم من أخطار الشيعة والقاديانية والصوفية الغلاة، وبصّرتهم بضرورة إنشاء مدرسة القرآن والإيمان ومصنعا لخلق الجيل المثالي، وإليه يشير العلامة أبو الحسن علي الندوي:

"وأن السعادة كل السعادة في الرجوع إليه والاعتداد به وفي نظرتها العلمية، وفلسفتها التعليمية، على أن العلم وحده لا ينقسم إلى قديم وحديث، وشرقي وغربي، وإن انقسم فإنما ينقسم إلى صواب وخطأ ونافع وضار، وأصول وفضول، وغايات ووسائل، وفي موقفها من الأخذ والترك، والانتفاع والاعتباس على التعليم النبوي الحكيم،

"الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها". وعلى المبدأ القديم الحكيم "خذ ما صفا ودع ما كدر".³⁴

تركزت ندوة العلماء ودار العلوم على ثلاثة جوانب مهمة: أولها إصلاح النظام التربوي والتعليمي وتطورها حسب مقتضيات المجتمع الإسلامي الراهن بما يناسب جوهر الإسلام. ورجال الندوة سعوا ورفعوا أصواتهم للإصلاح والنظام التعليمي التطبيقي لرفع مستوى الأمة المسلمة. والمبدأ المعروف لديهم: "أخذ القديم الصالح والجديد النافع" استطاعوا به الوصول بالمجتمع إلى الوسطية وإبعادهم عن التطرف والغلو والجمود الديني والفكري، مما قوبلت أعمالهم بتقدير الجميع واحترامهم.

وأما اللغة العربية فإن الندوة أولت بالغ الاهتمام بدراستها وتدريسها ونشرها، وتحقيقا لذلك قام رجالها بتأسيس المدارس العربية في مختلف أنحاء الهند. ولم تكن الدراسة فيها مقصورة على الأسلوب التقليدي، بل تعدى إلى خلق الروح الإبداعي في طالب العلم الذي من شأنه أن صار الكثير من أبناء هذه المدارس كتاب قادرين مبدعين، كما تدريبوا على فن الخطابة، وقد سنحت الفرصة لهم للتبادل العلمي بسفرهم إلى البلاد العربية، والعلامة شبلي النعماني والسيد سليمان الندوي والأستاذ مسعود عالم الندوي والأستاذ أبو الحسن الندوي. كل هؤلاء من الصفوة الخيرة من أبناء الندوة القادرين

³⁴ ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة، أبو الحسن علي الندوي، ص 11.

في اللغة العلوم والآداب. هذا إلى جانب الاهتمام الكبير بدراسة اللغة الإنجليزية وآدابها، مما استطاعوا الوقوف الوقتي على المستجدات العالمية.

توحيد صفوف المسلمين

والهدف الثاني الذي كان تصبو إليه ندوة العلماء هو جمع كلمة المسلمين، وبصفة خاصة الاتحاد بين العلماء منهم، إذ كان العلماء في هذه الفترة مصدر جدال وخصومة في التوافه. يقول الأستاذ محمد الحسني رحمه الله: "كانت المساجد ميدان الصراع بين المقلدين وغير المقلدين يحاولون إخضاع الآخرين، يكتبون على جدران المساجد هذا مسجد للمقلدين وهذا لغير المقلدين حتى يرمون القاذورات هذا المسجد وذاك لمسجد آخر".³⁵

كما أن العناصر المسيحية في البلاد قويت في هذه الفترة، وكانوا ينالون من الشعائر الدينية وشخصية الرسول، وحاولوا تضليل الشعب المسلم، مما لفت إليه انتباه الندوة ونهض علماءها بقلمهم ولسانهم لدحض أباطيلهم، وكان الشيخ محمد علي المونكييري في طليعة من تصدى لهم.

وعلى حد تعبير الشيخ محمد علي المونكييري كان أهداف ندوة العلماء منقسمة إلى قسمين أساسيين، ولتعيين أهداف الندوة درس الشيخ المونكييري الأوضاع التي كان

³⁵ سيرة محمد علي المونكييري، الأستاذ محمد الحسني،

يعيشها المسلمون وقال: "أسفا على أفواج المتخرجين من المدارس الإسلامية التي لا تستطيع الدفاع عن الإسلام والرد على الشبهات التي أثارها الفلسفة الجديدة وطبقة الملحدين، والأمر الذي عم العالم كله وإن علماء الإسلام هم المسؤولون عن إزالة هذا الوضع بأي طريق ممكن، أنني أرى أن هؤلاء المتخرجين لم يتعمقوا في العلوم الدينية ولا في العلوم الفلسفية رغم ان دروسها فمن الذي سيقوم بواجب هذا الدين مما يبعثني الأسف الشديد. أن هؤلاء يستطيعون أن يقوموا بواجب من الدين ولا أن يتولوا أمرا من أمور الدنيا بينما يتطلب العصر الحاضر رجالا جامعيين بين الدين والدنيا".³⁶ ووضع أبرز الأهداف لهذا الصرح العلمي الشامخ ، ومنها:

- 1، تعين المقررات الدراسية ومراعاة احتياجات العصر ومتطلبات الزمن. وذلك على نظام شامل متزن بحيث يمكن الجمع بين المقومات الدينية والمتطلبات العصرية.
- 2، إقامة الأخوة والمحبة بين المسلمين عامة وعلماء المسلمين خاصة ورفع النزاع والشقاق فيما بينهم، حصل بسبب الخلافات الفروعية بين المذاهب. ويقول أيضا: "هذه الجمعية بعد ما قررت اللجنة أن تجعل النظام التدريسي بأن تكون خريجها لديهم خبرة عن المعيشة، والأمور مع مراعاة الدين والشريعة كي لا يكونوا كلا على غيرهم، وتنفذ

³⁶ صحيفة الرائد، الهند، سنة 1395هـ.

هذه المقررات في جميع المدارس الإسلامية، وأن يزيل الخلافات الفروعية ويحاول جمع المسلمين على الكتاب والسنة".³⁷

والثالث: تصحيح المفاهيم الدينية الإسلامية وإخضاعها لما ثبت من الكتاب والسنة ودعم الفكر الإسلامي الصحيح عن طريق الكتابة والتأليف والترجمة ونشر الدعوة الإسلامية. وأبناؤها دائما يحاربون منذ تأسيسها أهل التحريف والعقائد الضالة وأهل البدع والخرافات والشرك وعقائد القاديانية وحركة التنصير. وتم تأليف رسائل وكتيبات في ذلك. وكان الشيخ محمد علي المونكيري هو بالذات يعمل في هذا المجال، وكان لا يألو جهدا في مقاومة القاديانية وحركة التنصير، وبالسعي المستمر استطاع أن يردّهم إلى توحيد الإسلام، ولعله هو الوحيد الذي قام بهذه المهمة في ذلك الوقت، وقد نذر حياته للتصدي لهم، حتى صار تهديدا للحركات التنصيرية، وقد تم إرجاع الكثير إلى حظيرة الإسلام ممن انجذب إليهم.

ثم انعقدت مؤتمرات الندوة للموافقة على منهجها الدراسي. وتم إختار اثني عشر رجلا من العلماء الكبار من أنحاء البلاد، وعلى مقدمتهم العلامة شبلي النعماني. ونهض بدوره في إعداد المناهج الدراسية واقفا على مفهومها التربوي. إلا أن المتعصبين

³⁷ سيرة محمد علي المونكيري، الأستاذ محمد الحسن

من العلماء قابلوه بالنقد والاعتراض، إذ كانت تحتوي على دراسات اللغة الإنجليزية التي كان يمقتها المسلمون آنذاك بيغضهم للإنجليز.

وتركزت المناهج الدراسية كثيرا على العلوم الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة. علما بأنها من المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية، فلا بد من دراستهما برعاية ودراية عميقة.

وندوة العلماء بهذه الخطوة الجادة، لم يكن يستفيد منها بلاد الهند فحسب، بل كان العالم الإسلامي كله ينتظر لمن يأتي ببديل حاسم في مجال التربية والتعليم، وخصوصا إن نهاية القرن التاسع عشر كانت تشكل خطرا كبيرا للبلاد العربية والإسلامية، حيث بسط قوات الاستعمار نفوذهم فيها، ومُحيت منها معالم الإسلام والعربية، مما يمكن القول إن الندوة ومعاهدها التعليمية بقيت أمام العالم كنبراس يضيء للبلاد العباد طريقهم إلى الأمام. وكلمات الشيخ الندوي تشهد هذه الحقيقة:

"وكانت حركة ندوة العلماء فكرة ومدرسة فكرية أكثر من حركة اصلاح مناهج التعليم فحسب. وكانت لو قدر الله خطوة مباركة وفتحا جديدا يستحق التقليد في الأقطار المجتمعات الإسلامية التي خاضت في ذلك العهد في معركة الصراع بين القديم والجديد. ولكن هذه الحركة لم تحظ بالتعاون الواسع المتحمس الذي كانت تستحقه من كلتا الطبقتين: القديم والجديد لا تساع الفجوة بينهما، ولوجود التطرف والمغالاة

فيها... ولا تزال فكرة ندوة العلماء الفكرة الوسط والحقيقة التي تستطيع أن تنقد نظام التعليم الديني من الانهيار وتتفادى بها الأمة الصراع بين القديم والجديد، ووجود طبقتين متناوئتين متنافستين طبقة علماء الدين وطبقة رجال الثقافة الحديث".³⁸

³⁸ الصراع بين الفكر الإسلامية الغربية في الأقطار الإسلامية، أبو حسن علي الندوي، ص 67.

الفصل الثالث: الشخصيات البارزة وجهودهم في رفع شأن دار العلوم ندوة العلماء

لا تقوم مؤسسة أو حركة إلا بالجهود التي يبذلها رجالها وأتباعها، وبالنسبة إلى ندوة العلماء، فإنها بوركت في مبادراتها العلمية برجال أفاض، من ذوي العلم والتجارب والحنكة والبصيرة القوية، مما صارت الندوة ملجأ العلماء المسلمين لإنقاذ الشعب من الجهالة الدينية والثقافية والتبعية السياسية التي فرض عليهم الإنجليز. ومن الإنصاف أن نذكر هنا أبرزهم مساهمة في قيادتها وأكثرهم جهودا في مسيرتها وأحسنهم أداء في إدارتها. وهم:

1، العلامة الشيخ محمد علي المونكيري

كان من سنة الله تعالى أن يهب للأمة أشخاصا عظاما في كل زمان ومكان لرعاية الدين والدفاع عنه وصيانتته وتجديده وإصلاحه، ولا يزال سلسلتهم مستمرة حتى يورث الله الأرض من يشاء. وقد قاموا بنضالهم لإثبات الحق واستعادة العدل، وتعرضوا للاضطهادات والمعاناة من قبل الحكام والشعب. والشيخ العلامة محمد علي المونكيري أحسن مثال في هذا الصدد. وهو الذي بكانفور وشارك الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادي واختص به واستفاد من علومه كثيرا واشتغل في الدرس والتدريس حتى رسخ في قلبه العلوم والتحقيق والبحث.

ولا يزال أسفا عن مسلمين الهنود بمشاهدة فساد الأوضاع السائدة وبما يجري حوله من الحوادث التيارات المنحرفة وعن حلولها وإصلاحها، إن الغرب حاولوا محاولة شاقة لتحريف المسلمين عن عقيدتهم وإيمانهم وأدخلوا الشبهات والشكوك في قلوب شباب المسلمين في دينهم. ودعا إلى حركة ندوة العلماء وقام بصد النصرانية والقاديانية التي أثارت العداوة والفساد والضلال ضد الإسلام في عهده وسعى سعيا جادا في الدعوة الإصلاحية في دين الإسلام والمسلمين في تاريخ الهند.

ولا شك أن العلامة السيد محمد علي المونكيري هو رائد النهضة الإسلامية في الهند لأنه مؤسس دار العلوم ندوة العلماء المباركة التي انتفع بها الشعب المسلمة عموما. كما قام الشيخ بدوره في الرد على النصرانية والقاديانية التي جاءت نتاجا لمؤامرات الاستعمار.

هو رائد النهضة والتربية الإسلامية في الهند، والمسلمون في تقدمهم الثقافي ورقيمهم العلمي ووعيمهم السياسي مدينون لهذا الشخصية، ولد عام 1241 هـ / 1826م بمدينة كانفور، وأسرته متدينة وينتمي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، والبيئة التي شب فيها المونكيري لكفيلة بصياغة عقلية وثقافته. وبموت والده في صغر سنه صار يتيما، إلا أنه وفق لتربية صالحة تحت رعاية جده السيد غوث علي رحمه الله، وقد تلقى العلوم الابتدائية من عمه ومن الشيخ المفتي عنايت أحمد الكاكوري والشيخ لطف الله، كما درس أيضا في مدرسة فيض عام.

وهو الذي بادر إلى عقد اجتماع العلماء في كانفور للنقاش عن إنشاء معهد علمي جديد. وهو الذي تحول فيما بعد إلى ندوة العلماء، يشير إليه الأستاذ محمد الحسني رحمه الله "هكذا بدأت هذه الفكرة تتضج وتتور في رأس السيد محمد علي المونكيري رحمه الله تعضدها وتؤيدها التطورات الإجتماعية التي فطن إليه الشيخ وتغرسها حتى دعا العلماء والمفكرين وأولى الغيرة والحمية من المسلمين إلى إجتماع هام في بلدة كانفور في أبريل 1309 هـ / 1892م. حضرت فيه ستون أو سبعون شخصا من علماء الدين وأنشأوا هيئة إسلامية وسموها ندوة العلماء و اختاروا فيه السيد محمدعلي المونكيري رحمه الله أول مدير لها".³⁹

وقد كان لديه خطط واضحة عن مسيرة ندوة العلماء، ولما قوبلت أفكاره إقبال العلماء، بدأ يفكر عن مدرسة مثالية تحقق أهداف الندوة، ودار العلوم هي نتاج تلك الفكرة التي قادها الشيخ المونكيري، جاءت في حيز الوجود عام 1313 هـ / 1895 م. وهو بنفسه يوضح أهمية هذه المدرسة.

"إن الغاية من هذه الخطة أن يكون هناك طلاب يتحلون بالأخلاق الفاضلة والاهتمام بأمور الدين بحيث يؤثرون في غيرهم ويتربون على الشجاعة وعلو الهمة والطموح والسمو الفكري، ومعلوم أن هذه الأمور لا تحقق بصورتها الواقعية ما لم تكن

³⁹ البعث الإسلامي، العدد الخاص لمهرجان التعليمي

دار العلوم ولا بد من البراعة في جمع العلوم الإسلامية لاسيما في علم الكلام حتى تتمكن من محاربة الإلحاد والردة الفكرية بكل قوة".⁴⁰

إصلاحاته في منهج دار العلوم ندوة العلماء

وإذا أمعن النظر نرى أن الشيخ العلامة محمد علي المونكيري أول مجدد للمنهج الدراسي المتبع في الهند ومصلحه. قام بتنظيم التعليم والتربية لدار العلوم، بحيث يستوعب جميع العلوم والفنون التي لا غنى عنها في الزمن الحاضر، ووضع دستوراً جامعاً لندوة العلماء ودار العلوم. ومع هذا أيدى الله برجال أكفاء وعاملين من ذوي المؤهلات العالية والخبرات الواسعة في مجال التربية والتعليم من أمثال الكاتب الإسلامي الكبير العلامة شبلي نعماني الذي كان يشرف على نظام التعليم، حتى صارت ندوة العلماء ودار العلوم مشهورة بين علماء العالم ولا سيما في العالم العربي، فزارها علماء العرب. وأثنوا عليها وأشادوا بخدماتها، الآن نرى دار العلوم ندوة العلماء توسعت بنشاطاتها المختلفة ومناحي أعمالها وأقسامها وتوجهها إلى النشاط المتنوع من حركة النشر والتأليف والصحافة والرياضات الجسمية وغيرها، ومبانيها تقوم في ربوة واسعة، وكأنها تتحدث إلى من يرتادها بأمجاد السلف وأحلام الخلف.

الشيخ محمد علي المونكيري ودفاعه عن الإسلام

⁴⁰ محمد حسني، البعث الإسلامي، 1395 هـ.

إذا أجلنا الطرف على نشاطاته نرى أن عهده مملوء بالعداوة على الإسلام، يطعنه القساوسة المسيحية ودعاة التبشير والقاديانية. فكافحهم مكافحة شديدة وأكبلهم بكتابته وخطابته وكان لا يخاف في الله لومة لائم.

قاوم الشيخ محمد علي المونكيري بشدة حركة النصارى والدعاة التبشيرية. وقاوم مذاهبهم التشكيكية ومحاولاتهم لتضليل الشباب المسلم. وقام بتأليف الكتب والمنشورات لإبراز وجوه الباطل في مزاعمهم وتوجيه الشعب المسلم إلى المسار الصحيح في العقيدة والسلوك. وبهذا الصدد أصدر صحيفة "منشور محمدي" وألف "المرآة اليقين" في رد بطلان المسيحية، و"بيغام محمد" يعني رسالة محمد في دفع التلبسيات".⁴¹

ويذكر عنه الأستاذ محمد الحسني إنه كان منذ أيام دراسته ملما بما يجري حوله من حوادث وتيارات. وكان يتبعها بعقل واع. أذكر في هذه المناسبة مشروع دار العلوم، وضعه وطرحه الشيخ محمد علي المونكيري على المجلس التنفيذي سنة 1313هـ / 1895 م. وأرسل إلى كل من الشخصيات البارزة من رجال العلم والدين والفقهاء، وأكد فيه الشيخ المونكيري أمرين من أهداف ندوة العلماء: التعمق في علوم الدين ولا سيما الفقه والكلام، وتأهيل العلماء للاطلاع على أوضاع العالم ومتطلبات العصر.

⁴¹ الأعلام ممن في تاريخ الهند من الأعلام، السيد عبد الحي الحسني.

وقدم الشيخ في مشروع دار العلوم خطة واضحة محكمة للصفوف ومنهج التعليم ومدة التعليم وترتيب وتصنيف العلوم والمواد الدراسية وإقامة الطلاب والأساتذة وجدول الأوقات والأعمال. كما حرص على توفر التسهيلات الدراسية والسكنية للأساتذة والطلبة على حد سواء. واقترح للطلبة البذلة الإسلامية، وفنون الفروسية والرمي، وقرر إنشاء قاعة كبيرة للبحث والنقاش يتجمع فيه الطلاب ويبحثون كل شهر مرة أو مرتين في موضوع من المواضيع العلمية والأخلاقية، كما أنه أولى الاهتمام بتهديب الأخلاق، وتزكية النفس، والعناية الزائدة باللغة العربية. وأوجب الحوار باللغة العربية والتمرن على الخطابة بجانب البحث والمناظرة والتدرب على الوعظ والإرشاد.

وفي أيامه ظهرت القاديانية في ولاية "بهار" بنشاط وقوة فبدأ تأليف الكتب والرسائل في الرد عليهم. وبذل النفس والمال في سبيلها. ووقعت مناظرة بين علماء القاديانية وبين أهل السنة. وأفتى أن مقاومتهم فرض عين لكل مسلم وحرص الناس على الجهاد، مما لقيت القاديانية في هذه المناظرة هزيمة، واضطروا إلى الانسحاب من ميدان الدعوة. وما زال الشيخ المونكيري في مجال العمل بحماسة ونزاهة وثقة وتفاؤل حتى توفاه الله عام 1346 هـ / 1927 م. ويمكن القول إن المباني الشامخة والآثار اللامعة في رحاب دار العلوم ندوة العلماء تظل تبقى رمزا خالدا لإخلاصه ووفائه، والحسنات لا تموت.

2، العلامة شبلي النعماني

شهد العالم كله في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري صراعا بين القديم والحديث، والمسلمون في الهند آنذاك كان طائفتين. طائفة تمسكت بمنهجها القديم واعتبرت النقاش والدراسة ردة ومروقا من الدين، وطائفة يقبلون على كل حديث مستورد من الغرب مهما عارض العقل والنقل وناقض المأثور. وبسبب الاحتلال الغاشم الذي فرضه الإنجليز على الهنود أصبح المسلمون ضياعا وفي جهالة، وليس لهم من الثقافة الدينية إلا المسائل والخلافات فيها.

وفي هذه البيئة ولد العلامة شبلي النعماني عام 1273هـ / 1857 م ببلدة بندول في مديرية أعظم كره، وكان والده محاميا ووالدته متدينة تحب العلم والدين، وأحبت أن يكون ولدها بارعا في العلوم الدينية، فأرسله إلى مدرسة عربية في أعظم كره ودرس هناك العلوم العقلية والنقلية. ثم سافر إلى رامفور ثم إلى لاهور حيث ازدهرت العلوم وتنضرت الثقافة العربية، فصار ماهرا في العلوم العربية، وكان من أساتذته العلامة علي عباس الجرياكوتي، والشيخ هداية الله خان الرامفوري، والشيخ العربي الأستاذ مولانا محمد فارق الجرياكوتي، الذي كان يدرس في مدرسة (جمشت رحمت) في غازيبور.

يذكر عنه تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي: "كان محققا باحثا أديبا وشاعرا ومنشئا، وكاتبا قديرا وخطيبا مؤرخا ومتكلما مصلحا وسياسيا محنكا وإخصائيا في

التعليم، وثوريا من متطلبات ومقتضيات العصر الراهن. فكأنه باقة أزهار متنوعة ذات ألوان زاهية جميلة".⁴²

كما أشار محمد أكرم الندوي عن ذكائه النادرة ويقول: "كان العلامة شبلي طالبا على الذكاء النادرة والفهم القوي، وكان له قدرة فائقة في تحليل المشاكل وتوضيح المسائل".⁴³ وقد لازمه الشيخ النعماني ودرس منه اللغة الفارسية والعربية وأتقن في قواعد كليهما. ويشير أيضا في كتابه: "شبلي النعماني علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأديب".⁴⁴

يقول شبلي النعماني: "قرأت عليه جميع المقررات من كتب الفلسفة والمنطق ككتب 'الميرزاهد' و'الملا جلال' و'حمد الله' و'شرح المطالع' و'الشمس البازغة'، ولم تمض مدة يسيرة من الزمن حتى طلع نبغ في معظم العلوم وأصبح في قدرة للتمييز بين صالحه وردئيه وفهم كيف ينبغي أن يسلك علوم الغرب وثقافتهم.

فلما أتم دراسته على يد الأستاذ فاروق الجرياكوتي، رغب في التحصيل العلمي المتزايد، واتصل بعدد من العلماء من أمثال الشيخ الإمام والمحدث الكبير عبد الحي الفرنكي محلي، والشيخ المحدث الجليل أحمد علي سهرانبور، والشيخ قاسم النانوتوي

19 شبلي النعماني علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأديب، الأستاذ محمد أكرم الندوي

⁴³ المصدر السابق.

⁴⁴ المصدر السابق.

مؤسس دار العلوم ديوبند، كما استفاد من العلامة فيض الحسن السهرانبوري أستاذ كلية العلوم الشرقية بلاهور وارتوى من نيره العذب الفياض. ومنه أتقن النعماني اللغة العربية.

واهتم كثيرا بتعلم اللغة العربية وقواعدها من النحو والصرف والبلاغة والمعاني، وعني بدراسة الشعر العربي الجاهلي والإسلامي وكان شديد العجب بالجاحظ، وكان العلامة شبلي أول من عني بالصحف والمجلات العربية. وطبعت له مقالات متعددة في مجلات "الهلال" و"المؤيد" و"المنار" و"المقتطف" من مصر وفي مجلة "ثمرات الفنون" من القسطنية ومجلة "السلام" من طرابلس.

العلامة شبلي النعماني ودار العلوم ندوة العلماء

وهب الشبلي حياته للعلم والتعليم. وكان هو مجدد التعليم والإصلاح وأستاذ الأساتذة في ذلك الجيل. أنشأ زمرة من الأدباء والشعراء والخطباء العلماء، وبذر بذور العلوم الدينية والأدبية في أنحاء الهند، كما حمل لواء الإصلاح والتجديد في المنهج الدراسي في المدارس والكليات والجامعات، كما برز دوره في تثيف الحركة الفكرية الإسلامية في العالم الإسلامي كله.

فلما جال العلامة شبلي النعماني في أنحاء البلاد مثل الروم ومصر والشام فرأى مناهج التعليم في جامعاتها، وعلم أن تلك كالمناهج قديمة عقيمة فارغة لا تكسب

لطالب العلم شيئاً، ولا سيما منهج الجامع الأزهر بمصر، التي قد مضى عليها القرون والتي كانت منارة العلوم في أيامها الغابرة، إلا أنها انحطت وعجزت عن مواكبة العالم الحديث. وليس هناك نظام تدريسي ولا اختبارات، مما تأثر به النعماني وقال متأسفاً: الحق أن المناهج الدراسية في مصر والشام والروم هي أقل نفعاً حتى من مناهج الدراسية الهندية.

ولم يمض زمن طويل حتى أثمرت جهود العلامة شبلي النعماني يانعة ناضجة، يشير إليه الشيخ السيد سليمان الندوي: "لما بدأت حركة إصلاح الجامع الأزهر سنة 1316هـ / 1899م اقترح العلامة رشيد رضا في مقالة له في مجلة المنار وعددها 30 سنة 1317هـ / 1900م أسماء ثلاثة من أعلام العالم الإسلامي ومنهم الشيخ أحمد خان الروسي والشيخ أحمد الشنقيطي المغربي والشيخ شبلي النعماني الهندي.

كان شبلي يرى أن يجمع المناهج التعليمية بين العلوم الإسلامية الأصلية، والعلوم الحديثة. وقد كتب مرة: "قد قلنا مرارا ونؤكد مرة أخرى إننا نحن المسلمين لا يكفينا تعليم المدارس الإنجليزية ولا تعليم المدارس العربية القديمة. ان البلمس الشافي لدائناً مُركب من جزءين: شرقي وغربي".⁴⁵

⁴⁵ حياة شبلي، الشيخ سليمان الندوي، ص 52-53.

ويجدر الإشارة إلى حدث هام في حياته. وذلك أيامه في جامعة عليكرة الإسلامية التي أسسها سر السيد أحمد خان، كانت علاقته به وثيقة واستطاع التعرف بالفلسفة وأفكار العلماء الغرب مما وسع نطاق فكره، ولكنه مع ذلك فطن إلى مخبآت أفكارهم ودسائسهم، وفي هذا خصوص جرى بينهما مناقشات كثيرة حول القضايا الإسلامية وكيف ينظر إليها الغرب، كما سنحت له الفرصة هناك لتوطيد العلاقة بالسيد توماس آرنولد الفرنسي ورافقه في سفره إلى مصر والقسطنطينية والشام والترك، مما استطاع الاطلاع على مناهج الغرب التعليمية وقال بضرورة الجمع بين مناهجهم ومبادئ الإسلام ليصاغ منها منهجا جديدا متكاملا يضمن لجيل المسلم الناشئ مستقبلهم وشخصيتهم العلمية والمدنية والثقافية.

يقول سليمان الندوي عن حاله في عليكرة "إنه ظهر في عليكرة مؤرخا ومؤلفا وشاعرا وأديبا بل شمسا للعلماء وعلامة للزمان.

وبعد جولاته الموسعة ودراسته للمناهج التعليمية السائدة في الهند والعالم العربي، رجع وفي جعبته الكثير والمثير من الأفكار حول تجديدها. وصاغ منها مبدعا جامعا بين القديم والحديث وتم إدراج المواد الإنجليزية فيه، وعرضه على العلماء، أقر به الكثير كما أنكر عليه البعض. إلا أنه أبى ألا يستريح حتى يتم تجديده. وقابل كل الانتقادات والطعن بفارغ الصبر والسماح. وفي عام 1309 هـ / 1891 م تم الموافقة على المنهج الجديد بإجماع من العلماء الحاضرين فيه. ويقول العالم الأمير حبيب

الرحمن خان الشرواني: كانت خطة دار العلوم نتيجة لفكر شبلي والكتب التي أصدرت ندوة العلماء عن دار العلوم كان دمجها يراعه.

وأدرك العلامة السيد محمد علي المونكيري رئيس ندوة العلماء كفاءة شبلي النادرة فاعتمد عليه ووثق به وهو يقول: أنا مغرم بكفاءة العلامة شبلي وأنا أرى أن النجاح لن يتحقق إلا بكفائته وهمته.⁴⁶ وهو بذلك كله، يعتبر رائد النهضة التعليمية كما هو في الشأن في الشيخ المونكيري. وهذه الكفاءة جعلته أهلاً لتولي إدارة شؤون التعليمية سنة 1323 هـ / 1905 م، وكانت إقامته بدار العلوم بداية نهضة جديدة في تاريخ التعليم بالهند. ولذا تخرج العلماء الذين تعزز بهم ندوة العلماء، يشير إليه أبو الحسن علي الندوي: "كانت حركة ندوة العلماء يراودها شعور قوي منذ فترة طويلة بأن تظهر برجل يتسم بالانسجام الفكري مع أهدافها والتجربة التطبيقية التعليم والتدريس والصلاحية الموفورة لبعث قوى الطلاب العقلية وتمييزها في اعتدال، وإنشاء الذوق العلمي الصحيح فيهم، ويقوم في رحاب دار العلوم إقامة دائمة، ويتصل بأساتذتها وطلابها اتصالاً مباشراً ويعمل كواسطة بينهم وبين الهيئة الإدارية. اختير العلامة شبلي عميداً لدار العلوم فكان أنسب شخص لهذه المهمة من أجل مسؤولية الوظيفة، وكفاءاته الفذة الفريدة وتفوقه العلمي البارز فطلب منه أن يقبل هذه المسؤولية".⁴⁷

⁴⁶ المصدر السابق.

⁴⁷ حياة عبد الحي، السيد سليمان الندوي، ص 160.

معارضة الشيخ عن الندوة واستقالته

حينما وكلت إلى العلامة مسؤولية دار العلوم ندوة العلماء سنة 1323 هـ /

1905 م. كانت شؤون الندوة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، ولكل منها مسؤول خاص.

(1) القسم التعليمي وشؤونه وعميده: العلامة شبلي النعماني

(2) قسم المراسلات وعميده: العلامة الشريف عبد الحي الحسني

(3) القسم المالي وناظره: الشيخ احتشام علي الكاكوري.

والشيخ النعماني، قدرته الفائقة وإدارته المتقنة جلبت إليه حسد الحاسدين، ولم

يلبث أن ساء موقفه في دار العلوم بهذه الوشائيات، وإليه يشير العلامة سليمان الندوي:

"حينما كان العلامة قد عزم على الإقامة بدار العلوم لندوة العلماء قال له الأمير محسن

الملك "لن يعارضك ولن يقف في سبيلك أحد في هذا الوضع الحرج الضنك الذي يمر

به ندوة العلماء. ولكن إذا بدت طلائع الازدهار والرقي والتقدم فإن جميع العلماء

سيتكالبون عليك ويعادونك".⁴⁸

وتحقت هذه النبوة فلما بلغت ندوة العلماء ذروة الإزدهار والرقي في عهد

العلامة شبلي، قام الشيخ خليل الرحمن السهرانبوري بمعاداته ورميه بالفسق وما إلى

⁴⁸ حياة شبلي، الشيخ سليمان الندوي، ص 153.

ذلك من التهم التي لا تمت إلى الواقع بصلّة، ما كان عامة العلماء في الهند يشعرون بخطورة الأمر، براءة العلامة شبلي وسبب معاداة حساده.

يؤس العلامة شبلي من المشاغبات والوشاية. واستقال من وظيفة دار العلوم ندوة العلماء سنة 1331 هـ / 1913 م. فلما سمع الخبر المشؤوم طلاب دار العلوم ندوة العلماء حزنوا عليه. وعقدوا جلسة وكتبوا إليه أن يرجع عن استقالته، ولكنه رفضه، وثبت على رأيه، وأكد لهم أن سيبقى في خدماته للندوة طوال عمره. وهو يقول:

”أعزتي السلام عليكم تلقيت كتبكم الحزينة المفجعة، لست قاسيا حتى لا تؤثر في، كان من المستحيل أن أوصل خدمتي لندوة العلماء في وضعها الراهن، وأرى سعي مشكورا إذا كان الطلاب الذين خدمتهم يقدرّون جهودي وإخلاصي أراكم يائسين قانطين. لكن لا داعي لذلك لقد انتهيت جماهير المسلمين، وستقدر وتحسب مصالحها، وتحافظ عليها، ولو بشيء من التأخر، ولكن البذرة التي قد ألقيت في الأرض ستؤتي أكلها“.⁴⁹

ولم يلبث كثيرا بعد ذلك حتى يتوفاه الله عام 1332 هـ / 1914 م. وقد أصاب دار العلوم بعده شيء من الضعف والوهن، إلا أن طلابه سعوا لاستعادة مجدها الماضي وما تعودت عليه في أيام راعيها الشيخ النعماني، الذي كان قدوة في اللغة

والكتابة فيها والخطابة. والعلامة أبو الحسن علي الندوي كان دائما يحث الطلبة على محاكاة أسلوبه وسلوكه في التعليم.

ويقول السيد سليمان الندوي: "لما تم تشييد مبنى خزانة كتب لدار العلوم فقام شيخنا الإمام أبو الحسن علي الندوي بعقد ندوة علمية في ذكر العلامة شبلي وأعلن فيها تسميتها مكتبة شبلي النعماني كرمز لتخليد اسمه مرتبطا بهذه الحركة التعليمية التي جهد في سبيلها جهادا عظيما".⁵⁰

العلامة شبلي النعماني وتعليم المرأة

إن النساء في العهد المغولي كن يتمتعن بقسط وافر من الحرية والعمل، ويمكن أن نرى عددا منهن شاركن مع الرجال في بناء المجتمع وصنع التاريخ. وعلى سبيل المثال: السلطانة رضية، كانت امرأة مثقفة، قامت بدورها في نشر الثقافة الإسلامية، والأميرة كلبدن بيغم التي ألقت كتاب "همايون نامه" والأميرة زيب النساء التي عرفت ببراعتها ونبوغها في العلوم وإتقانها في اللغة الفارسية والعربية، وهي التي ترجمت التفسير من العربية إلى الفارسية وهو المعروف "بزيب التفسير".

⁵⁰ المصدر السابق، ص 157.

لكن هذه النهضة خدمت مع انحطاط المسلمين حتى في عصر النهضة التعليمية الممثلة في حركة عليكره، لا نكاد نجد كبير اهتمام بتربية المرأة وتثقيفها، حتى جاء دور الشيخ شبلي النعماني، وهو الذي نادى بحقها في التعليم والنهضة الإسلامية، ولم يكن الموضوع جديدا في هذا المضمار، وقد تصدى له الشعراء العرب المعاصرين من أمثال حافظ بك إبراهيم، ويمكن أن نقول أن أصداء أعمالهم تجاوزت في البيئة الهندية حتى تولاهما الشيخ النعماني.

ونراه يوصي تلميذه السيد سليمان الندوي أن يؤلف كتابا في سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ليضيء الطريق للمجتمع النسائي ويصّرن بواجباتهن. وهو يقول: "ابحثوا في الكتب التي بين أيدينا والأخبار التي ترونها وتسمعونها والأحوال التي أمام عيوننا فانظروا إلي المكانة التي كانت المرأة تحتلها في الإسلام..... إذا قيل لكم إن المعارك الدامية التي نشبت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كانت نساء القبائل فيها يخطبن راكبات الإبل ويشعلن النيران في القلوب فمن يصدق ذلك؟ من يظن أن النساء لن يحملن هذه المكانة في عصر من العصور؟"⁵¹

مساهماته في الأدب العربي

⁵¹ "بلاغة النساء"، شبلي النعماني، ص 14.

ما عاش الشيخ النعماني إلا 57 سنة، ولكن هذه الفترة القصيرة حافلة بالعطاء العلمي والثقافي. ويكفي له فضلاً أن تخرج على يديه عدد من العلماء العباقرة، من أمثال الشيخ عبد الحميد الفراهي المفسر الهندي الكبير، والسيد سليمان الندوي والعلامة مسعود عالم الندوي وغيرهم كثير.

هذا إلى جانب مؤلفاته في مختلف المجالات، وكان صاحب قدرة فائقة في التأليف في اللغتين العربية والأردية. ولغته متميزة بمتانة أسلوبها ورشاقة ألفاظها وجزالة معانيها. والكثير من مؤلفاته في السير والتراجم. وقد كتب في سيرة النبي وعمر بن الخطاب والإمام أبو حنيفة والخليفة المأمون والإمام الغزالي.

ومصنفاته الأخرى: علم الكلام، والكلام والغزالي، وحياة جلال الدين الرومي.

ومن مؤلفاته في الأدب والشعر والنقد: الموازنة بين أنيس ودبير، وشعر العجم، وحياة حافظ الشيرازي.

المؤرخ العلامة السيد عبد الحي الحسني

هو من أبرز الشخصيات في الهند المسلمة، وأحد أبرز الأعلام وراء تأسيس ندوة العلماء، نذر حياته في سبيل العلم وخدمة الدين، وكان غارقاً في الدعوة الإسلامية وحزينا على الأمة الإسلامية على سوء أحوالهم في أيام الاستعمار الإنجليزي. وكان صاحب قلم فياض.

ينتمى إلى أسرة كريمة يصل نسبها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
وأول من قدم إلى الهند منهم الأمير قطب الدين محمد المدني، ومعه جماعة من
أصحابه، استوطنوا تولد منها عدد كبير من العلماء المصلحين كأمثال السيد ركن
الدين، والسيد أحمد، والشيخ علم الله الحسني، والمصلح الكبير والمجاهد الشهير السيد
أحمد شهيد رحمه الله.

المولد والحياة

ولد السيد أحمد المعروف بالسيد عبد الحي عام 1869م الموافق 1286 هـ في
دار السيد علم الله الحسني. نشأ في رعاية أبويه، وكلاهما من أسرة عريقة في العلم
والدين. وكان والده السيد فخر الدين عالماً مشهوراً وأديباً ماهراً. صاحب مؤلفات كثيرة
مثل مهرجانتاب، وهو موسوعة في العلوم والفنون والتراجم والسير، مما تأثر به السيد
عبد الحي، ثم إنه تلقى مبادئ العربية من الأستاذ السيد عبد السلام والشيخ ضياء
النبى، والتحق بالمدرسة الوسطانية لتحصيل اللغة الإنجليزية والرياضية.

رحلته التعليمية

كما أن الشأن في كثير من العلماء قام السيد عبد الحي برحلاته في أنحاء
الهند، وسافر إلى إله آباد، قرأ علوم النحو والفقه وشرح الكافي للجامي وشرح التهذيب
على الشيخ محمد حسين إله آبادي. كما سافر إلى فتح بور ليقراً هناك دروس الفقه من

الشيخ نور محمد بن شيخ أحمد. ومنها رحل إلى كانفور وتلقى العلم من الشيخ أشرف علي التهانوي، ثم سافر إلى لکنهو، حيث أنهى أكمل دراسته، وسافر إلى بوفال التي كانت مركز العلم ورجال العلماء والطلبة، ولقي القاضي عبد الحق الكابلي والعلامة أحمد بن عبد الرحمن الدهلوي، والطبيب الشهير عبد العلي وغيرهم فازداد بهم علما وتجربة.

ثم رحل إلى دهلي وباني بت وسهانفور وديوبند وغيرها من البلاد واصطحب علماءها، وباع الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مراد آبادي رحمه الله.

اتصاله بندوة العلماء

وبكثرة الرحلات والاتصال بكبار العلماء والزعماء والاطلاع على أحوال الأمة تبين له أن وضعهم الراهن سيقودهم إلى خطر كبير في المستقبل، وصادف أن يجري في تلك الأونة اجتماعات النقاش حول حركة جديدة تتمثل في ندوة العلماء، وفورا اتصل بها وفهم أنها هو المنبر الوحيد الذي يضمن للأمة سعادتهم ويوفرهم فرص التعليم التربية الإسلامية. ولم يلبث كثيرا حتى تفرغ الشيخ إلى شؤون ندوة العلماء وجعلها مقرا لأعماله الفكرية والعلمية.

ثم أختير الشيخ عبد الحي نائباً الأمين العام. وصار ذلك المنصب فرصة مواتية لخدمة ندوة العلماء والمسلمين. واستمر الشيخ خادماً في جميع شؤون الندوة لتحقيق أهدافها بدون مقابل. وبعد قليل تقلد الشيخ منصب أمين عام ندوة العلماء.

إصلاحات الشيخ عبد الحي لندوة العلماء

قام الشيخ بإصلاحات جذرية في ندوة العلماء، وقام بتحسين الأوضاع الإدارية وما يتعلق بخدمات الأساتذة والموظفين. ووضع حداً للتفريقات والنزاعات، واستمر في منصب الأمين إلى أن توفي عا 1333 هـ / 1915 م.

وبهدف الإصلاح العام ألف كتاباً بعنوان الإصلاح، وآثر الإصلاح في أسرته وذوي قرابته، وشكل منهم "جمعية آل هاشم" للعمل في البيئة الأسرية وإصلاح أمورهم، وسميت هذه الجمعية فيما بعد بـ"أنجمن آل هاشم". ومن الملحوظ أن عدداً من الأسر المسلمة من ذوي الشرف والجاه قاموا بتأسيس مثل هذه المبادرات للإصلاح الداخلي. وكان من جهود الشيخ أن قام بعقد المؤتمرات والجلسات العلمية في مختلف المناطق الهندية لتوعية الشعب الإسلامي، كما أنه بادر ببناء المسجد في رحاب دار العلوم، ومباني إسكان الطلبة مجهزة بالتسهيلات اللازمة. وسكن الطلاب الأول تم بناؤه عام 1335 هـ / 1917 م.

وقد ركز كل اهتمامه في النشاط التعليمي، وبما أنه كان يعرف العلماء الحاذقين بالهند في مختلف المواضيع حين كان يشتغل بتأليف كتابه المشهور "نزهة الخواطر"، كان من السهل عليه استقدامهم إلى دار العلوم حتى صارت مسرحاً لكبار العلماء في الهند.

مؤلفاته العربية

إن حياة الشيخ عبد الحي زاهرة حافلة بالأعمال العلمية والفكرية والتأليف، وتبلغ مؤلفاته نحو ثمانية عشر كتاباً في اللغة العربية والأردية والفارسية. ونجله الكبير الدكتور عبد العلي يذكر لنا مدى شغفه بالعلوم ومطالعتها ويقول: أنه كان يدرس القرآن والحديث والأدب والطب وقد ترك تدريس الأدب والطب من سنوات طويلة قبل وفاته ولكنه لم يترك بتدريس الحديث الشريف حتى لحق بالرفيق الأعلى. وبعض مؤلفاته تم إدراجه في المقررات الدراسية في مختلف المدارس والجامعات. وفيما يلي نبذة عن كتاباته العربية.

1 نزهة الخواطر.

والاسم الكامل نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، موسوعة تاريخية في تراجمة الأعلام منذ القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري في ثمانية مجلدات،

فالمجلد الأول يشتمل على تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الأول إلى القرن السابع، والمجلد الثاني في أعيان القرن الثامن، ثم كل مجلد لقرن كامل.

والكتاب يلقي الضوء على تراجم الأعيان ومآثرهم وكل ما يتصل به من أخبارهم من السياسية والاجتماعية والدينية في القارة الهندية، ويذكر نجله أبو الحسن علي الحسيني الندوي تميزه العلمي وهو يقول:

"ووفق والدي العلامة السيد عبد الحي الحسيني 1341هـ / لوضع أكبر كتاب يعرف في شبه القارة الهندية في تراجم الرجال الذين نبغوا في الهند من القرن الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلف 1341 هـ / 1923 م يغطي المساحة الزمنية من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، والمساحة المكانية من ممر خير في الشمال الغربي من الهند إلى خليج بنغال في الشرق، ومن قتل كشمير إلى "مالابار" و"كاليكوت" في الجنوب والأعيان من كل طبقة على اختلاف مذاهبهم الفقهية واتجاهاتهم العلمية واختصاصاتهم الفنية، فجاء في ثمانية مجلدات كبار يحتوى على أكثر من أربعة آلاف وخمس مائة (4500) من التراجم، وهو أشبه في أسلوب الكتاب ومنهجه وتعبيراته بابن خلكان في الدقة والأمانة وتحري الصدق والقياسات اللائقة والدقيقة في تخير الأوصاف والنعون".⁵²

⁵² شخصيات وكتب للسيد ابي الحسن علي الندوي .

كما أن هذا الكتاب يحتوي على جميع نواحي الثقافة الإسلامية والأدبية التي كانت الهند تجرى بها طوال ثمانية قرون ونصف قرن، ورغم ميزاته وفخامته واشتماله على العلوم التاريخية ولكن أسلوبه أسلوب قديم ولم يذكر فيه عن المصادر والمراجع نرى طبعه الأول من دائرة المعارف العثمانية "حيدر آباد" الهند، ثم طبع في المطابع الأخرى.

2 - الثقافة الإسلامية في الهند

وفيه بحوث عن مناهج التعليم الإسلامي والعربي في الهند عبر القرون والعلوم الإسلامية والعربية المتداولة في مراكز التعليم في مختلف العصور كالنحو والصرف وعلم الاشتقاق وعلم العروض والبديع وعلم اللغة واللغات العربية والفارسية والهندية وعلم التفسير والحديث والفقهاء وأصولهما والرياضيات والطب والتصوف والكلام والمنطق والطبيعات، وكذلك بحث في حياة المؤلفين والكتاب الهنود وأعمالهم الأدبية والعلمية. قسم الكتاب على أربعة أبواب ولكل باب عدة فصول وكل فصل يتحدث عن علم خاص وله مقدمة لأبي الحسن علي الندوي بعنوان "ترجمة المؤلف" مما صار الكتاب مرجعا متينا في العلوم العربية والإسلامية في الهند، طبع في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1377 هـ / 1958 م.

3 - جنة المشرق ومطلع النور المشرق، والكتاب معروف بعنوان "الهند في العهد الإسلامي". وهو في التاريخ الإسلامي وجغرافية الهند وحاصلاتها وأشجارها ونوادير صناعتها وحيواناتها وأجناسها وأديانها ولغاتها وأقطار الهند ومدنها وقراها في الدول الإسلامية وأخبار ملوك الهند، وتاريخ ظهور الإسلام والملوك الذين حكموا الهند، طبع هذا الكتاب من دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد وتم نقله إلى الإنجليزية والأردية وغيرها من اللغات. ويقول أبو الحسن علي الندوي: "الهند في العهد الإسلامي وهو حلقة ذهبية من سلسلة كتب الخطط والآثار التي ألفها المؤلفون العلماء المسلمون في مختلف البلاد، ويبحث عن الهند في العهد الإسلامي جغرافية وتاريخيا، وخططا وأثارا، وحكومة وإدارة، ويلقى الضوء قويا على دور المسلمين في إنهاض البلاد وترقيتها وقيمة الآثار التي خلفوها".⁵³

4- تهذيب الأخلاق "تلخيص الأخبار". وهو كتاب مختصر نفيس في الحديث، جمع فيه الأخبار بحذف الأسانيد وصدرت له عدة طبعات.

⁵³ ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة، أستاذ أبو الحسن علي الندوي.

الباب الثالث: مساهمات دار العلوم ندوة العلماء في تطور اللغة العربية وآدابها

الفصل الأول: الجهود المشكورة في العلوم الشرعية

وفي الحقيقة إن دار العلوم كانت ولا تزال متمسكة بعناية القرآن منذ بدئها إلى الآن. ولها دور فعال في كل مجالات الآداب والعلوم والدعوة الدينية والإصلاح والثقافة. كما تتميز باهتمامها بتدريس القرآن ووضع منهج سديد له. والشيخ محمد الرابع الندوي يشرح لنا ذلك المنهج وهو يقول:

"وعلى الأستاذ أن يشرح عند تدريس القرآن وجوه الإعراب والمفردات الغريبة والصور البيانية في الآيات، والربط بينها، ويستقيض في الشرح عند مواضع الاعتبار وينبه على المحكمات ويردّ المتشابهات إليها، ويخبر بمواضع التشريح من الآيات وأسباب نزول الآيات، ويجب أن يكون تفسيره لكل ذلك في ضوء السنة وعلى طريق السلف الأبرار، وأن يشرح العقيدة ومباحث التوحيد ويتعرض للجوانب التاريخية والعلمية الواردة في الآيات ويقوم بتعريف بكتب التفاسير التي يناسبهم الرجوع إليها".⁵⁴

وقد لعبت دار العلوم ندوة العلماء في مجال القرآن وعلومه دورا هاما ملموسا ورغم عدم وجود تفسير كامل من هذه الحركة إلا أن المتخرجين منهم قاموا بتصانيفهم الغالية في علومه. ومن سلسلة هؤلاء العلماء منهم السيد سليمان الندوي والأستاذ

⁵⁴ "التعليم العالي بدار العلوم ندوة العلماء"، البعث الإسلامي، الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، 1395 هـ.

المفسر أويس النجرامي، والعلامة السيد أبو الحسن علي الندوي، والأستاذ أبو سبحان روح القدس الندوي وغيرهم. ولهم تأليفات ومقالات في علومه، سأذكرها بعضهم.

العلامة السيد سليمان الندوي 1302 - 1373 هـ / 1885 - 1953 م

السيد سليمان الندوي أحد الشخصيات البارزين من أبناء الندوة. وهو من مواليد قرية "دسنة" بولاية بيهار. وانتشرت شهرته في الآفاق، لكونه من المتخرجين المتميزين من دار العلوم، استطاع أن يستقي من موارد علومها، كما انتهاز له الفرصة للاستفادة من كبار أساتذتها كأمثال الشيخ حفيظ الله البندولي والشيخ محمد فاروق الجرياكوتي والشيخ السيد عبد الحي الحسني والعلامة شبلي نعماني. وكان راسخا في العلوم العربية وآدابها وتمهر في علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ الإسلامي.

كما أن الشيخ اهتم بدار العلوم وطلبها اهتماما بالغا، وهناك الكثير من الطلاب ممن استقى من علومه. وبذل جهوده لتربيتهم، وكان ينصحهم باصلاح النية في اكتساب العلوم الدينية. وغرس في قلوبهم أهمية العلم والأدب، ومن ثمرات تربيته نشأ من أبناء ندوة العلماء كتاب ومؤلفون في جميع مجالات العلوم الإسلامية.

مؤلفاته في علوم القرآن

وقد برز تميزه العلمي والفكري بصورة أكثر في مقالاته في العلوم القرآنية وتدوينها وفق المنهج العصري. وله ولع شديد في دراساتها وتدريسها والبحث فيها،

وكان موضوعه الرئيسي في التدريس أيضا القرآن الكريم، ومنهجه في التفسير منهج السلف الصالح من المفسرين المتمثل في "تفسير القرآن بالقرآن". ويليه التفسير في ضوء الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصالح، ونشرت سلسلة مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي على صفحات مجلة "البعث الإسلامي" رتبه وجمعه الأستاذ محمد فرمان الندوي في 150 حلقة. ولا تزال تتشر هذه الحلقات العلمية. وهي ماثلة للطبع بإذن الله فسأذكر هنا بعض المؤلفات للسيد سليمان الندوي.

أرض القرآن :- هذا الكتاب باللغة الأردية من أهم وأحسن الكتب لعلامة السيد سليمان الندوي، ويزيد من أهميته أنه يناقش فيه جغرافية العرب وتاريخهم القديم، كما أنه يدحض آراء المستشرقين المعارضين المتتبعين في الأمم السابقة والرسل والأنبياء والأماكن المختلفة في القرآن الكريم.

ويثنى على كتابه كثير من العلماء يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي "وكتابه أرض القرآن لا يزال كتابا فريدا لم ينسج على منواله في موضوعه وهو ثروة غنية في المواد العلمية".⁵⁵

⁵⁵ السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند، د- محمد أكرم الندوي، ص 265.

وقد كتب الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي مقالا في وصف هذا الكتاب النادر فقال "إن كتاب أرض القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي كتاب غير عادي في موضوع جغرافية المواضع المذكورة المشار إليها في القرآن".⁵⁶

ويقول العلامة الندوي في مقدمة هذا الكتاب من خلال إلقائه الضوء على مكانة هذا الكتاب وأهميته "إن القصد من وراء تأليف هذا الكتاب هو أن يبحث عن أحوال تتصل بما ورد في أرض القرآن وهي جزيرة العرب عامة ووسطها خاصة بحثا يتجلى به صدق القرآن، وتبرز زلات المتقدمين مما وقعت منهم في تحديدهم وتعينهم، وذلك بالتوفيق بين المعلومات المختلفة القديمة والحديثة".⁵⁷

وكتب مشيرا إلى أهمية الموضوع، إذ أن المسلمين يجب عليهم الاهتمام به وضرورة تدريسه ليقدر طالب العلم للوقوف على الدراسات التاريخية في القرآن لمعرفة عشرات الأمم العربية وأسماء البلدان والمدن والأماكن مما يجهله عامة الناس، وعدد من العلماء كذلك على غير بنية منها، ومن عجب العجائب أنه لم يؤلف كتاب تفصيلي مستوعب بخصوص هذا العلم طيلة ثلاثة عشر قرنا، فأدى ذلك إلى جهل المسلمين بهذه الأحوال. وتجاسر خصوم الإسلام على اعتبارها أساطير. يقول الأستاذ شمس تبريز خان إن أرض القرآن في ذروة العليا في منهج السيد الندوي للبحث والتحقيق،

⁵⁶ المصدر السابق، ص 266.

⁵⁷ المصدر السابق، ص 268.

لعله أول من عالج هذا الموضوع، من أهم مزايا الكتاب دراسته لأوضاع العرب السياسية والتاريخية والحضارية في ضوء القرآن الكريم مع الاستفادة من المصادر العربية والانجليزية والمراجع الاسلامية والاسرائيلية والرومية واليونانية والاكتشاف الأثرية "58.

وكان من عادة السيد الندوي كتابة ملاحظاته على حاشية المصحف الذي يتلو منه. وقال نجل الأستاذ سليمان الندوي الذي يقوم بجمع ترتيب هذه الملاحظات فقال: "يعرف العالم والدي العلامة السيد سليمان الندوي كمؤرخ وكاتب للسيرة. وأديب، ولكن اهتمامه الحقيقي كان بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعلم الكلام ويتجلى اهتمامه هذا في مؤلفات سيرة النبي وأرض القرآن وسيرة عائشة وحياة مالك. وظل طول حياته يلقي دروسه منظمة في التفسير في أعظم كره. وبوفال وأخيرا في كراتشي، وممن استفاد منه في دار المصنفين بأعظم كره الأستاذ محمد أويس النجرامي الندوي صاحب التفسير القيم، وكانت محاضراته التفسيرية دائم الذكر لشيخه والإحالة على أقواله."59

ونلاحظ أنه أتى بإيجاز في أثناء تلاوته القرآن الكريم على حواشي مصحف

باللغة العربية أو الأردية ومنها:

كتب السيد الندوي على حاشية سورة هود وهو يحدد عمودها: هذه السورة تسلية

للنبي صلى الله عليه وسلم، تشتمل هذه السورة على قصص الأنبياء وما واجهوه من

⁵⁸ تاريخ ندوة العلماء، ص 285.

⁵⁹ السيد سليمان الندوي، السيد محمد أكرم الندوي، ص 281.

المصائب من قبل أقوالهم، فكأنها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أن يصبر على أذى قريش كما صبر أولو العزم من الرسل.

وجاء في سورة آل عمران "هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين" فما معنى البيان والهدى والموعظة هنا ولماذا جمعت هذه الكلمات الثلاثة في مكان واحد، فعلق عليها البيان ما كان بينا بنفسه، والبيان هو الإعلان والهدى خفي والموعظة أخفى منه. .يعنى أنه بيان لا يحتاج إلى شرح الإيضاح، ولما كان الهدى موضعه القلب فإنه خفي وأما الموعظة فعلاقتها بتقوى القلب وطهارته فهي أخفى منه.

وكفى له رمزا في تاريخ الإسلام قول العلماء عنه وقال الأديب الأريب عبد الماجد الدرايبادي: يؤمن الزمان أن السيد سليمان الندوي عالم فريد وبخاتة منقطع النظر يخضع العالم لإمامته في التاريخ، وتفردته بكتابة السيرة، ولكن قلما عرف الناس مكانته في الأدب والشعر والنقد، وقلما علمه الناس أديبا منشأ وشاعرا قديرا.

وقال الإمام المحدث أشرف علي التهانوي "يتشابه شبلى النعماني وسليمان الندوي تشابه ابن تيمية وصاحبه ابن القيم".

وأثنى عليه شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال فقال: "يتبوأ السيد سليمان الندوي اليوم إلى مدارج حياتنا العلمية، إنه ليس مجرد عالم، بل هو أمير للعلماء، وليس بكاتب

فحسب، بل أنه إمام الكتاب والمؤلفين، إن شخصه بحر العلوم والمحاسن وتخرج منه مئات من الأنهار، وتسقى منه ألوف من المزارع اليائسة.⁶⁰

العلامة محمد أويس النجرامي

الشيخ العلامة محمد أويس النجرامي أول مفسر من دار العلوم ويعدّ من أعلام المفسرين في القرن الرابع عشر.

وُلد الشيخ محمد أويس النجرامي سنة 1332 هـ / 1914 م ببلدة نجرام التابعة لمديرية لکنهو، وتلقى الدراسات الأولى من أساتذته الكرماء. ومنهم مولانا عبد الجليل الإصلاحي ومولانا محمد سليم النجرامي ومولانا محمد أنيس، ثم التحق بدار العلوم التابعة لندوة العلماء سنة 1345 هـ / 1927 م، ودرس العلوم من أساتذتها، كأمثال الشيخ الجليل مولانا حفيظ الله مدير دار العلوم آنذاك، والفقير المحدث الشيخ حيدر حسن خان الطوكي، والشيخ الفاضل عبد الحليم الصديقي، ومولانا شبلي النعماني، ومولانا عبد الودود الأعظمي، وغيرهم من الأجلاء وتخرج منها عام 1350 هـ / 1932 م، ثم سافر إلى ديوبند ودرس منها الحديث البخاري وجامع الترمذي وتفسير ابن كثير والفوز الكبير للشيخ ولي الله الدهلوي. كان يلقيها شيخ الإسلام حسين أحمد المدني ونالت منه الإجازة.

⁶⁰ مفردات القرآن، محمد فرمان الندوي، ص 29.

وتولى التدريس بدار العلوم ندوة العلماء ثم صار باحثاً في سنة 1358 هـ /
1939 م في "دار المصنفين" بأعظم جراه، وبقي هناك إلى عام 1374 هـ / 1946
م ثم تولى منصب رئيس قسم التفسير بدار العلوم بندوة العلماء إلى أن وافاه الأجل
عام 1396 هـ / 1976 م.

وقد بذل الشيخ النجرامى جهوده متواصلًا لجمع تفسير الإمام ابن القيم المتفرقة
في آثاره العلمية باسم التفسير القيم. وهو مطبوع في بيروت، ثم استخرج منها هذه
المجموعة القيمة من التفسير ولكنها لم تشمل تفسير القرآن كله، وكان نموذجاً يقتدى
به في البحث العلمي، وقد انتفع ببيانه السهل الكثير من الناس. وعمله هذا يتمثل في
"التفسير القيم".

ويجدر بنا أن نذكر آثاره العظيمة. وقد خلف للمكتبة الإسلامية عدة كتب
ومقالات حول القرآن. و"منها التفسير القيم" و"العقيدة السنية" وكلاهما في العربية
و"تعليم القرآن" و"أصول الحديث" وهما بالأردنية، و"الخير الكثير في شرح الفوز الكبير"
فهو مخطوط بالعربية

والذي خلد ذكره هو التفسير القيم للإمام ابن القيم، وانخرط في سعيه سعياً
حثيثاً. واطلع على جميع تأليفات الإمام الحافظ ابن القيم ورتب منها هذا التفسير
الرائع الذي هو النبع الصافي لفهم القرآن. وأشار إليه محمد حامد الفقى رئيس جماعة
أنصار السنة المحمدية في تقديمه له. ويقول: "إن الكتاب الذي جمعه العلامة المحقق

الشيخ محمد أويس الندوي خريج ندوة العلماء من البلاد الهندية، بذل فيه جهدا مشكورا، وقرأ المطلوع من مؤلفات الإمام الحافظ شمس الدين ابن القيم، ثم استخرج منها هذه المجموعة القيمة من التفسير".⁶¹

وخلال إعداد هذا الكتاب عكف على كتب ابن القيم مدة طويلة. ثم جمع تفريق الآيات التي قام شيخ الإسلام بشرحه وتفسيره، ونسج في كتاب ضخم وبأسلوب رائع لاستفادة الباحثين والمعلمين منه، وقال صاحب هذا الكتاب مشيرا إليه "اشتغلت أولا بكتب الحافظ شمس الدين القيم رحمه الله مدة أقتصص فيها شوارده من كتبه، وألتقط درره وأجمعها في سفر واحد حتى جاء هذا الكتاب الذي قدمت إلى طلبة التفسير ومحبي الشيخين ابن التيمية وابن القيم رحمهما الله وأنهم للكثير بحمد لله في البلاد الإسلامية.

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

إن الله قيض للأمة المسلمة عالما مثل الشيخ أبو الحسن الندوي ليقوم بالإصلاح الديني والتربوي بكل معناه. كما يتمثل ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"⁶².

⁶¹ التفسير القيم للإمام ابن القيم، الأستاذ محمد أويس الندوي، ص 3.

⁶² أبو داود، رقم الحديث 4291.

كان الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي مضطلعا في علوم القرآن والسنة والفقه والتاريخ وآداب اللغة العربية والفارسية والأردية. ويفوق الكثير من معاصريه العلماء في مناهج دراساته وتحقيقه العلمي وإتقانه في اللغة العربية، التي يكتب ويتحدث فيها بصورة أكثر طلاقة وأروع بيانا.

يقول الشيخ القرضاوي: ولا غرو أن رأينا شيخنا أبا الحسن مثالا متميزا للعالم المسلم، الداعية المجدد، مثالا بين رقة الربانيين وتوحيد السلفيين، والتزام السنيين، وثقافة المعاصرين، والاستقاء من ينابيع القرآن والسنة المطهرة علما وفهما وتدوقا وعملا، حتى ارتوى وروي، متضلعا من الأدب والعربي والفارسي والأردني، ممتلئا من كنوز التراث الإسلامي الغني، آخذا منها ما صفا، وتاركا ما كدر، ممثلا خير تمثيل لشعار الندوة المباركة "الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع" وبين الإيمان الراسخ والعلم الواسع".⁶³

وكانت حياته العلمية مجهودة مشكورة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، وهو يشير شغفه الواسع وحسن استطلاعاه وتدبيره في القرآن "طالعت القرآن الكريم ككتاب حي ورسالة ناطقة، ومرآة يرى فيها الأشخاص وجوههم والشعوب مظاهرها، وهي تحكى عن ازدهار الأمم والشعوب والدول والحضارات، وتقدمها ومصيرها"⁶⁴

⁶³ رسائل الأعلام، الشيخ القرضاوي، ص 79

⁶⁴ أبو الحسن علي الندوي عالم المربي والداعية الحكيم، الأستاذ أكرم الندوي، ص 222.

وقد أشرب قلبه بحب القرآن منذ صغر سنه، وذلك بفضل والدته التي صاغته عقلية وشخصيته. كما تأثر بشيوخه من أمثال: خليل بن محمد اليماني، والخوجه عبد الحي الفاروقي، وأحمد علي اللاهوري، والشيخ حسين أحمد المدني، والعلامة السيد سليمان الندوي، والأستاذ عبد الماجد الديابادي، والأستاذ مناظر أحسن الكيلاني، مما جعله أهلاً للقيام بدوره في دار العلوم محاضراً للأدب العربي وتفسير القرآن، وزاده ذلك فرصة لدراسات القرآنية والبحث فيها.

وله من كتاباته القرآنية تفاسيره "للأمكنة المختلفة من القرآن الكريم" و"المدخل إلى الدراسات القرآنية" و"الصراع بين الإيمان والمادية" و"تأملات في سورة الكهف".

وإذا أجلنا الطرف إلى كتابه المدخل إلى الدراسات القرآنية فهي مجموعة محاضرات ألقاها الشيخ الندوي أمام طلبة دار العلوم ندوة العلماء في أواخر الثلاثينيات حينما عُين معلماً لتفسير القرآن عام 1352 هـ / 1934 م. واهتم في أولى تجاربه معهم أن يلقي إليهم الكلام حول خصائص القرآن ومزاياه وعلومه ونبؤاته ووجوه إعجازه. فما هو موضوع القرآن أولاً وأساساً وعن ماذا يبحث الكتاب ويعتنى به؟ وما دور الكتاب في إخراج الجيل البشري من الظلمات إلى النور وربط المخلوق بالخالق؟ وما هي مكانته الفريدة بين سائر الكتب السماوية السابقة في البقاء على أصالته والبعد عن التحريف.

وأما كتابه "الصراع بين الإيمان والمادية" فهو تفسير علمي وتجريبي لسورة الكهف، واستعرض فيه سورة الكهف استعراضاً شاملاً مع قصصها الأربع التي هي معالم هذه السورة وعمدها، وأقطابها الأربعة التي تدور حول حكمها وتعاليمها ومواعظها، ومع ذلك أوضح الشيخ الندوي أن التاريخ يعد نفسه في العالمين العربي والإسلامي، حيث تتعرض جماعات تقوم بالدعوة وتستقيم على العقيدة لإضطهاد فظيع وتعذيب وتنكيل ونفي وتشريد.

ورغم أنه لم يؤلف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، إلا أن مداخلته العلمية ودراساته التحليلية للقرآن ومحاولاته الجادة لدراسة القضايا البشرية في ضوءه، تجعله في عداد علماء القرآن. وهذه الدراسات والأبحاث يضمها كتابه "إفادات قرآني".

وقام علماء آخرون من أبناء دار العلوم ندوة العلماء بدراساتهم القرآنية، ومنهم الأستاذ أحمد حسن الندوي الذي كتب "تبيان القرآن وتفسير آيات الأحكام، والأستاذ أبو سبحان روح القدس الندوي صاحب "فصل الخطاب في تفسير ثلاث سور" والأستاذ محمد فرمان الندوي مؤلف كتاب "نو التفسير".

أبناء دار العلوم في خدمة الحديث الشريف

إذا التفتنا إلى تاريخ دار العلوم ندوة العلماء نرى عنايتهم الكبيرة بالأحاديث النبوية وعلومها ومصطلحاتها والاستنباط منها، وجدير بالذكر أن علماء الهند في

سالف الأيام قدموا الخدمات الجليلة للعالم العربي والإسلامي في الحفاظ على تراث الحديث النبوي والتحقيق في متونه ورجاله، يدل عليه ما يقول السيد رشيد رضا ، وهو يثني على جهود علماء الهند ويقول "لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق. وقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر".⁶⁵ ومن هذا المنطلق نرى عناية دار العلوم بالحديث وعلومه، وفاقت المؤسسات التعليمية الأخرى في الهند في تخريد العلماء الأكفاء فيه بمنهج دراسي معتدل سديد.

وسأذكر بعض المؤلفات لأبناء دار العلوم في مجال الحديث الشريف وعلومه.

1 المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف

هذا الكتاب الجليل من تأليفات الأستاذ أبي الحسن علي الحسيني الندوي ومن مطبوعات المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء لکنهو الهند عام 1415هـ/ 1994م. كما ذكرنا آنفا كان العلامة أبو الحسن علي الندوي وضعت بصماته واضحة جليلة في كل العلوم الإسلامية، وعلوم الحديث حظيت بعناية فائقة، وكان حريصا على متابعة السنن والآثار، وتشتمل كتاباته على فوائد الحديث وبيان قيمة السنن وأهمية مكانة السنة في التشريع الإسلامي وجهود الأئمة من السلف الصالح، كما قام بتقديمه

⁶⁵أعلام الأدب العربي في الهند، دكتور جماد الدين الفاروقي، ص 129.

لعدة كتب ألفت في الحديث وعلومه وشروحه. مثل تقديم الكوكب الدرّي على جامع الترمذي للمحدث رشيد أحمد الكنكوهي.

يحتوى الكتاب على مدخل إلى دراسة الحديث النبوي، ويذكر أهميته مشيراً إلى التوجيهات القرآنية. كما يرد الكتاب على مزاعم المعارضين والمنكرين لمرجعية الحديث النبوي. وقد بين المؤلف في الكتاب سبب التأخير في جمعه وقال: لقد كان الصحابة رضي الله عنهم دائمي الحرص على الاحتفاظ بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كانوا وإن لم يتم تدوين الحديث، يحفظون الكثير من أقواله ونصائحه ويحكون عنه كما هو، وقد تريت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كان حكيماً بعيد النظر فيما يتصل بمصالح الإسلام والمسلمين، في جمع وتدوين الحديث النبوي، والعلامة مصطفى السباعي يشير إلى مراحل التدوين في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي".

"لقد أضيف إلى هذا رغبة عمر رضي الله عنه أن لا يكثر من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كي لا يشتغل الناس بالحديث عن القرآن والقرآن عن طري. فما أحوج المسلمين إلى حفظه وتناوله والتثبت فيه والوقوف إلى دراسته، روى الشعبي عن فرظة بن كعب قال خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر إلى صرار، فتوضأ، وغسل إثنين ثم قال أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا نعم. نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا، فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن

كدوي النحل، فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم، جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمضوا وأنا شريككم فلما قدم قرظة قالوا حدثنا قال نهانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه".⁶⁶

ثم أشار إلى جمع الحديث وتدوينه وقال "وقد قدر الله أن يقوم بما يطلبه الزمان، وبما يتوقف عليه مستقبل هذه الأمة، التشريعي، والعملي، العلمي، وإلى حد كبير، سميته، وسبطه، وخليفة المسلمين في عصره الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله. فكان أول ما عنى به بعد ما تقلد الخلافة هو علم الحديث، فكانت له هذه السعادة واللفتة الكريمة العميقة، وبعد النظرو ثقب الفكر في الإشارة والتوجيه، كما كان لجده العظيم من جهة أمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع القرآن، فإنه هو الذي أشار وألح على خليفة الرسول سيدنا أبي بكر الصديق لجمعه، فقد زالت المخافة من التباس القرآن بالحديث، أو انشغال المسلمين بالحديث النبوي عن الكتاب الإلهي، فقد كثر حفاظه والغياري عليه. وعمّ انتشاره في بلاد المسلمين وتحقق ما وعد الله به وأخبر. "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".⁶⁷

قد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الشيخ أبي بكر بن محمد بن حزم، أحد كبار علماء الحديث وأوعية العلم في عصره "انظر ما كان من حديث رسول الله

⁶⁶المدخل إلى دراسات النبوي الشريف، أبو الحسن علي الندوي، ص 24 - 25.

⁶⁷سورة الحجر - 9.

صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، وأشار عليه
بالعناية الخاصة بمجاميع عمرة ابنة عبد الرحمن الأنصارية، وقاسم بن محمد بن أبي
بكر لأهميتهما، ولم يكتف بأبي بكر بن الحزم بل كتب إلى عماله بالأقاليم".⁶⁸ "انظروا
إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه".⁶⁹

ثم صار الحديث بعد جمعه وتدوينه مجاميع صحيحة متفتحة للحديث النبوي،
وكان في مقدمتها هذه الكتب الستة وهي الجامع الصحيح للبخاري والجامع الصحيح
المسلم والجامع للترمذي والسنن لأبي داود السجستاني والسنن للنسائي والسنن لابن
ماجه، واصطلح العلماء على تسميتها بالصحيح الستة.

وأشار الدكتور عبد الله عباس الندوي في تقديم هذا الكتاب عن أسلوب الشيخ
الندوي ويرى الكاتب أن أسلوبه يمثل أروع مميزاته .

- 1 - تدفق طبعي حماس في بيان أهمية الحديث وتشخيص مكانته في الشريعة.
- 2 - تعبيرات رائعة لم يسبق لي الاطلاع عليها مثل وصفه للإحسان "الطب النبوي"
وهذا الوصف يزيل غبار الشبهات لمن هدى الله قلبه إلى الحق.

⁶⁸ المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشرف، ص 66-67

⁶⁹ سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم، ص 167

3 - إعطاؤه حق كل مؤلف ما يستحق من الإعجاب والإشارة من دون أي بخس
ونقصان

4 - لم يمنعه خلافات فقهية من إشارة أعمال قام بها الذين يتبعون الفقه المغاير
لما يتبعه المؤلف.

5 - حرصه الشديد على أن يناشد قادة العلم والفكر أن لا يجعلوا الخلافات الفقهية
مبعث نزاع وفساد بإبرار حماسهم الزائد في إنكار أمور استقر عليها، رأى الجهات
المختلفة ورضوا عن الأخذ بما عندهم من الاتجاه الفقهي والالتزام به".⁷⁰

2 - كتاب الزهد الكبير للإمام المحدث أحمد بن حسين البيهقي

علق عليه الدكتور تقي الدين الندوي هو محدث مشهور في العالم الإسلامي
وله رغبة خاصة في الحديث وألف كتباً عديدة في علم الحديث حتى نال جائزة شاه
ولي الله الدهلوي لخدماته الجليلة في علم الحديث، وله كتب غزيرة في الحديث
ومنها "الإمام البخاري سيد المحدثين" و"أوجز المسالك إلى الموطأ للإمام مالك
"وعلم رجال الأحاديث ومسانيد الصحابييات من جمع الجوامع للسيوطي" ولمحة
عن تعريف أهم مراجع السنة.

⁷⁰ المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف، ص 14

هذا الكتاب المفيد في الحقيقة رسالة الدكتوراه، قدمها الدكتور تقي الدين الندوي إلى الأزهر الشريف ونال به درجة الدكتوراه بالامتياز، وقد قام بتعليق هذا الكتاب بغاية الدقة والأمانة والصدق، وعرض ما كمن من الدرر والآلى العلمية الحديثة. وفي تقديمه لهذا الكتاب يشير الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي يستعرضه تفصيلاً ويقول: "وكان الكتاب على شهرة مؤلفه وجلال شأنه مطمورا في ركام الكتب الخطية في المكتبات الأثرية وقد كان صديقنا الفاضل الدكتور تقي الدين الندوي موقفاً في اختيار هذا الكتاب لرسالة الدكتوراه، التي كان قدمها إلى الأزهر الشريف وقد انتسخ الكتاب من نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة"⁷¹

ويقول الشيخ محمد بن أحمد بن حسن الخزرجي الرئيس للجنة التراث والتاريخ عن رأيه تجاه هذا الكتاب الرائع قائلاً: "فقد نظرت نظرة خاطفة إلى ما كتبه العالم الجليل الشيخ تقي الدين الندوي على كتاب "الزهد" للحافظ البيهقي وقد أوسع الموضوع تحقيقاً تدقيقاً، وكشف عن غوامض مخائنه ماخفي، وقدمه في ثوب قشيب للقارئ المستفيد، ويدرك به العالم من الغايات ما يريد"⁷²

3 روائع الأعلام: أبو سحبان روح القدس الندوي

⁷¹ مقدمة الكتاب الزهد الكبير للبيهقي

⁷² المصدر السابق.

صاحب هذا الكتاب الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوي، وطبع في لکنهو
الهند عام 1418هـ / 1998 م وجوهر هذا الكتاب شرح كتاب "تهذيب الأخلاق" للشيخ
المحدث والمؤرخ الكبير عبد الحي الحسني (1286 - 1341 هـ) الأمين العام لندوة
العلماء سابقا، وأحد رواد الحركة العلمية في الهند، والسابقين إلى التأليف والتصنيف.
وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب ستمائة وستة وثلاثين حديثا، من الأحاديث الدالة
على تهذيب الأخلاق وطهارة القلوب وتزكية الظاهر والباطن.⁷³

وأشار الشارح الدوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الشرح وقال: "ومما حفزني
على شرحه أنه ألقيت تدريسه بدار العلوم ندوة العلماء سنة 1402 هـ / 1982 م
فعاينتُ تخريج الأحاديث، وحل غريبها، وشرح معناها، وتراجم روايتها، ما يعانى كل
حديث عهد بمهنة التدريس، فتوفرت على شرحه متوكلا على الله، ولا حول ولا قوة إلا
بالله، وما توفيقى إلا به، وسميته "روائع الأعلام شرح تهذيب الأخلاق، واعتمدت في
إعداد هذا الشرح على الكتب القيمة الهامة في الحديث وما إليه حسب ما تيسر الوقوف
عليها، يتناولها ثبت المصادر والمراجع".⁷⁴

وقال الشيخ أبو الحسن علي الندوي معترفا بأهمية هذا الكتاب "وقد أشار المؤلف
والشارح لهذا الكتاب بحسب ترتيب الأبواب، وذكر أنه بديع مبتكر، وأن تراجم الأبواب

⁷³ روائع الأخلاق، أبو سحبان روح القدس الندوي، ص 66.

⁷⁴ المصدر السابق، ص 68

ودراستها تفيد أن المؤلف يهدف بها وضع منهاج متكامل يكون بمثابة معالم رئيسية، وأبدى إعجابه بمعرفة المؤلف بصناعة الحديث وعلو كعبه، وحسن اختياره وسلامة ذوقه ومعرفته لروح عصره ومدارك الطالبين في المعاهد الدينية".⁷⁵

وقال أيضا: "وعلى كل فقد جاء هذا الشرح في أوانه ومكانه وقضى حاجة كبيرة ملحة قد يشرح بها المدرس لكتاب "تهذيب الأخلاق" في المعاهد والمدارس الدينية وحلقات الدروس التهذيبية، والمناسبات الدعوية والاجتماعات الشعبية الإصلاحية، واستحق به الشارح ثواب الخادمين للحديث النبوي الشريف، والمباشرين لتدريس هذه المادة في نطاق كبير سام".⁷⁶

والسيد أبو سبحان روح القدس الندوي بن نصير الحق بن جناب من مواليد مدينة مونكير عام 1373 هـ / 1954 م. وكان أبوه العالم المحامي الشيخ عبد الحليم المعروف بروح القدس بن العالم الحافظ الطيب نصير الحق بن الشيخ جناب علي المونجيري. ينتمي إلى أسرة علمية تمتاز بالجمع بين التعليم الديني والعصري، وكان أمه السيدة طيبة بنت القاضي محمد ظفر البورنوي المونجيري. وتلقى دروسه الابتدائية من أبيه وأخيه. وبعد وفاة أبيه ارتحل مع خاله الشيخ أبو محمد شبلي إلى لکنهو ليلتقى العلوم العربية والدينية في دار العلوم ندوة العلماء فالتحق بها في عام 1383 هـ /

⁷⁵ المصدر السابق.

⁷⁶ مقدمة الكتاب "روائع الكتاب، الشيخ الندوي، ص 7-8.

1964 م. وتخرج على أساتذتها بالشهادة العالمية سنة 1392 هـ / 1972 م والفضيلة سنة 1394 هـ / 1974 م.

ثم أرسله دار العلوم ندوة العلماء إلى المدينة المنورة فالتحق بكلية الدعوة وأصول الدين سنة 1395 هـ / 1975 م وتخرج بها سنة 1399 هـ / 1979 م، وحصل شهادة ليسانس ثم عاد إلى دار العلوم لندوة العلماء لكنهو مدرسا حتى قضى هناك في خدمة الحديث تدريسا وتأليفا، وكان يكتب دائما "درس من السنة وعلى مائدة القرآن" في صحيفة "الرائد" العربية التي تصدرها مؤسسه الصحافة والنشر بندوة العلماء.

وفي سنة 1400 هـ / 1990 م حصل شهادة الماجستير في الأدب العربي بجامعة لكنهو الحكومية. وله رغبة في القرآن وعلم الحديث، وتخصص في الحديث ومن كتبه "روائع الأعلام شرح تهذيب الأخلاق" وله كتاب آخر في هذا الفن اسمه "تخريج الحديث مفهومه وطريقته وأهم المصادر فيه".

بجانب ما ذكرنا ساهم أبناء الندوة بمصنفاتهم الغزيرة في الحديث النبوي، ومنها دراسات تربوية في الأحاديث النبوية للأستاذ محمد لقمان الأعظمي الندوي والمحدث للأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي ومبادئ وأصول في أحاديث الرسول للأستاذ بلال عبد الحي الحسن الندي، هذا بالإضافة إلى الدراسات والمقالات ذات القيمة العلمية في هذا الموضوع، جاد بها أبناء دار العلوم ندوة العلماء عبر السنوات الماضية.

جهود أبناء ندوة العلماء في الفقه الإسلامي

نهج ندوة العلماء في الفقه الإسلامي منهج الإمام شاه ولي الله الدهلوي مجدد القرن الثاني عشر في الهند، وهذا المنهج مبني على التوسط والاعتدال. ولهذا المنهج نظريات خاصة وممتازة ومنها.

1- التسليم في المسائل الفروعية للعلماء الذين يجتمعون بين الكتاب والسنة ويستنبطون تفاريعه من هذين المصدرين الرئيسيين، فيقبل ما يوافقهما ويترك ما يخالف.

2- يجمع ويطبق بين الحديث والفقه.

3 - يعمل في الفروع بما اتفق عليه العلماء، وأما في المختلفة منها فيعمل فيه بما يشهد له الحديث.

4 - لم يغلق باب الاجتهاد بل هو مفتوح وفرض كفاية في كل عصر.

5- يجوز التقليد مع النية بأن المجتهد يخطئ ويصيب ومع ثبوت العزم.

ونرى هذه القواعد والضوابط اختارتها ندوة العلماء وأبناؤها في ميدان الفقه وفي فتواهم ودراساتهم.

ومن اللافت للنظر أن بروز ندوة العلماء ودار العلوم في مجال الفقه كان في عصر حافل بالجدال الساخن في الأمور التافهة والمسائل الفروعية، وافترقوا إلى

أحزاب، تفرق وتنافس كل فريق في إثبات مذهبه وترجيحه، وبهذا الصدد بذلت الندوة جهودها في تحويل الملة الإسلامية وأفكارها إلى مقتضيات الدين والشريعة ومتطلبات الأمة. ووجهت أنظارها في المسائل الفرعية إلى الطريق الوسط العادل المتزن الذي يضمن الوصول إلى الغاية بسلام وأمن.

ويمكن القول إن ندوة العلماء قامت جاهدة ساعية بخدماتها الجليلة المتمثلة في البحوث والمناظرات والمؤتمرات والمؤلفات. وأنجبت كثيرا من الفقهاء النجباء الذين تفقهوا في مسائل وقضايا الإسلام، وقاموا بتتوير عقل الناشئين وتوجيههم إلى المصادر النقية لدراسة الفقه بحيث يكون مواكبا لمتطلبات العصر. ونورد هنا الكلام على البارزين منهم.

1 الأستاذ شهاب الدين الندوي رحمه الله

هو من أبرع تلاميذ دار العلوم وعلم من أعلام الممتازين وكاتب ماهر في اللغتين الأردية والعربية وصاحب مؤلفات ثمينة. وأسس مجمعا علميا باسم "الأكاديمية الفرقانية" بمدينة بنغلور للتصنيف والتأليف في القضايا الإسلامية، ومع ذلك كان له ذوق سليم في الفقه وعلومه، فأسس تحت الأكاديمية "دار الشريعة" لحفظ قانون الأحوال الشخصية في الهند. وله مؤلفات عديدة في هذا الميدان معظمها في مواضع الزكاة والمسائل الاجتماعية ومنها "قوانين النكاح في الإسلام ونظام الزكاة في الإسلام

والتحويل الإسلامي وبيع المرابحة" ونظرة على تعدد الزوجات وقوانين الطلاق في الإسلام وغيرها كثير.

2 الأستاذ مجيب الله الندوي رحمه الله

هو من أبرز العلماء الذين حملوا راية العلم والتفقه في الدين ولتحقيق انتشار الإسلام في قضايا الشريعة الإسلامية، وكان عضوا بارزا في أكاديمية شبلي "دار المصنفين" في مدينة أعظم كره. وانخرط في جهوده في توسعة العمل الفقهي مع التوعية الفقهية. وانضم إلى أكاديمية الفقه الإسلامي التي أسسها فضيلة الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي، أحد أعلام الفقه الإسلامي بالهند، وأسس في مدرسته جامعة الرشاد دار الإفتاء والقضاء وترأسها مدة خمس عشرة سنة. وله مؤلفات في هذا المجال، تزدان بها المكتبة الإسلامية الهندية ومنها "الفقه الإسلامي" في ثلاث مجلدات و"الفقه الإسلامي ومشكلات العصر الحديث" و"الاجتهاد وتغير الأحكام" و"الفتاوى الهندية ومؤلفوها" و"قانون الأجرة في الإسلام" و"مسألة الكفاءة".

3 الدكتور أحمد علي الندوي حفظه الله

هو من أبرز الشخصيات البارزين المتميزين في الفقه الإسلامي، ومن خرجي من ندوة العلماء. ونال شهادة الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

بدرجة ممتازة مع شهادة التفوق. لتخصصه في الفقه الإسلامي وأصوله. واستحق
بجدارة بأعماله القيمة جائزة الملك فيصل العالمية عام 2004 م.

وله مؤلفات عديدة في الفقه ومنها "القواعد الفقهية" والقواعد والضوابط
المستخلصة من التحرير للحصيري" وموسوعات القواعد والضوابط الفقهية الحاكمة
للمعاملات المالية في الفقه الإسلامي، والقواعد الفقهية والأصولية في ضوء الأحاديث
النبوية".

وكتابه "القواعد الفقهية" رسالة علمية قدّمها المؤلف في جامعة أم القرى بمكة
المكرمة لنيل شهادة الماجستير، وفيه أبحاث علمية نافعة مثل "توضيح القواعد الفقهية
وتطبيقها" و"تاريخ قواعد الفقه ونشأتها"، وذكر مؤلفيها والمصطلحات الفنية، والكتاب
يضم مقدمة مستفيضة للفقيه الشيخ مصطفى الزرقاء.

والشيخ علي أحمد الندوي المولود بكجرات الهند عام 1373هـ / 1954 م،
قضى مسيرته الدراسية في المملكة العربية السعودية. حيث نال شهادة ليسانس من
كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ودرجتي الماجستير
والدكتوراه من جامعة أم القرى من مكة المكرمة.

هو ثاني اثنين من أبناء الندوة الذي فاز بجائزة "الملك فيصل العالمية"، وسبقه
الشيخ أبو الحسن علي الحسين الندوي.

وقد عمل رئيس المستشاريين بأمانة الهيئة الشرعية لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار، وهو الآن أستاذ مساعد في جامعة الملك عبد العزيز، بدأ اهتمام الدكتور الندوي بدراسة القواعد الفقهية والبحث فيها قبل حوالي عشرين سنة. وهو من أبرز المتخصصين فيها مع العناية الفائقة بالجانب الفقهي في المعاملات المالية. وله في ذلك كتب وبحوث عدة تميزت بالعمق والشمولية والدقة.

ويعد كتابه "القواعد الفقهية" أول دراسة تأصيلية تاريخية موسعة في علم القواعد. وأما كتابه "جمهرة القواعد في المعاملات المالية" في ثلاثة أجزاء الصادر سنة 1421هـ / 2001م، يعد من أهم ما كتب في هذا المجال. وقد استخرج فيه مجموعة كبيرة من القواعد الفقهية في المعاملات المالية من مصادرها الأصلية وربطها بالحاضر المعاصر بصورة تفصيلية مبتكرة، مما جعله مرجعا للباحثين في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي.

والبارزون من أبناء الندوة في الفقه الإسلامي: الشيخ المفتي سعيد الندوي والشيخ شفيق الرحمن الندوي صاحب كتاب "الفقه الميسر على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة العبادات" والشيخ ناصر علي الندوي والدكتور السيد حسين أحمد الندوي والأستاذ صدر الحسن الندوي والأستاذ طارق الندوي والأستاذ ظفر عالم الندوي والأستاذ

فهيم أختَر الندوي والأستاذ راشد حسين الندوي صاحب الفقه الميسر على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان.

كما أن مجلة البعث الإسلامي الصادرة عن ندوة العلماء أولت اهتماما بالغا بنشر المواضيع ذات الأهمية بالفقه، وازدانت صفحاتها في معظم الأعداد بمثل هذه الأبحاث. ومن هذا القبيل ما كتبه الشيخ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي بعنوان "أهل الكتاب وما يتعلق بهم من الأحكام المستجد". وهي قضية مهمة في العصر الراهن لأن جمهور الناس التبس عليهم الأمر فيما يتعلق بأهل الكتاب، ويتساءلون من هم أهل الكتاب؟، وما حكم زواج نسائهم؟ والشيخ الندوي يبين هذه القضايا في ضوء القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء، وحلقة أخرى بعنوان "زراعة الأعضاء البشرية في ضوء الشريعة الإسلامية" بقلم خورشيد أشرف إقبال الندوي، نشرته المجلة اهتماما بالقضايا الفقهية.

ولا تزال جهودهم المخلصة في مجال الفقه الإسلامي تستمر وتواصل. كما أن علماء ندوة العلماء وزعماءها يتدخلون في القضايا الفقهية ويدلون بها إلى الحكام، ومساهمة الشيخ أبو الحسن الندوي معروفة ومشكورة. وإليه تشير كلمات الشيخ محمد واضح رشيد الحسن الندوي وأنه قائلاً "كتب سماحة الشيخ الندوي رسالة مفصلة إلى إندرا غاندي رئيسة الوزراء الهند يشرح فيها الوضع السائد في البلاد في أيام حالة الطواري، والبطش والاستبداد الذي يواجه الشعب يقول فيها "بعد أن ذكر صلة بوالدها

ونوه بخدمات جوهري لال نهرو في سبيل تحرير البلاد وخدمات حزب المؤتمر الوطني في إرساء قواعد متينة للوطن بعد الحرية، وتضحيات الزعماء والقادة المناضلين للاستقلال، وأمثال مهاتما غاندي، وموتي لال نهرو، ونوه بجرأتها وصرامتها وذكائها في سياسة البلاد وأنه يتذكر أيضا. "إنه لمن الفشل والخيبة لحركة تحرير البلاد وجهودها وقادتها أن يضطر الناس إلى تذكر عهد العبودية والحكم الأجنبية، وإنه لمن العاري أن يتذكر الناس اليوم العهد الإنجليزي ويتمنوه".⁷⁷ كما قام الشيخ الندوي بدوره في هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية في رفع القضايا الهامة التي تشغل كيان الأمة المسلمة إلى الجهات المعنية والمحكمة الهندية ، لتكون القوانين والتوجيهات الحكومية وفقا لما جاء في الفقه الإسلامي. ومن هذا القبيل قضية نفقة المطلقة التي تدخلت فيها المحكمة الهندية عام 1405 هـ / 1985م في شأن شا بانو والتي أثارت جدالا ساخنا في المسارح السياسية والدينية. وقد سمع المجتمع الإسلامي بالهند إصدار المواقف الحاسمة التي اتخذها علماء دار العلوم ندوة العلماء على أساس النظر في الفقه الإسلامي، مما يمكن القول إن الفقه الإسلامي أصبح جامعا بين أصالة النصوص الدينية وحدثا المتطلبات المعاصرة.

⁷⁷ الشيخ أبو الحسن علي الندوي قائدا حكيما، محمد واضح رشيد الحسني الندوي، ص 85.

الفصل الثاني: خدمات أبناء دار العلوم ندوة العلماء في التاريخ والسيرة والأدب

الأطفال

من يجهل الماضي فلا حاضر لها ولا مستقبل. هذه المقولة ليست مجاملة ولا مبالغة. والتاريخ دوما الحافز الدافع للإنسان أن يتقدم ويستعمر فيحرز الإنجازات. ويعطي علم التاريخ تصويرا دقيقا عن العالم القديم، والتجارب التي مر بها الإنسان والدروس والعبرة من الماضي لكي نخطط المستقبل.

ومن هذا المنطلق يقيم جهود دار العلوم ندوة العلماء في إثراء اللغة العربية وآدابها في البلاد الهندية. وما من فن في اللغة إلا وقد وضع رجالها بصماتهم فيه دراسة وتدريسا وتأليفا. وحركة التأليف العربية تطورت في ظل الندوة ، ونمت وأثمرت أكثر مما كان من قبل. كان ذلك من دواعي النهضة الإسلامية آنذاك، لأن ثورة 1857 قد قضت على المسلمين كيانهم وثقافتهم وشعائرهم . ونشاطات الندوة نفحت روحا جديدة في هيكل المسلمين وأخذوا بهم إلى طريق الرقي المتمثل في المؤسسات التربوية والتأليف العربي. وفيما يلي نستعرض أهم مجالات الكتابة والتأليف لدى علماء ندوة العلماء:

1 ، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم صاحبها السيد سليمان الندوي

هذا الكتاب أصلا في سبعة مجلدات كبار (باللغة الأردية) . ألف المجلدين الأولين العلامة شبلي النعماني، . وكان حريصا أن يكمل الكتاب في عدة أجزاء حتى يحوى الموضوعَ متكاملًا وافيًا بجميع جوانبه. ولكن سبقه قضاء الله ولم يتم من إلا جزأين . وكانت إرادة الله أن يحقق أمله على يد تلميذه النقيب السيد سليمان الندوي. وقد شارك مع أستاذه منذ بداية العمل ، وهو الذي تربي عليه وتلقى منه العلوم. واستطاع أن يكمله بأحسن وجه في سبع مجلدات فصار الكتاب موسوعة لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم. ويقول العلامة أبو الحسن علي الندوي "لم يكن العلامة السيد سليمان الندوي من كبار المؤلفين في السيرة النبوية في عصره فحسب، بل كان من أبرز المؤلفين في السيرة والتاريخ الإسلامي بكامله".⁷⁸ كما أشار أيضا "وقد كان من مزاياه أنه وسع نطاق السيرة من سرد الأحداث وبيان الشمائل ووصف العادات إلى الرسالة المحمدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية وبحث شعبها المختلفة"⁷⁹.

2 - السيرة النبوية - السيد أبو الحسن علي الحسين الندوي

هذا الكتاب من أروع وأجود الكتب التي دمجها العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوي. ولقد خلف لنا الشيخ تراثا علميا وافرا ، ينعكس فيه حبه للعلم وشوقه للثقافة

⁷⁸ شخصيات وكتب، الشيخ الندوي، ص 69.

⁷⁹ المصدر السابق.

وولعه للأدب وتفاؤله بالإيمان وإخلاصه في العمل، وكل هذا استمدته من بيئة التربية والثقافة التي استقاه منذ صغر سنه.

كان الشيخ الندوي مولعا بالسيره النبوية. وامتزجت روحها بدمه ، وشكلت السيرة الطاهرة عنصرا أساسيا في ثقافته وحياته، وتذوق حلاوتها بإيمانه الراسخ وحبه لأهل بيت الرسول ، وأذكى عاطفة الحب والحنان بما فيها من قصص وأخبار. وأثرت هذه الانفعالات في حياة التأليف والدعوة. ولم يكن السيرة لديه مجرد سرد الوقائع التاريخية فقط. بل وأكثر من ذلك إنها يحكي لنا الحقائق الإسلامية الحافلة بالمواعظ والعبر متجسدة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد حاول الشيخ الندوي أن يجمع الكتاب الجانب العلمي والجانب التربوي الأدبي بحيث لا يسبق أحدهما الآخر، وهو يحرض عقول الجيل الجديد أن يفهمه ويذوقه كاملا ومتمشيا مع المقررات الدينية التي تفهم من ضوئها الكتب السماوية وسير الأنبياء والمعجزات والأخبار الغيبية. وتضمن أسلوب دعوته صلى الله عليه وسلم إلى نفوس البشرية وعلم الاجتماع والأخلاق، وهي من وحي السيرة.

يقول تلميذه الدكتور محمد إجتباء الندوي عن تعريف هذا الكتاب "والكتاب بمواضيعه الجامعة الشاملة وبمحتوياته الوافرة الكاملة وبجمعه الجانبين العلمي والتربوي البلاغي وبأسلوب الأسر للقلوب والنفوس، وببيانه الساحر الجميل الجذاب الخلاب، وبمعلوماته المقارنة والكشوف الحديثة وبخرائطه ومعالمه الجغرافية في السيرة،

وخصائصه المميزة جدير بأن ينال حظوة وقبولاً ويتبوأ مكانة مرموقة في أوساط العلمية والثقافة والدينية والدعوية والحضارية في العالم".⁸⁰

يقول أبو الحسن علي الندوي عن تأليفه في مقدمته "وشرح الله صدري أخيراً لهذا التأليف، فعكفت على هذا الموضوع وعشت فيه. أقرأ كتب السيرة والحديث، وكل ما أستعين به في هذا الموضوع من القديم والحديث، وبدأت الكتب معتمداً على أصبح ما كتب وألف في هذا الموضوع واستعنت بما كتب في هذا الموضوع في العصر القديم والعصر الحديث، وبالمراجع والأجنبية التي توضح الكثير من السيرة، والتاريخ المعاصر وتلقى ضوءاً على الحكومات والمجتمعات المعاصرة".⁸¹

وقد طبع الكتاب أول مرة عام 1396هـ/ 1976م الموافق ثم طبعه مرات، وترجم إلى اللغة الأردية والإنجليزية والهندية والتركية والبنغالية والماليزية، والباحث يريد تحليل الكتاب في الباب الخامس الأخير.

3 - في ظلال السيرة للأستاذ محمد الرابع الحسن الندوي

يشتمل هذا الكتاب على مقالات وبحوث أدبية كتبها المؤلف حول السيرة النبوية

في مناسبات مختلفة.

⁸⁰ أبو الحسن علي الندوي الداعية الحكيم، د محمد إجتباء الندوي، ص 106.

⁸¹ مقدمة الكتاب السيرة النبوية، الشيخ الندوي، ص 18.

يقول الدكتور محمد قطب الدين عن هذا الكتاب: "إنما هذا الكتاب يبرز مختلف الجوانب من الحياة النبوية ويحمل بين دفتيه مشاعر الحب والوفاء للرسول صلى الله عليه وسلم كما لا يخلو الكتاب من القيمة الأدبية والعلمية، وحاول المؤلف أن يقدم السيرة النبوية الشريفة كأسوة كاملة وكمثال حيّ يحتذى به في كل حالة من الأحوال وفي كل مرحلة من مراحل الحياة وقضية من القضايا البشرية، في كل عصر ومصر، وفي كل حين وأن".⁸²

ويشير المؤلف عن الدوافع التي دفعت إلى تناول هذا الموضوع المهم القيم بغاية من الجهد والاعنتاء. وقال: "إن أهل العلم من أوربا الذين لم يدرسوا السيرة النبوية الزكية التي هي معدن الفضيلة ومكارم الأخلاق دراسة موضوعية، بل درسوها من زوايا خاصة وهي العصبية القومية والوثنية والنصرانية واليهودية السلبية. إنما تركوا من هذه الدراسة المغرضة مآثر الرسول على الإنسانية وتعاليمه الخلقية. وما أفاد بها الإنسانية البائسة، فظلموا بذلك سيرة أفضل البشر وأبر إنسان. لقد رأى ذلك هذا الكتاب فسأه فأراد أن يكتب ما ينفي هذا الشر ويبني خيرا في هذا المجال".⁸³

4 - الرسالة المحمدية - الشيخ سليمان الندوي

⁸² ندوة العلماء في خدمة الأدب العربي، د/ محمد قطب الدين الندوي، ص 145.

⁸³ مقدمة الكتاب في ظلال السيرة، الأستاذ محمد الرابع الحسن الندوي، ص 13.

يحتوى هذا الكتاب القيم مجموعة من ثماني محاضرات في السيرة النبوية. وقد سافر المؤلف إلى مدراس سنة 1343 هـ / 1925م بمناسبة دعوة جمعية التعليمية الإسلامية لمدراس. وألقى بها ثماني محاضرات حول جوانب مختلفة من السيرة النبوية، طبعت باسم محاضرات مدراس سنة 1381 هـ / 1962 م. وهذه المحاضرات في أسلوب جذاب ومؤثر في قلوب الإنسان عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي تحتل مكانة عظيمة بين كتب السير والتراجم.

وهذا الكتاب في اللغة الأردية أولاً ثم ترجم تلميذه الأستاذ محمد ناظم الندوي إلى اللغة العربية. وسماه الرسالة المحمدية. ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي عن قيمة هذا الكتاب: "هو من أقوى الكتب في السيرة وأروعها في جمال التعبير، وبث حلاوة الإيمان وتوثيق الصلة بذات النبي صلى الله عليه وسلم. وإن الكتاب عصارة لمكتبة كاملة في السيرة النبوية".⁸⁴

5 - رجال الفكر والدعوة في الإسلام - العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوي

هذا الكتاب القيم مادة أصلية عريقة لتاريخ عباقرة المسلمين ومنبع من منابع التاريخ النادر. ينفجر منه عبير الثقافة الإسلامية كما يجهر الكتاب بمكانة المسلمين

⁸⁴ شخصيات وكتب، للشيخ الندوي، ص 70.

ومجددهم وفخرهم ومآثرهم وسيادة العالم الإسلامي، يلمح في خلال صفحاته بصيرته العلمية والأدبية والفكرية الفائقة بأسلوب رشيق متين وألفاظ جزالة جذابة.

يقول الشيخ الندوي عن ظروف تأليف هذا الكتاب "فقد طلبت مني كلية الشريعة في الجامعة السورية إلقاء محاضرات على طلابها في موضوع ديني علمي. وأجبت إلى رغبتها حرصاً مني على التعاون مع أساتذتها في خدمة هذه المؤسسة العلمية العظيمة الناشئة التي يرجي أن تقوم بدورهم في نشر العلوم الدينية، وتكوين جيل علمي جديد في هذا البلد، واخترت موضوع الإصلاح والتجديد والتعريف بكبار رجال الدعوة العزيمية والجهاد في تاريخ إلقاء المحاضرات سنة 1375 هـ / 1956م. وكانت في كل يوم أربعاء محاضرات في مدرج الجامعة الكبير".⁸⁵

وقال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله عن هذا الكتاب:

"وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم لقراء العربية صورة واضحة لأفكار الأستاذ الندوي وميوله الإصلاحية، وفهمه العميق للتاريخ الإسلامي ولروح الإسلام الصافية المشرقة وما علق بها- في العصور الأخيرة - من غبار وما أصابها من انحراف. وبذلك يسد هذا الكتاب ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي، كنا لا نزال نشعر بالحاجة إليها. إذ يتحدث عن تاريخ الإصلاح في حياة المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية

⁸⁵ مقدمة الكتاب رحلا الفكرة والدعوة في الإسلام، ص 10.

في فترات من تاريخ الإسلام في الماضي. كما يعرض لنا صورا واضحا لأبرز زعماء الإصلاح الإسلامي منذ العصر الأموي".⁸⁶

وقد عظم شأن هذا الكتاب في الأوساط العلمية والدينية والتربوية، وهو يسد ثلثة في المكتبة الإسلامية العربية، ويحتوى في جزئه الأول على محاضرات ثمينة توجيهية، ألقاها الشيخ أبو الحسن علي الندوي في كلية الشريعة في الجامعة السورية بدمشق 1375 هـ / 1956م. تتويرا لعقول الشباب فيها، إذ أنه يسلط الضوء على حياة الشخصيات الإسلامية البارزة الذين ضربوا أمثلة رائعة في مجال الدعوة والجهاد والإصلاح والتجديد. كأمثال سيدنا عمر بن عبد العزيز والحسن والبصري وخلفائه وحركة تدوين الفقه والأئمة الأربعة والإمام غزالي والإمام عبد القادر الجيلاني والشيخ جلال الدين الرومي.

والجزء الثاني يعرض الإمام الحافظ ابن تيمية وتلاميذ مدرسته وترجم هذا الجزء أولا إلى اللغة الإنجليزية ثم الأردية. والجزء الثالث يبحث عن الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (971-1024) وخلفائه وإصلاحاته. كما أن الجزء الرابع خاص لترجمة حكيم الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي

⁸⁶ رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص 7.

(1114-1178م) ويستعرض دوره الإصلاحى والتجديدى والتربوى الذى قام به فى

شبه القارة الهندية.

6 - قصص النبىين للأطفال - الشيخ أبو الحسن على الندوى

يعد هذا الكتاب من أجمل ما كتبه الأستاذ أبى الحسن على الندوى فى أدب اللغة العربية. يرسم لنا المؤلف قصصا وحكايات دينية وإسلامية وتاريخية. يهدف تعليم اللغة العربية وغرس العقيدة الإسلامية ونقشها فى ذهن اليافع. كما أشار إليه الشيخ أحمد الشرباص "ومنها أن ما يتلقاه الطفل فى دروسه الأولى يرسخ فى نفسه ويتمكن من ذاته، ولقد قالوا ولايزالون يقولون: "إن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر". ومعنى ذلك أن ما نلقيه إلى التلميذ سيبقى ويدوم، فإن كان خيرا بقيت فائدته ودامت منفعته، وإن كان شرا بقي سوءه ودامت النكبة به. وما صدر الطفل حين ذاك إلا صندوق فارغ كجهاز الإستقبال اللاقط الذى يرتبط كل الإرتباط بما يرسل إليه من الخارج فإذا جاءه شيء من ذلك تمكن منه كل التمكن وثبت فيه غاية الثبات."⁸⁷

ونرى أن هذا الكتاب مميّز بمنهج القصص والأدبى للأطفال. بحيث أن القصص أحسن طريقة لتعليم الأطفال اللغة العربية كما أشير إليه: "القصة لون جميل من الحدث، يستلفت الإسماع ويستهوئ القلوب، وإنه يحقق عرضين كريمين الأول:

⁸⁷ تصدير كتاب بقصص النبىين للأطفال، الأستاذ الشيخ أحمد الشرباص، ص 3.

إمداد البيئة المسلمة مما تطمح إليه من غذاء روحي وعقلي يرخضى العواطف
والمشاعر ويهذب الأخلاق والطبائع.

الثاني: تمكين قواعد اللغة العربية في صدور هذه الشبيبة وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم
ولغة الحديث ولغة التاريخ الإسلامي.⁸⁸ وكفى مفخرة لهذا الكتاب قول الأستاذ سيد
قطب رحمه الله وأنه قائلاً:

"ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام، وشاركت في تأليف مجموعة القصص الديني للأطفال في مصر مأخوذاً كذلك
من القرآن الكريم، ولكنني أشهد في غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه
القصة التي بين يدي جاء أكمل من هذا كله".⁸⁹

إن الكاتب يوضح أهمية قصص النبيين، وهو يبين في بداية قصص النبيين
القسم الأول نصيحة لابن أخيه محمد الحسني منشئ مجلة "البعث الإسلامي" بدراسة
اللغة العربية مع قراءة قصص الأنبياء فيقول ابن أخي العزيز:-

"أراك حريصاً على القصص والحكايات، كذلك كل طفل في سنك تسمع هذه
القصص بكل رغبة، وتقرأها بكل رغبة ولكنني أتأسف لأنني لا أرى في يدك إلا حكايات
السنابير والكلاب والأسد والذئاب والقرود والذئاب، وعلينا العهدة في ذلك، فذلك نجده

⁸⁸ قصص النبيين للأطفال، الشيخ الندوي، ج 1، ص 5.

⁸⁹ مقدمة الكتاب قصص النبيين، السيد قطب، ج 5، ص 11.

مطبوعا.... ولكنني أحجل أنك لاتجد ما يوافق سنك من القصص العربية إلا قصص الحيوانات والأساطير والخرافات.⁹⁰

فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بأسلوب سهل يوافق سنك وذوقك ففعلت، وهذا هو الكتاب الأول من قصص النبيين للأطفال أهديه إليك.

والسيد أبو الحسن علي الندوي صار بهذا العمل رائد الأدب الإسلامي للأطفال، أثاره بكتاباته الرائعة. وأتحف الطفل المسلم بنحلة عالية من قصص الأنبياء وحكاية الرسل في ضوء القرآن، ففي الجزء الأول من هذه القصص دعا الأطفال الناعمة إلى أن يجتمعوا حوله ليقص عليهم قصة عجيبة ويقول تعالوا يا أبنائي أحك لكم قصة رجل كبير كان في زمن قديم قديم جدا، فاجتمع حوله الأطفال حرصين على سماع القصة، فبدأ القصة بأسلوبه الجذاب فقال "قبل أيام كثيرة كثيرة جدا كان في قرية رجل مشهور جدا وكان اسم هذا الرجل آزر، وكان آزر يبيع الأصنام وكان في هذه القرية بيوت كبيرة جدا وكان في هذا البيت أصنام، أصنام كثيرة جدا وكان الناس يسجدون لهذه الأصنام".

⁹⁰ المصدر السابق.

وهو يريد أن يدرك الطلاب مبدأ تاريخ التوحيد وتجارب إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي بعثه الله في بيت آزر بائع الأصنام وصانع الأوثان، وفي البيئة التي سادت الأوثان والأصنام وخاضعة لكل ما رأى عيونهم من الأشجار والأحجار والنار وغيرهم وأراد الله ببعثه أن يعيد الإنسان إلى عقيدة التوحيد بعد أن صاروا في الفساد والشرك، فاجتبي الله لهذه المهمة ولد آزر الحلِيم الرشيد، ويقول :-

"وكان آزر له ولد رشيد جدا وكان اسم هذا الولد إبراهيم، كان إبراهيم يرى الناس يسجدون للأصنام ويرى الناس يعبدون الأصنام، وكان إبراهيم يعرف أن الأصنام حجارة، وكان يعرف أن الأصنام لا تتكلم ولا تسمع وكان يعرف أن الأصنام لا تتفجع، وكان يرى أن الذباب يجلس على الأصنام فلا تدفع، وكان إبراهيم يقول في نفسه لما يسجد الناس للأصنام وكان إبراهيم يسأل نفسه لماذا يسأل الناس الأصنام".⁹¹

وهذا الأسلوب الرشيق الذي غرست في عقول الأطفال عقيدة التوحيد ويحبب إليهم الإيمان بالله ، ومع ذلك يسأل إبراهيم أباه عن سبب عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تتفجع. ويواجه غضبا منه ويزمعه في نفسه أن يكسر الأصنام وفعل ذلك، فجاءوا إليه وقالوا أنت فعلت هذا بالهتتا يا إبراهيم قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وأراد القوم أن يعاقبوه بالنارجزاء مما كسر الأصنام "اجتمع الناس وقالوا ماذا تفعل؟ إن إبراهيم كسر الأصنام وأهان الآلهة وسأل الناس : ما عقاب إبراهيم؟ ما جزاء

⁹¹ قصص النبيين للأطفال، الشيخ أبو الحسن علي الندوي

إبراهيم ؟ كان الجواب (حرقوه وانصروا آلهمكم) وهكذا أوقدوا نارا والقوا فيها إبراهيم،
ولكن الله نصر إبراهيم وقال للنار (يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم).

ولقد حكى رائد الأدب الإسلامي للأطفال هذه القصة بلغة جميلة عاطرة بنفحات
الإيمان ليستفيد منها الأطفال عقيدة التوحيد وصفات الإله الواحد ويصور لهم إبراهيم
إنسانا مثاليا ذا مكانة عالية مع علاقته بربه والناس.

الفصل الثالث: مساهمات دار العلوم ندوة العلماء في الشعر العربي

ومن الحقائق المسلّمة أن دار العلوم ندوة العلماء أنجبت عظاماً عباقرة وفصحاء. وقامت بأعمال جليلة ومآثر علمية عظيمة في كل ميادين العلم والمعرفة. ولعبت دوراً هاماً في جميع الفنون الإسلامية وزينوا المكتبات الإسلامية بكتبهم القيمة ومصنفاتهم الفريدة وبحوثهم الغالية، وبجانب هذا وذاك كان أبناء الندوة معظمهم قادرين على قرض الشعر العربي، والبعض منهم فاقوا في صناعته، وزينوا الشعر العربي بروعة قرضهم وإبداعهم.

ويستحق هؤلاء دراسة مستفيضة في أشعارهم، ونكتفي هنا بذكر تاريخ بثلاثة منهم: العلامة السيد سليمان الندوي والأستاذ الجليل محمد ناظم الندوي والأستاذ عبد الرحمن الكاشعري.

والسيد سليمان الندوي صاحب أشعار رائعة راقية في اللغات العربية والأردية والفارسية، ولكن قلما يعرف الناس مكانته في الشعر، لأنه كان في آن واحد عالماً ومحدثاً وفقهياً وأديباً وسياسياً ومؤرخاً وصحافياً ناقداً وكاتباً ماهراً وشاعراً مقلماً وقاضياً حكيماً.

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسن الندوي: "ووجدنا من اعتناء العلامة السيد سليمان الندوي بالأدب العربي بالشعر العربي، فقد نظم الشعر في موضوعات مختلفة،

ويدل هذا الشعر على إرهاب حسه وحسن خياله وحبه للفضائل والحكمة، وقد تجلت في شعره القوة والإجادة والتعبير الطبيعي الجميل، مع أنه نظم الشعر العربي بأسلوب يتصف بالتعبير الطبيعي الجميل قلما يتأتى لرجل لم ينشأ في جوّ عربي ولم يطل أو يتكرر. وإختلاطه برجال اللغة الأقحاح ولكن الإهتمام بدراسة النصوص الأدبية البليغة مما أنتجها أقلام العربي الفصحاء قد يصبح بديلا من ذلك، وذلك الذي كان في سليقة العلامة الندوي الأدبية".⁹²

ولد السيد سليمان الندوي بقرية دسنة، بيهار 1302هـ / 1884م. وتلقى دروسه الابتدائية من القرية. ثم تعلم اللغة الفارسية وآدابها واللغة العربية وآدابها. ثم التحق بدار العلوم التابعة لندوة العلماء عام 1318هـ / 1901م وقرأ على أساتذتها البارعين وصاحب العلامة شبلي النعماني، وكان العلامة شبلي النعماني يشجع الطلاب على تعليم اللغة العربية والصحف والمجلات. فزاده تحقيقا في اللغة العربية، وحين عقدت حفلة تخريج الدفعة الأولى من دار العلوم ندوة العلماء سنة 1355هـ / 1936م. خطب عربية ارتجالية وهزت بمجامع القلوب، فدهش العلماء من خطبته، وقام العلامة شبلي رحمه الله وخلع عمامته ووضع على رأسه إظهارا لفرحه وكشهادة على درجة العليا. وقال السيد وهو يتحدث عن ذكرياته "أصبحت هذه العمامة مفخرة له طول حياته".

⁹² الدكتور محمد أكرم الندوي، السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين

وقد منحه جامعة عليكره الإسلامية الدكتوراه الفخرية في الآداب عام 1362 هـ

/ 1943 م إعترافا بمكانته العلمية وعلو كعبه في العلوم والآداب.⁹³

لما عين الشيخ أستاذا في دار العلوم واعتنى بالعربية وقام بدوره في إصلاح المناهج التعليمية فيها تابعا لخطوات شبلي النعماني، الذي هو أول مصلح لنظام التعليم في دار العلوم. وسعى بين الطلاب بالتوجيهات التربوية تنفعهم في مستقبلهم. ولذا برز من بينهم العلماء المفكرون والكتاب البارزون والشعراء في جميع مجالات العلوم. ويقول الأستاذ أبو الحسن علي الندوي : كان من مزايا شخصيته الجامعية الشمول في المعرفة والبحث.

ويقول عنه شاعر الإسلام محمد إقبال "يتبوأ السيد سليمان الندوي اليوم أعلى مدارج حياتنا العلمية، إنه ليس مجرد عالم، بل هو أمير للعلماء، وليس بكاتب فحسب. بل إنه إمام الكتاب والمؤلفين، إن شخصه بحر للعلوم والمحاسن تخرج منه مئات من الأنهار وتستقى منه ألوف من المزارع اليابسة.

مساهمته في الشعر العربي

⁹³ نزهة الخواطر 165/8

إن المتأمل عن مساهمات الشيخ سليمان الندوي يرى أن له دورا فعالا في كل المجالات الأدبية في النثر والشعر. وله شعر رائع في اللغة العربية والأردية والفارسية يتميز بالليونة والسذاجة والعذوبة.

ونذكر هنا نماذج من شعره الجميل نشرها في مجلة "الضياء" في حلقات وسماها "درر غرر" فمنها رباعيات، وقصائد حكمة ووصف وتصوير. وكان ينظم في المناسبات المختلفة بصورة ارتجالية. ومع ذلك لم ينشر شعره لفترة من الزمن، ولما ألح عليه أصدقاؤه نشره في مجلة الضياء.

ومن شعره الرائع وهو يصف الشمس عند مغيبها

كأنما الشفق الممتد في الأفق خمر معتقة شجت لمغتبِق

خمر لعقتها في أعلى همالية شجت بماء غمام هامر غدق

كف الطبيعة تسقى الناس أكؤسها ويل لمن هذه الصهباء لم يذق

تحسو القلوب حمياها إذا نظرت إلى السماء بأقداح من الحدق

والطير تشربها حين تروح إلى أوكارها صافرات السجع في حلق

والريح سائرة في روضة أنف تهدي السرور إلى حوباء منتشق

دن من القهوة الصهباء في الأفق والكأس تطفوبه لا الشمس في الشفق

بل إنه برقع فإن له شية والشمس وجه حبيب بالحجاب يقى

بل إنما الشمس للصواخ بوتقة قد ذاب عسجدها وانشج في طرق

بل إنما الشمس من أعمارنا قتلت يوما فسال دم جار من العنق

فذلك الشفق المحمر من دمه وقبره ليله المستور بالفسق

يقول الأستاذ رابع الحسن الندوي في تحليله لهذه الأبيات: ترى المعاني الطريفة في هذه القصيدة، كيف يشبه صورا عديدة لمنظر الشمس عند غروبها بأشياء وأحوال تحمل مشاعر طبيعية وخواطر رائعة من الإحساس الرقيق. يشبه الشفق الممتد في الأفق بالخمير المعتق في أعلى هماليا التي كان الشفق قد امتد عليها.

ويذكر شرب الخمر بأقداح من الحدق، لأن شرب خمر الشفق لا يمكن إلا بالنظر من خلال حدق العيون. ويشبه والشفق في بيت آخر من الشعر ببرقع أحمر يختفى فيه وجه الحبيب وهو وجه الشمس.

ثم يشبه غيبة الشمس في الأفق تاركة منها شفقاً ممتداً. كأن الشمس قتلت من أعمار الإنسان يوماً واحداً. فخرجت الدماء من عنق هذا، وانتشرت فكان منها الشفق

وغابت الشمس بعده في القبر، وقبرها هو الليل الذي أتى بعد غروب الشفق.⁹⁴

⁹⁴ مجلة الضياء عدد صفر 1351 ص 30 الدكتور محمد أكرم الندوي ص 189

وأشعاره تنطق بقدرته الشعرية الفائقة جامعا البدائع والخيال والعواطف والوجدان

التي جعلها في عداد الشعراء المفلكين.

2- والشاعر الآخر الذي أثرى اللغة العربية بشعره هو الأستاذ الجليل محمد ناظم

الندوي الذي يعرف في آن واحد أديبا وشاعرا وصحفيا ومدرسا ومؤلفا.

ولد هذا الشاعر المفلق في ديسمبر 1913 م / 1332هـ بقرية "عليشجر" في

ولاية بيهار، وتلقى العلوم الابتدائية من أسرته، ثم التحق بالمدرسة العزيزية في "بتنه".

حتى أتم الدراسات العالية في العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها. ثم صار طالبا في

قسم الاختصاص في ندوة العلماء، وهناك تغير مجرى حياته الأدبية، إذ وجد من

الأساتذة من أمثال الشيخ محمد تقي الدين الهاللي والسيد الشاعر سليمان الندوي. ثم

توظف معلما للأدب والبلاغة في الجامعة الإسلامية بدابهيل، غجرات ما بين سنة

1934 / 1938م. ودرس أمهات الكتب كأمثال مقدمة بن خلدون وحجة الله البالغة

للشيخ ولي الله الدهلوي وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني مما

صار به معلما قادرا بين الطلاب.

مميزات شعره

يمكن القول إن السيد محمد ناظم الندوي، وإن كانت أشعاره قليلة ، كان من أجود الشعراء في الهند، وكان لا يقرض إلا في المناسبات النادرة. حين تثور عواطفه على مصيبة تصيب الأمة الإسلامية .

يمتاز شعره بقوة التعبير وصدقته ونزاهته ويصور تصويرا بالروعة البلاغية، ورشاقة الألفاظ مملوءة بالمعاني، وقوة العاطفة الجياشة ويحلق في سماء الخيال والوصف والتصوير، ويمتاز أسلوبه بطلاقة الكلمات وبلاغة الأسلوب وروعة السجع. كما يتضح لنا أن شعره يأتي حسب متطلبات الأغراض والموضوعات في المدح والوصف والحمد والثناء. وهو يطرق أبواب أغراض الشعر العربي كلها. ومنها:

الوصف

إن الوصف من أروع وأجود ما قرضه الأستاذ محمد ناظم الندوي، ويأتي في طليعته وصف القلم وصف الحج وأيام منى ووصف النفس وغيره.

وصف القلم

ومن أبدع وصفه ما وصف "القلم" الذي أهدى إليه أستاذه العلامة السيد سليمان الندوي من حيدرآباد، يصوره تصويرا رائعا بديع الألفاظ والعبارات متساويان وكثير المعاني. وانبعث من أعماق نفسه أبيات هي خير هدية من أستاذه وأنها أثمن من اللؤلؤ، وأقطع من سيف صارم وألبس الخامل لباس الذكر الرفيع، وله تأثير بالغ في

إحداث الثورات والواقعات أبادت النفوس، وله قدرة القضاء على الفتن والثورات وإيجاد التعايش السلمي ومنحه العزة والقوة ودفع الضعف والوهن.

نرى نموذجا من شعره في كتاب القراءة الراشدة للأطفال للشيخ أبي الحسن علي حسني الندوي ويصور ما أجمل منها ومطلعها.

أهدى إلى سيدي قلما رشيقا من دكن

أغلى من اللؤلؤ وار شقا من العد الحسن

هوخير ما يهدى إلى من يبتغى الذكر الحسن

ياحبذا تلك العلى من ماجد حبر الزمن

كم حامل نالوا به ذكرا رفيعا في الوطن

كم معدم حازوا به مالا عظيما في المحن

وآخرها

تقرى الأمور بحدة ولمجده يعنو الزمن

سيف صقيل في الوعي موت ذريع بالرسن

يرمى البغاة بسهمه وبطرفه تخبو الفتن

وفي وصف الحج يتفجر وجدانه ومشاعره وأحاسيسه الدينية. ونرى قوة التعبير

في الألفاظ ودقة المعنى ومتانة الأسلوب كما يقول في هذه القصيدة:

إذا ما ظلام الليل يأتي لطيفها يدغدع قلبي ناعم اللمسات

هي الحزن والسلوان والداء والشفاء وتوحي إلى الشعر كالزهرات

هي الروح والريحان والههم والأسى ومنها يفيض الشعر كالبسات⁹⁶

نماذج من شعره في الحمد

رحل الأستاذ محمد ناظم الندوي إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج 1375

هـ / 1956م. وبعد أداء فريضة الحج ناجى ربه تضرعا وخفية. وابتهل إلى الله ليغفر

له خطاياها ودعا الله أن يقبله منه مناسك الحج قبولا حسنا. ورجا ثوابه من الله تعالى،

وكل ذلك في أسلوب رشيق يناسب روح الدعاء والابتهاال. وحين يقف أمام قبر رسول

الله يعرفه جو نقيّ بالجمال الفني الشعري والتتغم والموسقي.

فقال:

⁹⁵ القراءة الراشدة ص - 76 الشيخ أبوحسن علي الندوي

⁹⁶ محمد ناظم الندوي باقة الزهر

بسطت يدي راجيا منك غفرانا وجنة فردوس لديك ورضوانا

وتبت إليك من جميع مآثمي فرحماك رحماك وعفوا وتحنانا

ويتضح لنا مكانته العالية أيضا في رثائه على الملك فيصل الشهيد، والأستاذ

محمد الحسني، والسيد أبي الأعلى المودودي. وفيما يلي رثاؤه على الملك فيصل:

الجو مغير الجوانب أحمر والنجم مكتئب ضئيل أكبر

بكت القلوب مع العيون تفجعا للفيصل المرحوم ساعة أخبروا

ومن أجود شعره في الرثاء ما رثى به محمد الحسني الندوي حول عنوان "الرثاء

للعزيز محمد الحسني" ويرثى به الشاعر ويشبهه بالقلم المصنوع للإسلام لأنه كتاباته

البديعة قد نفذت إلى العقول المظلمة العقيمة وزلزلت قصور الظلم والهمجية، وأن قلمه

كالسيف القاطع في الرد على الشبهات والظعن على ضد الإسلام والأباطل.

ومن بعض رثائه

قلم من الإسلام فلت ريشته إذ غاب صاحبه ووارث تربته

قصفته أيدي الموت غصنا ناضرا لم تبل من ثوب الشباب جدته

ذرفت عيوني إذ فجعت بنعيه خطب لقد أدمت فؤادي صدمته⁹⁷

⁹⁷ الباقية الأزهار ص 11

في الترحيب

وله أشعار بديعة رائعة جميلة في الترحيبات، ومنها ما رحب بجلالة الملك خالد بن عبد العزيز الحاكم السعودي، بمناسبة زيارته لباكستان عام 1396 هـ / 1976م. وقد نشرت القصيدة في بعض الصحف بكراتشي وجمعت فيما بعد في ديوان شعره "باقة الأزهار". ومنها:

والجو ملتمع بأبهى منظر والشمس مرسلة شعاعا مذهبا

والطير تشدو في الخمائل باكرا فرحانة سكرانة لترحبا

والدار دارك والقلوب منازل فانزل بها أنى أردت محببا

حازت قلوب المسلمين مودة فاصرف بها حيث تشاء مقربا

3- عبد الحمن الكاشغري الندوي

هو صاحب أشعار جميلة جذابة في اللغة العربية. كان تركي الأصل، هاجر إلى الهند والتحق بدار العلوم ندوة العلماء وتلقى منها العلوم العربية والإسلامية، وكان فيه غيرته على الخلافة الإسلامية المتمثلة في الحكم العثماني ومقته على قوى الاستعمار الذي هاجم رجالها على المسلمين آنذاك، وحين وصل إلى الهند بدأ يشعر أنه استطاع أن يستردّ ما فاتته في بلاد الترك، وفي أثناء إقامته في دار العلوم استطاع أن ينهل العلوم والإبداع معا، ولم يلبث أن تفجر ينابيع مشاعره وأشعاره. يتمثل ذلك

في أشعاره عن القومية الإسلامية، وقلقه على اللغة العربية، وقد سمع أنين البائسين والملهوفين وشكوى المنكوبين خمسة عشر عاما خلال تجواله بين تركيا والهند، وهذا أيضا يتمثل في أشعاره. وأشعاره نداء باستعادة أمجاد السلف وأخذ الثأر من الناقمين على الإسلام، واسترداد الحرية والعدل للمجتمع. وديوانه " الزهرات " خير مرآة مصقله لمشاعره المرهفة . ولما زار الأستاذ محمود خير الدين من أدباء دمشق فأقامت له جمعية "الإصلاح" حفلة تكريم في دار العلوم. وقال في عنوان " إلى الشامي "

قد حل بالهند ما قد حل بالشام من ضربة الغرب فاعلم أيها الشامي

فحاضر الهند يبكي مجد غابرها وأهلها كمهاة صاها الرامي

وبعد ما قص عليه نكبة المسلمين من طغاة البرتغاليين الذين احتلوا أرض

الهند، ويطلب منه أن يبلغ المسلمين في الأقطار الأخرى تحيات الهند وأهلها، وهو

يقول:

يا أيها الرجل الجواب مختبرا أحوالنا ذاك حالم المسلم الدامي

إن زرت أرضا وفيها المسلمون فقل لهم سلامي وأنذرهم بالأيام

كما أنه أحسن في إبداعه الشعري حين رحب بوفد فلسطين، وقد ألقى هذه

القصيدة الترحيبية على مسامع الوفد الفلسطيني في اجتماع عقده دار العلوم ندوة

العلماء تكريما لهم في أكتوبر 1351 هـ / 1933م. وهو يرسم م فيها الوحدة الإسلامية

التي تربط مسلمي الهند بفلسطين وضرورة التمسك بها، كما يعبر عن حسراته وزفراته
على ما حل للشعب الفلسطيني من النكبات والنكسات. وهو يقول:

دار ألم بها كرام سادة	درر المعارف بل هم دأمائها
يا دار فافتخري بهم فلأنهم	رسل الحياة وأنهم نعمائها
نزلوا بمدرسة العلوم وشرفوا	أبنائها فتكاملت عليها
فاليوم أصبحنا سكارى نشوة	شامية " قدسية " صهبائها
أين النفوس المهديات تحية	قد زانها إخلاصها ووقائها
للوافدين الماجدين إذا أتوا	أرضا يكرمهم بها علمائها ⁹⁸

كما يوضح دور دار العلوم ندوة العلماء في توثيق عرى الوحدة الإسلامية بين الشعوب
الإسلامية العالمية. ويقول:

يا أيها الفضلاء هذه دارنا	يثتى على ضيفانها شعرائها
فالشاعرية من قديم صنعكم	بالهند أيضا قد يشاد بنائها
بل ندوة العلماء منبت يحزها	ينبوعها الشرار أو مينائها

⁹⁸ الزهرات، أستاذ أبي الزبيران عبد الرحمن الكاشعري، ص 56.

درر المعارف بل هم دأماؤها

دار ألم بها كرام سادة

ويصف الشاعر جريدة الضياء في عامها الثاني فقال :

وبشكلها المرموق بين لداتها

أتت الضياء بملاً معلوماتها

وبما حوته غضون محتوياتها

جاءت تحدث بالجوائب تارة

تتخطف الأضواء من مشكاتها

تركت بلاد الله بعد طلوعها

في أرض مصر لإنها بلغاتها

ولها دوي في الدنى لاسيما

هندية رجحت على أخواتها

فدمشق عارفة بأن مجلة

بالهند من أي البلاغة ذاتها

فالمجمع العلمي يشهد أنها

تثنى على كتابها ورواتها

ولقد رأيت جرائدا عربية

والشاعر الكاشغري في أشعاره ومشاعره استطاع أن يواكب العالم الإسلامي في

آلامه وأحلامه، وديوانه "الزهرات" يكون بمثابة جسر متين بين الشعوب الهندية

والشعوب العالمية، كما يقول مسعود عالم الندوي في مقدمة ذا الديوان "نشأ الكاشغري"

بطبيعة الحال مفطوراً على حب الإسلام غيورا على بقايا أمجاد السلف، ناقما على

المعتدين عدوانهم، متوجعا لآلام المسلمين، متمنيا لهم الفوز والاستقلال.⁹⁹

⁹⁹ مقدمة الزهروات، مسعود عالم الندوي، ص 18.

الباب الرابع: مساهمات دار العلوم في الصحافة العربية

الفصل الأول: الصحافة الإسلامية في الهند قبل ظهور ندوة العلماء

تعريف الصحافة: الصحافة معناها اللغوي الكتابة والرسالة لما تنص عليه معاجم اللغة وجرت السنة العرب.

يقول صاحب لسان العرب "الصحف جمع صحيفة وهي التي يكتب فيها التنزيل "إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى".¹⁰⁰ ويعنى الكتب المنزلة عليهما وعلى نبينا عليه الصلاة والسلام.¹⁰¹

يقول صاحب أساس البلاغة: "صحيفة وصحف وصحائف هي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه".¹⁰²

يقول صاحب معجم متن اللغة: "الصحافة حرفة نشر الصحف وعملها والنسبة إليها صحاف وهو أجودها وصحافي وصحفي مولد".¹⁰³

¹⁰⁰ سورة الأعلى 18 - 19

¹⁰¹ لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين

¹⁰² أساس البلاغة، زمخشري جارالله محمود عمر، ج 1، ص 6.

¹⁰³ معجم متن اللغة، أحمد رضا، ج 3، ص 424.

فنفهم منها أن الصحيفة عبارة عن المكتوب أو مادة صالحة للكتابة، وقد استعملها العرب قديماً لما فيه خبر أو إعلان أو معلومات، والآية القرآنية الأنفة الذكر تحمل هذه الدلالة اللغوية.

وهذه دلائل على أنما كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخبار الأمم والشرائع السماوية وغيرها مما يدل بأداب الحياة الإنسانية والثقافية. إذا قرأنا كتب السيرة فنرى أن قريشاً في مكة المكرمة سمو الوثيقة التي علقوها بجدار الكعبة صحيفة.

معنى الاصطلاحى

وهي في معناها الاصطلاحى على حد تعبير محمود عزمى "الصحافة وظيفة اجتماعية وتوجيه الرأي العام عن طريق نشر المعلومات والأفكار الخيرية والناضجة المفعمة والمناسبة إلى مشاعر القراء في خلال صحف دورية".¹⁰⁴ كما يتوضح تعريفها في قول عميد الصحافة الإنجليزية والكاتب العلمى "ويكهام ستيد" في قوله: "ليست الصحافة حرفة كسائر الحرف بل هي أكثر من مهنة. والصحافيون خادمون عموميون غير رسميين وهدفهم الأول العمل على رقى المجتمع".¹⁰⁵

¹⁰⁴ معلم الصحافة والإنشاء الصحافة الحرة قلب الأمة الخافق، محمد خير الدرغ، ص 22.

¹⁰⁵ المصدر السابق.

يقول الدكتور سعيد الأعظمي الندوي: "وللصحافة قديما وحديثا دور كبير في إفساد الذوق الإنساني. وتوجيهه إلى يشيع الغريرة من الصور الخليعة. والأفكار الهزيلة الهدامة التي تكون نتيجة للاستفادة السلبية من الصحافة والإعلام".¹⁰⁶

وقد رأى أصحاب وجهات النظر المختلفة الصحافة: وهي لدى الشيوعية شيء تخدم النظرية الشيوعية والماركسية في العالم. كما نظر إليه الرأسماليون أنها تجارة حرة، بهدف كسب الأموال أو خدمة الوسائل التي تؤدي إلى تكديس ملك الأموال.

وقال سليم الرحمن خان الندوي: "إن لفظ صحافة اليوم يشمل جميع الطرق التي تصل بواسطتها الأنباء والأخبار والتعليقات عليها إلى الجمهور والمادة الأساسية لها هي كل ما يهم الجمهور وكل رأي وفكر وقول وعمل يحتاج إليه الناس".¹⁰⁷

ومهما يكون التنوع في تعريف الصحافة، فإنه يمكن القول إنها في العصر الراهن مبلغا لا يبلغه أي وسيلة أخرى. وهي أكثر تأثيرا في النفوس، تستطيع أن تنهضهم وتعددهم وتنشطهم وتثبطهم، تبقى دائم المساس بالمجالات الأدبية والثقافية والاقتصادية والعلمية وكل ما له شأن في رقي الشعوب، وبهذا الدور المحوري أصبحت

¹⁰⁶الصحافة العربية نشأتها وتطورها، د سعيد الأعظمي، ص 28.

¹⁰⁷الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، سليم الرحمن خان الندوي، ص 15.

هي السلطة الرابعة في المجتمع بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. وإليه يشير نابليون "إن أربع جرائد معارضة أكبر خطرا علي من ألف قنبلة".

الصحافة في العهد الإسلامي في الهند

ذكرنا أن الحكم الإسلامي بقي في الهند حتى الاستعمار البريطاني. ولكن الصحافة ما ظهرت فيها إلا متأخرا. وإنما جاءت عام 1194 هـ / 1780 م. ولم يكن الحكام والملوك يلفتون إليها، إذ كان جل اهتمامهم في الفتوحات توسيع الملك.

وكان نظام البريد الشائع في العهد الإسلامي الأول بمثابة الصحف، إذ كان يحمل المعلومات من طرف إلى طرف ومن القاصية إلى الدانية. وكان الخليفة معاوية الأموي أول من بدأ ذلك، وسهل على الحكام تلقي الأخبار التي يرسلها الولاة والموظفون من مناطق أخرى، وتبعهم فيه العباسيون، وهذا النظام بذاته طبقه الحكم المسلمون في الهند. وكان الملك محمد تغلق ممن استخدمه كثيرا.

ويذكر عبد المجيد سالك ويقول: "أنشأ السلطان محمود الغزنوي مصلحة مستقلة تنشر الأخبار، وكان نظام الغزنويين في هذا المجال على نهج نظام المواصلات

الإيراني حيث أن الرسائل البريدية كانت مصدرا للاطلاع لكل من الأمراء
المؤرخين".¹⁰⁸

عهد المغول

كان عصر المغول عصرا ذهبيا بالتقدم والرقى الإداري والحضاري، مما تطور
نظام البريد أيضا، وقد كان يعمل لديهم إدارة نشر الأخبار وتنسيقها وقسم خاص
للمخابرات، وهذه العمليات أقرب إلى ما يقوم به الصحافة في العصر الحاضر. ويقال
إن هناك صحيفة يومية خاصة لأصحاب البلاط الملكي في تلك الأيام، ولكنها في
دائرة ضيقة، وصورتها الخطية محفوظة في بعض المكتبات. وكان بعض الصحف
اليومية مكتوبة خطيا في عهد الملك أكبر، وكان يطلق عليها "أخبار دربار معلي".¹⁰⁹
كما أن الملك شيرشاه السوري هو أيضا قد اهتم بنظام الإعلام البريدي. وقد أنشأ
الرباطات وجعل فيها من يتناول البريد، كما جعل فرسين بتمام الاستعداد، ليسرع كل
منهما بالبريد نحو الرباط الآخر، ويتم بذلك نقل المعلومات من جهة إلى أخرى.

أما في عهد الملك أورنكزيب عالمكير فقد تطور البريد بصورة أكثر، فصار
كالشبكة الممتدة في البلاد، وقد عين "كتبة الأخبار" و"كتبة الوقائع" وهذا النظام لم
يكن قاصرا للأخبار والوقائع المحلية، بل تعداها إلى أخبار البلدان الآخري. مما صار

¹⁰⁸ سليم خان الندوي، الصحافة الإسلامية في الهند، ص 34،

¹⁰⁹ الصحافة العربية، سليم الرحمن خان الندوي، ص 38.

البريد في عهده صحافة متطورة. ونظام " المنادي " الشائع في تلك الأيام هو الآخر أثرا في مجال الصحافة، إذ كان ينادي بين الناس ما يهمهم من الأخبار والإعلانات. وكان مجال الوعظ والتوعية أيضا بمثابة الإعلام في هذه الأيام. وكان أشهر هؤلاء الوعاظ والدعاة حسن بن محمد الصغاني صاحب مشارق الأنوار (577- 650 هـ / 1181 - 1252 م) والشيخ على المتقي (885- 975 هـ / 1480 - 1567 م) صاحب كنز الأعمال والشيخ المجدد السرهندي (871 - 1024 هـ / 1466 - 1615 م) والشيخ الإمام شاه ولي الله الدهلوي (1114 - 1176 هـ / 1702 - 1762 م) وغيرهم الذين اشتهروا بخدماتهم الإسلامية.

الصحافة الإسلامية في عهد الاستعمار الإنجليزي

وما إن وضع الإنجليز أقدامهم في الهند وأسسوا الشركة الهندية الشرقية تمهيدا لأعمالهم الإدارية والسياسية، حتى بدأوا الصحافة. وكان أول من قام بها وليام بولتن (Willan Boltas) ثم جميز أغطس هيكي (James Augustas Hicky) الذي أصدر أول دورية مطبوعة في يناير عام 1194 هـ / 1780 م، وسماها هيكي جازت (Hichys Gezette) ثم تتابعت إصدار الجرائد والصحف من المدن الرئيسية في الهند، وكانت هذه الجرائد والصحف تطعن وتهاجم الإسلام والهندوكية على سواء، ولذا قام المسلمون بإصدار دوريات ترد عليها وتدافع عن الإسلام ، مما صار سببا لإصدار

جريدة من قبل المسلمين في اللغة الفارسية عام 1248 هـ / 1833م من كولكتا باسم "آئينه سكوندي". التي أصدرها المنشأ واجد علي، ثم تتابعت بعدها الجرائد وصحف المسلمين.¹¹⁰

ساهمت الصحافة الإسلامية دورا حاسما في ثورة عام 1857م، حيث قامت بنشر أخبار تقريرية عن أعمال المجاهدين، وكان في مقدمتها "جريدة سراج الأخبار" لسراج الدين بهادر شاه ظفر، و"جريدة" دلهي أردو أخبار" لمحمد باقر علي و"جريدة صادق الأخبار" لجميل الدين. وبعد ما فشلت الثورة لقيت هذه الجرائد معاملة قهرية تعسفية من إزاء الحكومة، وتم حظرها لفترة من الزمن، وأحكم بالإعدام على محمد باقر علي صاحب الجريد دهلي أردو أخبار رميا بالرصاص.

وبهذا الصدد نذكر جهود سر سيد أحمد خان رائد التربية الحديثة في الهند، في الصحافة الهادفة، وهي إن لم تكن في العربية إلا أنها سامت في تكثيف الحركة العلمية التي تحتضن العربية آنذاك. وقد أصدر سر سيد أحمد خان جريدتين: جريدة "سائنتك سوسائتي" عام 1294 هـ / 1877 م. وهي أردية أسبوعية، كان يخاطب فيها جميع سكان الهند، وثانيها مجلة "تهذيب الأخلاق" عام 1287 هـ / 1870م.

¹¹⁰ تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص 585.

وكانت شهرية وكان الكلام فيها موجّهاً للمسلمين. وكلتاهما قامت بأثر كبير في الصحافة الهندية الإسلامية، إذ تركز كل منهما على المشاكل الاجتماعية والدينية .

طلوع الصحافة العربية في الهند

ذكرنا أن الصحافة العربية بدأت في الهند متأخرا. وعقب ظهور الصحف الأردوية والفارسية قام بعض المصلحين بإصدار جريدة عربية أسبوعية "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم"، أصدرها الشيخ شمس الدين عام 1292هـ / 1871م من لاهور، وكانت تصدر في البداية في ثماني صفحات ثم أضيفت إليها صفحتان، وكانت تجرى طباعتها على الحجر في المطبعة البنجابية بلاهور، وكانت لهذه الجريدة أثر ملموس في توعية المجتمع الإسلامي بالمواضع الدينية والأدبية والاجتماعية والخلقية وقضية التعليم، وكما أنها تهتم كثيرا بانتشار اللغة العربية، والشعر والنثر أيضا، وآراء الأديب سر سيد قد ساندت في كل صفحاتها موقف سيد أحمد خان.

أهداف جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم"

تتمثل أهداف الجريدة مما يأتي:-

نشر اللغة العربية بين أهل المسلمين كتابة ومحادثة لإفهام المسلمين القرآن والحديث وأحكام الشريعة. وتوجيه الناس إلى العلوم الغربية، مما صارت اللبنة الأولى

للصحافة العربية في الهند. وقد احتوت على المقالات القيمة ذات الطابع العلمي
والديني والتربوي.

الفصل الثاني: دور علماء الندوة في إحياء الصحافة العربية الهادفة

كانت ظهور ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها نقطة تحوّل في مسيرة الثقافة الإسلامية وتطور العربية في الهند، وهذا التطور يتمثل أيضا في مجال الصحافة العربية. ومنذ تأسيسها وحتى الآن لا تزال الندوة تمارس نشاطا طيبا في ترقية الصحافة العربية. وفي طليعتهم الأستاذ مسعود عالم الندوي والعلامة أبو الحسن علي الندوي والسيد محمد الحسن الندي والأستاذ سعيد الأعظمي الندوي والسيد محمد الربيع الحسن الندي وغيرهم.

1 - الأستاذ مسعود عالم الندوي

كان الشيخ مسعود عالم الندوي أديبا وكاتبا وصحفيًا نابغا، شاع ذكره في الهند وخارجها، وحياته مغمورة بالخدمات والاجتهادات العظيمة للأمة الإسلامية. وهو المولود عام 1328 هـ / 1910 م بمدينة باتنا، بيهار الهندية، وأسرته مشهورة بخدماتهم في الدعوة الإسلامية، بعد تلقي الدراسات الابتدائية التحق بالمدرسة العزيزية الأهلية، وكان متطلعا لتعلم اللغة العربية، وقرأ كثيرا فيها، وطالع المجلات والصحف العربية، ثم التحق بدار العلوم ندوة العلماء عام 1345 هـ / 1927 م بإيحاء من الأستاذ سليمان الندوي وتعلم اللغة والأدب منها، وصار نابغا في العلوم والفنون المعاصرة، وله ملكة

على الكتابة العربية والأردية بأسلوب سهل متين، وقد أصدر مجلة قلمية في اللغة العربية باسم القائد خلال تعلمه.

وبعد تخرجه من دار العلوم في سنة 1348 هـ / 1930 م رجع إلى وطنه ثم رجع مرة ثانية إلى دار العلوم سنة 1350 هـ / 1932 م وهناك عزم الشيخ سليمان الندوي على إصدار مجلة عربية من لکنهؤ، فصار الأستاذ مسعود عالم الندوي والأستاذ تقي الدين الهلالي مشرفين عليها والسيد أبو الحسن علي الندوي ومحمد ناظم الندوي من المساعدين على تحريره، وكانت أهداف هذه المجلة تنمية ملكة الطلاب في اللغة العربية ونشر التعاليم الإسلامية في شبه القارة الهندية.

ولما سافر تقي الدين الهلالي إلى العراق صارت المجلة في مسؤولية السيد سليمان الندوي، ولكنه أصيب بالمرض وتوقفت المجلة عن الإصدار حتى رجع الأستاذ مسعود عالم الندوي إلى دار العلوم للتدريس هناك وممارسة الصحافة.

خدماته في الصحافة العربية

كفى لمسعود عالم الندوي فضلا وشرفا في الصحافة العربية أن قام بمبادرة مجلة الضياء التي أنشأها في عام 1350 هـ / 1932 م. وتولى بنفسه تحريرها وجعلها مجلة علمية وأدبية تعليمية واجتماعية في وقت الجمود والخمول العلمي والثقافي في الهند وفي العالم العربي، وكتابات تلك الأيام مقصورة على المحسنات اللفظية دون

كبير اهتمام بالمعنى الذي يؤثر في القلوب، وهذه المجلة عرضت الموضوعات الإسلامية وتناولت القضايا العامة، فاستطاعت أن تعيد للغة نشاطها وبهجتها مما جعلها محطة الأنظار ومهبط الأفكار. فنالت قبولا حسنا في البلاد العربية، وأثنى عليها أدباء العرب. يقول الأديب المشهور ناصر الدين اللبناني: "في مدينة لکنهؤ مجلة عربية اسمها "الضياء" ينشرها الأستاذ المفضل السيد مسعود عالم الندوي مشتملة على البحوث الإسلامية وعلى كل مفيد وهي أصح لغة وأروع أسلوبا من أكثر الجرائد والمجلات التي تنشر في الأقطار العربية".

وأثنى عليه السيد محمد محمود الحافظ الندوي وكان صحفيا بارعا في المملكة العربية السعودية، ومارس رئاسة التحرير لأخبار العالم الإسلامي، وهو يذكر محاسن مجلة الضياء ويقول "تعددت شهرتها حدود القارة الهندية ووصلت إلى البلاد العربية وتلقاها الأدباء العرب بالقبول الحسنة وأطنبوا في مدحها واستحسنوا موضوعاتها العلمية والأدبية الرزينة لواضحة الفكرة والأسلوب.¹¹¹

ويجب أن نذكر الجهود المخلصة التي بذلها العلامة مسعود عالم الندوي، إذ كان يكتب المقالات العزيرة المفيدة في عدد من الصحف والمجلات، وكانت تنبض بالإيمان ووجدان العلم والثقافة والوعى الديني، ومنها صحيفة "عرفات" ومجلة "العربي"

¹¹¹ محمد محمود حافظ الندوي، مجلة البحث الإسلامي، نوفمبر 1975، ص 169.

الصادرة من الكويت و"الفتح" الصادرة من دمشق والإخوان المسلمون الصادرة من مصر "والدعوة" من مصر .

وقد مارس الصحافة العربية بصورة ناجحة حتى توفاه الله عام 1373 هـ / 1954 م، ونصبها لمناقشة قضايا الأمة وتبصيرهم بالالتفاف حول راية الإسلام لئلا يمتحنوا من قبل الاستعمار الإنجليزي الذين بثوا نفوذهم آنذاك في مختلف نواحي الهند.

2- السيد محمد الحسني الندوي

هو الكوكب المنير في آفاق الصحافة العربية بالعالم الإسلامي، ويعد من رواد حركة تطوير الصحافة العربية، وكان داعياً إلى منهج إسلامي في دراسة الأدب والنقد والصحافة، منتقداً المناهج الغربية في الدراسة الأدبية والنظم الاقتصادية. كما أنه كان أحد الأبطال المكافحين عن ثقافة الأمة الإسلامية وحضارتها وأدبها وتاريخها.

وهو من مواليد عام 1354 هـ / 1935 م في أسرة عريقة بالنسب والعلم والثقافة والدين. والده الدكتور عبد العلي الحسني وجده العلامة عبد الحي الحسني وعمه العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي. فنشأ وتربى تحت رعاية عمه الشيخ أبي الحسن علي الندوي. وروى بماء علمه الغزير وذهنه الثاقب وغيرته الدينية وحسه المرهف وعقليته الواسعة المتفتحة بالإيمان، مما جعله قويا متضلعا في اللغة وما تفرغ منها من الأدب والصحافة.

بدأ السيد محمد الحسني حياته العلمية ودراسته الدينية من أهله وأسرته، وأخذ العلوم والفنون من أبيه وعمه ومع ذلك يتلقى العلم من الشيخ المربي أشرف علي التهانوي، ولم يتقيد منهج خاص لدراسة ولم يحصل شهادة مدرسة أو جامعة بل كان يقبل على المشايخ الأفاضل المعروفين في عصره ثم التحق بندوة العلماء في السادس عشر من عمره وتلقى فيها علوم الحديث وعلوم الشرعية، وفاق أصدقائه فصار بين زملائه صاحب قلم سيال ولسان طلق دلق.

دوره في الصحافة العربية

برز السيد محمد الحسني في مجال الصحافة العربية في عصر امتحن فيه المسلمون وابتلوا بلاء شديدا من قبل الإنجليز وقد ضاعوا إيمانهم أو كاد، واستخدم هو قلمه ولغته لإيقاظهم من سباتهم ونفخ فيهم روح الحياة ورجع بهم إلى حظيرة الإيمان الصادق والثقة والتفائل. وكانت الخمسينيات مسرح صراح بين الإيمان والكفر وبين الشرق والغرب، فقد طعنوا على دين الإسلام وشريعته ولم يكن في عالم الإسلامي من يرد لهذا الصراع. وهناك نهض الشيخ محمد الحسني بدوره وصوّب مهنته الصحافية نحو الأعداء المعارضين. مما صارت (البعث الإسلامي) تضيئ في أنحاء العالم بتدخلاتها العلمية والثقافية. وهو الذي أنشأ هذه المجلة لتكون لسانا بقضايا الدين والأمة المسلمة. وبداية لهذا العمل أنشأ المنتدى الأدبي بدار العلوم 1954م. وانضم إليه عدد من العلماء البارزين في ندوة العلماء. وقد كانوا يجتمعون كل أسبوع ليقدموا مقالاتهم

وأعمالهم الإنشائية، ثم تجرى حولها مناقشات حارة، مما اكسبهم ملكة في اللغة وقدرة في الإنشاء، وهناك عرض عليهم الشيخ محمد الحسني ضرورة إنشاء مجلة عربية، فكانوا في ذلك بين متردد ومنكر ومصدق. ثم استشار والده الشيخ عبد العلي مدير ندوة العلماء وقتئذ فوفقه على ذلك وشجعه عمه الشيخ أبو الحسن علي الندوي، وهو الذي اقترح اسمها "البعث الإسلامي" وكان في مجلس الإدارة الأستاذ سعيد الأعظمي والدكتور إجتباء الندوي والدكتور راشد الندوي وبجهودهم الجماعية ظهر عدد الأول للبعث الإسلامي في شهر سبتمبر سنة 1374 هـ / 1955م.

والشيخ محمد الحسني تحمل هذا العبء الثقيل بمفرده وقام بإدارتها وتزويدها بالموضوعات المناسبة، وقد سهل الله تعالى طريقه وصار محظوظا في هذا الأمر، وأعلن في أول يومها: "إنها ليست مجلة كبعض المجلات الأدبية في القاهرة وبيروت، تلعب وتلهو بالأدب، وتعبث بالخزف الحصى وتسبح بحمد أعلام الغرب، وتقصد لهم ولا تحسن صناعة المدح والإطراء، والتزلق إلى الملوك والأمراء، أنها مجلة ذات دعوة وذات عقيدة وذات مبدأ وذات رسالة".¹¹²

¹¹² المجلة البعث الإسلامي، المجلد الأول، العدد الأول، سبتمبر 1955م، ص 5-7.

وبظهور مجلة البعث الإسلامي تم سد فجوة في مجال الصحافة، وكانت خطواتها الأولى ثابتة راسخة وبرؤية متقدمة هادفة مما استطاعت البقاء، وهي المجلة العربية الوحيد التي تصدر من الهند على مدى 65 سنة الماضية بدون توقف.

الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

يعد الدكتور سعيد الأعظمي الندوي في طليعة العلماء المعاصرين في الهند. اجتمع فيه صفات العالم والأديب والناقد والمدرس والمؤلف والصحفي والداعي، وكفى له فضلا أن كان ولا يزال يدبج صفحات مجلة البعث الإسلامي منذ إنشائها. حتى صار هو من حملة الفكر الإسلامي السليم بالهند .

ولد الأستاذ في 30 محرم 1353 هـ / 14 مايو سنة 1934م بقرية مئو في مدينة أعظم كره. وتلقى علومه الابتدائية من أبيه الشيخ محمد أيوب الأعظمي مدير مدرسة مفتاح العلوم وقتئذ، ثم التحق بدار العلوم ندوة العلماء وتخرج فيها بشهادة الفضيحة 1373 هـ / 1954 م. وكانت هذه الفترة ميدان سبق في الثقافة والفكر والأدب العربي في رحابها. واستزادة للعلوم سافر إلى بغداد ليلقي الشيخ تقي الدين الهلالي واستفاد منه ثم رجع إلى دار العلوم وتولى تدريس الأدب العربي واستفاد من الشيخ أبي الحسن علي الندوي، وكان عضوا رئيسا في جمعية "منتدى الأدبي العربي" التي أسسها الأستاذ محمد الحسني ومساعد له في إصدار مجلة "البعث الإسلامي" منذ بدايتها

عام 1374 هـ / 1955م. وتولى منصب الرئاسة بعد وفاته عام 1399 هـ / 1979م، ولا يزال إلى الآن يمارس أروع جهوده ليصدر المجلة في ثيابها القشيب.

والشيخ سعد الرحمن الأعظمي رأى الصحافة وسيلة للدعوة وتزكية النفوس، ودعا الناس إلى الأخلاق الفاضلة التي يصبو إليها الدين الإسلامي، وهو طول مسيرته مع الصحافة، تصدى للمشاكل التي يتعرض لها المسلمون في كل المعمورة، ونجح في تقديمها بصورة رائعة وفي أسلوب مؤثر في القلوب. وفيما يلي نموذجاً من هذه الافتتاحية بعنوان "دور العلم والإيمان والوحيد في وجه الطغيان العنيد"

"إن المسلمين يشكلون اليوم ربع سكان العالم عندهم إعدادات من العلم والثقافة واسعة، وهم يملكون حضارة إنسانية عالية وصناعات وتقنيات لا نظير لها في أي عصر من العصور السابقة، ولديهم إمكانيات ضخمة من الوسائل والطاقات الكونية، وهم يملكون مدارس وجامعات ومؤسسات علمية واسعة النطاق قد لا يأتي عليها الحصر، وعندهم مراكز للعلوم والمعارف وكثرة العاملين في كل مجال من مجالات العلم والدين والآداب والثقافات والمعارف، ولهم اطلاع واسع على التاريخ العالمي من جميع النواحي، ولكنهم مستهينون من خلال المجتمعات والدولة العالمية الكبرى، وفاقدون وزنهم في ميزان القوى المادية والقيادة.

فما هو السبب في هذا الضعف والوهن؟

لعل الحديث الذي رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه يلقي الضوء كاملا على الإجابة على هذا السؤال: يوشك الأمم أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ، قال بل أنتم يومئذ كثيرا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينتزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت¹¹³. أبو داود كتاب الملاحم رقم 4298 ومسند أحمد ص 278.¹¹⁴

وقد تقلب في عدة مناصب في دار العلوم، شغل منصب الأستاذ المشرف لشؤون التعليم العالي منذ عام 1411 هـ / 1991 م، وبعد ثلاث سنوات رشح اسمه لمنصب عميد قسم العربية وآدابها، وفي عام 1421 هـ / 2000 م. تم تعيينه مديرا لدار العلوم، مما صارت رئاستها وإدارتها على عاتقه، وكان موقفا تماما لقيادتها على منوال أسلافها.

السيد محمد واضح رشيد الندوي

وهو المولد عام 1354 هـ / 1935 م، في تلك الأسرة المباركة التي أنجبت الكثير من العلماء والمفكرين، وهو ابن أخت العلامة أبي الحسن علي الندوي والأخ الشقيق للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي.

¹¹³ أبو داود، كتاب الملاحم، رقم 4298، ومسند أحمد، ص 278.

¹¹⁴ البعث الإسلامي المجلد 62 2007 مايو

تلقي مبادئ القراءة والكتابة من المدرسة الإلهية براى بريلي، والتحق بدارالعلوم اللغة العربية. ونال شهادة العالمية والتخصص في الأدب العربي وتخرج فيها 1370 هـ / 1951م ثم التحق بجامعة عليكرة الإسلامية وحصل على ليسانس في اللغة الإنجليزية. وقد اكتسب أكثر من هذا كله من بيئته المنزلية ذات الجو التربوي الصالح، وورث تلك الصفات التي كان يتحلى بها أسلاف الأسرة.

وصار موظفا في إذاعة عموم الهند بدلهى مديعا ومترجما من الإنجليزية إلى العربية في سنة 1372 هـ / 1953 م إلى سنة 1393 هـ / 1973 م. وسنحت له الفرصة لدراسة المشاكل السياسية والاجتماعية والثقافة الانجليزية وما طرأت منها على الإنسانية المعاصرة. ثم عاد إلى دار العلوم ليمارس فيها التدريس. وعين عميدا لكلية اللغة العربية كما عين مديرا للمعهد العالى للدعوة والفكر الإسلامى، ثم تولى رئاسة الشؤون التعليمية لندوة العلماء سنة 1427 هـ / 2006 م.

دوره في الصحافة العربية

يقوم الشيخ محمد واضح رشيد الحسنى الندوي بدور فعال في الصحافة العربية الهندية المعاصرة. يشهد بذلك مئات الصفحات التي تزينت بقلمه تأليفا وبحثا ومناقشة وتصنيفا، حتى أصبح يعد من أبرز الصحفيين العرب. ويتميز عقليته بجمعه بين الثقافة الشرقية والغربية، واستطاع بذلك أن يوضح مخبات ضمير الغرب وقاومها

بسواطع الحجج الإلهية. ومقاله بعنوانين دليل على علو كعبه في اللغة وحسن تصرفه في تناول القضايا والمشاكل.

الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

هو المصنف الماهر والكاتب البار والعالم المتواضع والداعي المخلص والصحفي الصادق الذي أنجبه الهند في هذا القرن، يضاهاى الأدباء العرب في تأليفاته في علم الاجتماع والتاريخ والأدب الإسلامي والعربي .

كان من مواليد سنة 1347 هـ / 1929 م في مهد علم وورع ودين وثقافة بمديرية راي بريلي. وكان أبوه السيد رشيد أحمد الحسني وأمه أمة العزيز أخت العلامة السيد أبي الحسين علي الحسني الندوي. نشأ وشب في حظيرة الدين والعلم. وكانت أسرته عريقة في عقيدة السلف الربانية النقية الصحيحة. تربى في حجر خاله الشيخ أبي الحسن علي الندوي تربية حسنة فاستقى العلوم من منهلها النقي الصافي.

بعد أن تلقى العلوم الابتدائية التحق بدار العلوم ندوة العلماء سنة 1367 هـ / 1948 م، وهناك وقتئذ كوكبة من العلماء المتميزين أمثال الشيخ أبي الحسن علي الندوي والمفتى محمد سعيد والسيد حميد الدين وشاه محمد حليم عطاء ومحمد أويس النجرامي ممن كان لهم دور فعال في تكوين شخصيته العلمية، ولا سيما الشيخ أبو الحسن علي الندوي الذي كان يدرسه الإنشاء العربي، ثم قضى سنة في دار العلوم

ديوبند بتدريس القرآن والحديث والفقه، ورجع إلى دار العلوم وانقطع إلى التعليم فيها، وتولى عدة مناصب تعليمية وإدارية. وسافر إلى الحجاز للاستفادة من مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة. ثم رجع إلى دار العلوم واشتغل بالتدريس والتعليم في قسم الأدب. وصار نائب الأمين العام لندوة العلماء حين مرض الشيخ معين الله الندوي كما صار مديرا لدار العلوم بعد مديرتها الأستاذ محب الله الندوي، وأختير رئيس ندوة العلماء بعد وفاة الشيخ أبي الحسن علي الندوي عام 1421 هـ / 2000 م، ولا يزال في منصبه إلى الآن.

والشيخ محمد الرابع الحسني صاحب تجربة واسعة في مجال العلم والتدريس والكتابة والصحافة، وله كتب قيمة في مختلف اللغات وألف في العربية أكثر من عشرين من الكتب ذات الشهرة في الهند وخارجها. وأما بالنسبة إلى الصحافة العربية فكان الشيخ يأخذ زمامها في الهند، وكان رئيس تحرير صحفية الرائد، كما يكتب بصورة مستمرة في البعث الإسلامي، إلى جانب المقالات في المجلات الأخرى، وكان شغوفاً بالأدب العربي واستطاع أن يذكيه في قلوب الطلاب، وعمل كحلقة وصل بين المتقدمين والمتأخرين في مجال الصحافة.

الفصل الثالث: أبرز الدوريات الصادرة عن ندوة العلماء

بظهور ندوة العلماء في مسرح التعليم والثقافة بالهند، تكثفت مسيرة الصحافة وتجددت أوضاعها ومفاهيمها. وكان ظهورها في وقت اشتد الصراع بين الشرقية والغربية من حيث المعتقدات والمعاملات والأخلاقيات. واستطاعت الصحافة العربية التي قادتها الندوة أن توضح للشعوب محاسن الأول ومخاطر الثاني. كما أنها قاوم الاستعمار الإنجليزي ورفعت أصواتها للعودة بالمواطنين إلى الحرية الاستقلال. وألقت بذور الإيمان والصلاح في قلوب الشباب، وإليها يرجع الفضل في إدخال نظام جديد في مجال التربية والتعليم لتكوين الشخصية الإسلامية المعتدلة في الشعب الإسلامي. ولم تكن هذه الصحافة على معزل عن قضايا العالم، بل إنها تدخلت فيها ووجهت انتباه العالم إلى المواقف السديدة. ومن الصحف العربية التي تولدت من ندوة العلماء:

1، مجلة الضياء : - هي مجلة عربية شهرية بزغت في آفاق الصحافة الإسلامية، وهي من طلائع الصحافة العربية في الهند، أصدرها دار العلوم ندوة العلماء في شهر محرم سنة 1351هـ / مايو 1932 م من لكنها تحت إدارة المرحوم مولانا مسعود عالم الندوي، وبإشراف الأستاذين الجليلين العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ تقي الدين الهالالي، وشارك في التحرير الأستاذان أبو الحسن علي الندوي ومحمد ناظم الندوي، ولكنها توقفت عن الصدور عام 1354 هـ / 1935 م لأسباب اقتصادية حرجة.

وأشار الدكتور سليم الرحمن خان الندوي إلى أهمية مجلة "الضياء" كانت مجلة "الضياء" في مجال الصحافة الإسلامية في الهند ضياء وهاجا، وقمرا منيرا يتلأأ فيها، ذلك لأن "الضياء" ظهرت إلى حيز الوجود عندما كانت اللغة العربية في الهند مصابة بالركود والجمود وتقليد الزحرفة اللفظية، ومع أن الهند قد وجد فيها في ذلك الوقت علماء كبار وطلاب علوم شرعية يتدارسون الكتب العربية صباحا ومساء، ولكن كلما تجدهم تستطيعون التخاطب والتحدث بها في كتاباتهم".¹¹⁵

ويشير الأستاذ الجليل السيد سليمان الندوي إلى سوء الحال الذي تعيشه اللغة العربية آنذاك في العدد الأول لمجلة الضياء ويقول: "هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن الكريم ويعرفها، وإن لم تكن لهم قدرة على التكلم بها، ويقدر عدد مدارسهم العربية بألف بين صغيرة وكبيرة، وطلبة العربية فيها نحو مائة ألف أو يزيدون، ومع ذلك أشد ما يؤلمنا ذكره ويوشكنا نشره أن هذا الجمع الغفير والعدد الهائل يحجمون عن التكلم باللغة العربية ولهم عمى عن الكتابة البديعة".¹¹⁶

¹¹⁵ د / سليم الرحمن الندوي، الصحافات الإسلامية في الهند تاريخها وتطويرها، ص 241.

¹¹⁶ مجلة الضياء، عدد محرم سنة 1351هـ

نالت مجلة الضياء أثرا فوريا في العالم العربي الإسلامي لأنها صارت الترجمان
الوحيد لمسلمي الهند عند إخوانهم في البلاد العربية، وليس بينهم وسائل دونها لتتقل
الأخبار ما وراء البحار.

ويسجلت عنها جريدة الصفاء اللبنانية "في مدينة لکنهو مجلة عربية "الضياء"
ينشرها الأستاذ الفاضل السيد مسعود عالم الندوي، مطبوعة على الحجر تشتمل على
البحوث الإسلامية، وعلى كل ما هو مفيد ولا يوجد في الهند مجلة عربية سواها، وهي
أفصح لغة وأروع أسلوبا من أكثر الجرائد والمجلات التي تنشر في الأقطار العربية".¹¹⁷
وكفى فخرا لهذه المجلة وصاحبها قول صاحب لغة العرب "الأب أنستانس
الكرملی" في رسالة كتبها إلى رئيس التحرير: "سيدي الجليل ألقبكم بالعلامة وإن كنتم
في حداثة السن وليست العبرة بالعمر، وإنما العبرة بالعلم، وأرى في مجلتكم أنها تردم
ثغرة واسعة في الأدب وعسى أن يكتب لكم النجاح في مساعيكم".¹¹⁸

2، مجلة "البعث الإسلامي" : - وهي مجلة علمية عربية إسلامية تصدر من ندوة
العلماء شهريا وتجلى بمقالات كبار ورجال الدعوة وأقطار الفكر الإسلامي في العالم.
وكانت المجلتان العربيتان "البيان" و"الضياء" قد أثرتا في مجال الصحافة العربية إلى
أن قام مولانا محمد الحسني بحاضر الذهن عام 1374 هـ / 1955 م. وأسس المنتدى

¹¹⁷ المصدر السابق، عدد 8 شعبان سنة 1354

¹¹⁸ مجلة الضياء عدد ذى الحجة عام 1351 هـ.

الأدبي لإصدار مجلة البعث الإسلامي بمساعدة كل من زميليه الدكتور مولانا سعيد الأعظمي الندوي والدكتور محمد إجتباء الندوي، وأنا أكتفى بهذا القدر، وسيأتي الكلام المفصل في الفصل الثاني.

3، جريدة "الرائد" العربية : - هي الأبرز من بين الدوريات العربية الصادرة عن دار العلوم بالندوة وهي نصف شهرية بلكنهو في سنة 1378 هـ / 1959 م. وتعني بأخبار المسلمين عامة ومسلمي الهند خاصة. تقدم أبحاثاً قيمة في اللغة العربية السهلة. وقد أنشأها سماحة الشيخ مولانا محمد الرابع الحسني الندوي رئيس دار العلوم ندوة العلماء، وتتفرد الجريدة من حيث الأهداف والمواقف الصحفية، وقد مهدت الطريق لبروز كثير من الصحف العربية وغير العربية في الهند .

أهداف جريدة "الرائد"

ومن أهم أهداف جريدة "الرائد" منذ نشئها: خدمة دين الإسلام والعمل لدعوته، فنرى فيها مقالات على حسب مقتضيات الزمان والمكان، ولاسيما في مشاكل المسلمين الذين يتعرضون للعنف من الحكومة وخارجها. والافتتاحية التي حلاها بها الشيخ محمد الرابع الندوي تتميز بالأصالة، وأذكر هنا على سبيل المثال الافتتاحيات بعنوان "الإسلام دين الفطرة" (ذي الحجة 1439) وإن تنصروا الله ينصركم (24 ذي الحجة 1438)، ومن حكمة الدفاع أن تستخدم الوسائل التي يستخدمها العدو(ذي الحجة

(1438)، "وذكرى رسول الله بالشهر الربيع" (ربيع الأول 11 - 1439)، ومن مفارقات الحضارة المعاصر (17 ربيع الأول 1428) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا (22 شوال 1428)، والدعوة إلى إحترام الأديان حاجة العصر (19 رجب 1438) وغيرها.

كما أن من أهدافها السعي لنشر اللغة العربية وآدابها، والعربية رغم أنها لم تكن متداولة بين المواطنين إلا أن لها دورا كبيرا في التوجيه الثقافي والحضاري في الهند. ومركزا على هذا الجانب قامت الصحيفة بدعم المقومات الثقافية التي تحتضنها الهند عبر القرون. كما بقيت همزة وصل بين الهند والعالم العربي. ولم تكن المجلة في أي حال من الأحوال متحيزة إلى جماعة أو متعصبة لأخرى، وإنما تقوم متحرية الحق والعدل. كما انتهزت الفرص لرفع اللثام عن وجوه أعداء الإسلام ودحض أباطيلهم بالنصوص الساطعة المتمثلة في القرآن والأحاديث.

كما قامت بتعريف الحركات الإسلامية من العالم الإسلامي لأبناء شبه القارة الهندية وبالعكس. ويشير إلى أهدافها السامية الرئيس العام الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ويقول: "وأما الرائد فقد وضعت نصب عينها تغذية طلاب ندوة العلماء الناشئين بوجه خاص، بما يحسن لهم من معرفة لأحوال الأمة الإسلامية ولم تكن صحيفة

صادرة من بلد عربي تأتي إليهم في هذا المجال، فكان شبابنا بحاجة شديدة إليها لتتقيفهم الفكري والأدبي".¹¹⁹

يقول الدكتور سليم الرحمن الندوي عن خدماتها الجليلة: "قامت هذه الجريدة بالذود عن الإسلام والدعوة الإسلامية وأصحابه أينما شنت عليها حملات ضدها في الهند والخارج، كما قامت بتعريف الحركات الإسلامية من العالم الإسلامي لأبناء شبه القارة الهندية ولعبت دورا هاما في تربية الكفاءات الناشئة في مجال الصحافة العربية الإسلامية".¹²⁰

وهي بهذه الخدمات نالت قبول العالم العربي وإعجار القراء المثقفين. وإليه يشير قول الدكتور إسحاق أحمد فرحان من الأردن: "أدعو الله لكم بالتوفيق والنجاح، وجزاكم الله خيرا أسرة "الرائد" من مجلتكم الإسلامية الغراء التي تؤدي خدمة جليلة في خدمة الإسلام والمسلمين أسأل الله لكم دوام التقدم والفلاح".¹²¹

¹¹⁹ جريدة الرائد، العدد 1-2 يوليو 2007م

¹²⁰ د / سليم الرحمن الندوي، الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، ص 308.

¹²¹ د/ سليم الرحمن الندوي، الصحافة في الهند، ص 308.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية عن مجلة البعث الإسلامي

بنظرة خاطفة في تاريخ ندوة العلماء وأهدافها ومناهجها وأغراضها نجد أنها ساهمت في مختلف المجالات الدينية والتربوية والثقافية، مثل الخطابة والكتابة والتأليف والدعوة وتنظيم المجتمع مما لا يوجد له مثل في الهند، إلى جانب مجالس الذكر والعبادة وحلقات التزكية والتربية وقيادة الساحة السياسية والرئاسة في حقول الأدب والتاريخ، كما أنها اهتمت اهتماما فائقا بالصحافة العربية، وتركت بصمات واضحة ليس في مجال الصحافة الهند فحسب، بل الصحافة العربية العالمية أيضا تعترف بدورها الرائد، سابت في هذا المجال منذ انطلاق أعمالها وأشرقت من أفقها أولا مجلة "الضياء" سنة 1351 هـ / 1932 م أنشأها الأستاذ الأديب مسعود عالم الندوي. ولكن من الأسف هذه المجلة الضياء صارت مطمورة في التاريخ بعد أربع سنوات فقط.

ثم أشرقت في أفقها مجلة البعث الإسلامي سنة 1375 هـ / 1955 م، قام بإصدارها الأستاذ الجليل محمد الحسني رحمه الله، وقد شع منها نور الثقافة والعلوم في الهند وفي العالم الإسلامي واستضاء بنورها أكثر أقطاع الأرض التي ما كانت تعرف الصحافة ولا تعلم أهميتها ومنزلتها.

إن المتأمل لتاريخ الأمم يعتقد أن المسلمين في شبه القارة الهندية قاموا بدور رائد لرعاية اللغة العربية وآدابها منذ أن وصلوا إليها. وبذلوا جهودهم وأموالهم وأوقاتهم

في تدوين العلوم الإسلامية وتدريسها وترويجها وشرحها باللغة العربية، حتى نشأ منهم جيل مثقف في العربية، واستمرت هذه الأحوال حتى نهاية التاسع عشر الميلاد ومطلع القرن الرابع عشر الهجري. وهناك أصيبت العربية بالوهن. وفيه يقول السيد مسعود عالم الندوي عن سوء حال المدارس ونظام التدريس وضرورة إذ قال التحسينات على طراز ندوة العلماء يقول:

"قد مضى على بلادنا حين من الدهر لم يكن أحد يعطف على لغة القرآن وآدابها فضلا على أن يسعى في ترقيتها وبعثها من مرقدنا في هذه الديار، ولا ريب أن المعاهد الدينية الإسلامية التي تسمى أنفسها عربية كانت لا تزال جادة في سبيل تعليم الكتب المدرسية وكتب المنطق والعلوم القديمة الأخرى التي لا تنفع الأمة في عاجلها وآجلها في تلك الغضون قامت شرذمة من العلماء وشمرت عن ساقهم لإنعاش اللغة العربية وآدابها وإعلاء كلمتها في هذه البلاد حتى كلل الله مساعيهم بالنجاح وأسسوا جمعية ندوة العلماء ودار علوم التي اثمرت وانبعثت وآتت أكلها في الثلاثين سنة الماضية حتى نرى اليوم جماعة غير قليلة من العلماء مستتيرة الفكرمتضلعة من العلوم الإسلامية والآداب العربية ومضطلعة بالعلوم الحديثة واللغة الإنجليزية وحاجات العصر".¹²²

¹²² د جمال الدين الفاروقي، الأعلام الأدب العربي.

وشهدت هذه الفترة حيوية أدبية عربية إذ نهضت ندوة العلماء حاملة لواء اللغة العربية، ونقلت باللغة من وادى الجذب إلى وادى الخصب ومن الخمول إلى الرقى، ومن الذبول إلى الحيوية ومن الضيق إلى الواسع، بل أكدت أن اللغة العربية لغة حية متدفعة بالنشاط والقوة ولغة الشريعة ولغة السياسة والاجتماع والصحافة ولغة الثقافة والدين. والشيخ أبو الحسن علي الندوي يقول:

"عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم الرسالة الخالدة وتدرسه ككتاب كل عصر وجيل وعنيت باللغة بالعربية التي هي مفتاح فهمه وأمانة خزائنه ووجهت عنايتها إلى تعلم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب كلغة أثرية دراسة لا تتجاوز بعض العلوم القديمة التي لاتنفد كثيرا، وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصري الذي يريد أن يخدم دينه وأمته، واجتهدت أن تخرج رجالا مبشرين بالدين الإسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الإسلامي بلغة يفهمها ونجحت نجاحا لا يستهان بقيمته، فأنجبت رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصري، لهم آثار خالدة في الأدب الإسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد والسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتاريخ".¹²³

¹²³ البعث الإسلامي، المجلد العشرون، الصفحة 107 - 113.

والفضل الكبير في تكثيف حركة الصحافة المتمثلة في مجلة البعث الإسلامي يرجع إلى السيد محمد الحسني رحمه الله، الذي أدرك بقوة ذكائه أن الصحافة هي الأسلحة الفتاكة التي تمكن المسلم أن يقاوم أعداءه، وبفضله بلغ المجلة ما لا يبلغه مجلة أخرى من القبول والاستحسان والاعتراف الوطني والدولي. إن الصراحة في تقديم القضايا والجرأة في الجهر بالحق والإنصاف هي التي جعلتها تحتل هذه المكانة المرموقة. كما أن الشيخ برز بجهد أكثر بياناً وأوسع أثراً في قضايا الصراع بين الشرق والغرب وما تولد منه من المداخلات الفكرية والثقافية. إن المنتدى العربي الذي أسسه الشيخ عام 1373 هـ / 1954 م هو في الحقيقة البذرة الأولى لكل هذا التطورات في مجال الصحافة العربية. كما أن وجود العدد الكبير من العلماء في رحاب دار العلوم صار هو الآخر دافعاً له لتكثيف هذه الحركة، ونجح في جمع آرائهم واتجاهاتهم الفكرية والعلمية على صعيد واحد، وجعل البعث الإسلامي مسرحاً للتعبير عنها، مما استفاد منه العالم المثقف كثيراً.

ومجلة البعث الإسلامي إذاً لم تكن مجرد صحيفة عربية، ولم تكن تهدف بها مهنة الصحافة، ولم تكن تقصد بها جلب الأموال، ولم يلجأ إلى إرضاء السلطات والحكام. بل وأكثر من هذا كله إنها أسست على مفهوم ثابت لا يتغير. وهو المتمثل في الصفحة الأولى لكل أعدادها: "الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع" لتستطيع العودة بالأمة إلى الإسلام من جديد. وهذه الفترة الطويلة على مدى 64 سنة الماضية،

ولم يتوقف في خلالها يوماً واحداً، لدليل على مصداقية هذا الهتاف الذي تجاوزت الأقطار أصدائه. وكان مطلع القرن العشرين فترة هجمات شرسة على الإسلام من قبل الاستشراق ورجاله، والعالم الإسلامي بصحفه وأقلامه دافع عن الدين بصورة ناجحة، وأما في الهند فكان الدور الرائد لصحيفة البعث الإسلامي وسائر المنشورات الصادرة عن ندوة العلماء، والسيد محمد الحسني والعلامة شبلي نعماني وأبو الحسن علي الندوي والعلامة سليمان الندوي كانوا في طليعة من تصدى لهم. وبالجهد المشتركة منهم ومن السيد محمد إجتباء الندوي والدكتور راشد الندوي نهضت المجلة بأعبائها ومسئولياتها في مجال الصحافة وبث الثقافة الهادفة.

وقد أدرك الشيخ محمد الحسني خطورة هذه المسؤولية باهظة من حيث إدارتها وإرشادها وشملها بالموضوعات المناسبة، وقد بارك الله في إرادته وإدارته المخلصة وسهل له الطريق. والشيخ محمد الحسني يذكر انطلاقها نحو المستقبل الزاهر ويقول: "إنها ليست مجلة لبعض المجلات الأدبية في القاهرة وبيروت تلعب وتلهو بالأدب وتبعث بالخرف والحص وتسبح بحمد إعلام الغرب وتقديس لهم ولا تحسن صناعة المدح والإطراء والتزلف إلى الملوك والأمراء إنها مجلة ذات دعوة وذات عقيدة وذات مبدأ وذات رسالة".¹²⁴

¹²⁴ البعث الإسلامي، المجلد الأول، العدد الأول، 1955 سبتمبر ص 5-7.

كان الشيخ محمد الحسني أول رئيس تحرير المجلة. وبعد موته الفجائي آلت الرئاسة إلى شخصين عظيمين الدكتور مولانا سعيد الأعظمي الندوي ومولانا واضح رشيد الحسني الندوي واستمر في المنصب إلى الآن، والشيخ واضح رشيد الحسني الندوي انتقل إلى رحمة الله آنفاً، في 10 جماد الأول 1440 هـ / 16 يناير 2019م، والمجلة تصدر أولاً في حجم 32 صفحة، ثم توسعت ليصل حجمها إلى 100 صفحة.

أهداف مجلة البعث الإسلامي

يمكن أن نقرأ أهداف مجلة البعث الإسلامي في العبارة المسجلة في واجهة صفحاتها وهي "شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد" وهذه العبارة رغم قصرها تشتمل المعاني الواسعة التي تصبوا إليها المجلة، وفي مقدمتها الاهتمام بالفكر الإسلامي الذي ينتجه أهل الهند ونقله إلى العربية لكي يتم التعرف به لدى العالم العربي.

والرقاد الذي كان يتمتع به المجتمع لا بد أن تعمل له الصحافة الإسلامية لإيقاظهم من نومهم، أو من سنة إلى يقظة دينية صحيحة لتحقيق أهدافها العظيمة وعودة الأمة إلى الدين الصحيح، والصحافة الهادفة تبقى دائماً كأمنية الأمة ومنذرهم تقودهم إلى المثل الأعلى في الدين والأخلاق والقيم. والبقاء في رقاد الجهالة والضلالة لا يزيد المجتمع إلا وهنا على وهنهم وهي الحالة التي يسخر منها الشاعر الرصافي المتمثل في قوله:

ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النوم

وإن الأمة الإسلامية في الهند في نوم عميق منعزلين عن العالم، والعلماء متفرقون في اختلاف المذاهب وتفريق كلمة المسلمين، وهناك نهض الأستاذ محمد الحسني ولعب دوراً مهماً بمقالاته في إيقاظ المسلمين وتحريك نفوسهم الجامدة، وأنجاهم من أخطار الفلسفات الفاسدة الضالة ومبادئ الغرب، وكان يهدف إلى تحريك الشاب المسلم الحائر ليعيد ثقته بهذا الدين ويقوي إيمانه وينبغي أن نذكر دور العلامة أبي الحسن علي الندوي في توجيه المجلة وقيادتها في طريق التقدم والرقى، والعبارات التالية تنطق بذلك: "صدرت هذه المقالات في أسلوب قوي ملتهب هو نتيجة كل صراع نفسي رافقته قدرة بيانه وقلم سيال رشيق وثروة لغوية، وهذا الأسلوب له قيمة في إيقاظ الشعور وفي تحريك النفوس والعقول ومحاربة "مركب النقص" وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمة والإعتزاز بالقيم والمفاهيم خصوصاً إذا كان مدعماً بالدلائل والوثائق ومسلحاً بالشواهد والتجارب وهي طبيعة كل إصلاح وانقلاب ورائد كل نهضة وتقدم".¹²⁵

كما ازدان صفحات البعث الإسلامي بالمقالات والمناقشات لعلماء العالم العربي من مصر والشام في لغتهم العربية الأصيلة، مما استطاعوا أن يشاطروا أفكارهم مع رجال الهند، ويتعرفوا بما لدى علماء الهند من العلوم والتجارب. والمجلة بمداخلاته

¹²⁵ الإسلام الممتحن، محمد الحسني، ص 16

العلمية والثقافية واستطلاعها الموضوعي تشبه ما قال السيد محمد إقبال "إن القلب هو الذي يغذي كلماتي بدمه القاني وإن عروق قيثارتى تجري فيها دماء قلبي".¹²⁶

وأما من حيث الدفاع عن الإسلام ومقوماته فإن دورها لا يقل عن دور العلماء المصلحين من أمثال الخلفاء الراشدين والخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز والحسن البصري والإمام أحمد بن حنبل والإمام الحسن الأشعري والإمام الغزالي والإمام عبد القادر الجيلاني وصلاح الدين أيوبي، والشيخ محمد عبده والشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام السرهندي والشيخ ولي الله الدهلوي والشيخ مولانا أبي الكلام آزاد والشيخ ابن باز والشيخ محمد علي المونكيري وغيرهم كثير.

واستطاعت كتابات السيد محمد الحسني أن يكشف الحقائق الدينية التي أسدل عليها الستار. إذ كان صدور المجلة في الوقت الذي كانت الأفواه ملجمة والأقلام مجفة فصارت الصحفية منير للفكر والرأي، وتولى الدفاع عن قادة الحركة الإسلامية ومفكرها وما تعرضوا له من تنكيل وتقتيل وتشريد وتقريظ، فصارت سيفاً مسلولاً على الطغاة والبلغاة وعلى هجوم الخادع والكائد في غفلة من الزمن، وقد زاد من قدر المجلة أن كانت بالمرصاد في الهند والعالم العربي جميعاً، يراقب الأحوال والأهوال التي تحيط بالمسلمين. والله متم نوره ولو كره المشركون.

¹²⁶ المصدر السابق، ص 17.

وإن المتأمل في هذه المجلة يرى هدفا هاما كانت لا يزال المجلة تستمر عليها على كل زمان ومكان وأن علماء الربانيين من ندوة العلماء دار العلوم تابعة لها نقدوا الأفكار المنحرفة التي تنبت كما تنبت الأغراس بالأمطار بسرعة، وتفتن بها العلماء في العالم وبخاصة عامة من الناس وفي هذه المعركة الثقافية تستطيع المجلة أن تمثل فيها دورا لا يمثل أحد مثلها فهي التي تحمل الفكرة الصحيحة تنشرها وتزرعها لا تحصيها إلا الله، ثم تتعهدا حين بعد حين وتغذيها وتسقيها وتراقبها ونقدوا النظريات الهدامة والدعوات الزائفة والنظرات الجاهلية وسلك طريق النقد الصريح والبناء الجري ولم تخف في الله لومة لائم، وأن الأخبار والنظريات الهدامة تنتشر بين الناس بسرعة في عصرنا هذا غير حصيرة فلا مهمها إلا كسب المال فتسابق إلى نشر كل ما تميل إليه القلوب وتسحر النفوس فاصبحت وسيلة لتلويث الفكر والعقل وإشاعة المنكرات والفواحش وهم لا يلتفتون إلى نص القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى في سورة الحجرات: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين".¹²⁷

ومع ذلك نرى أن المجلة اعتنت عناية شديدة بإقلاع العصبية القبلية والنخوة الجاهلية التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته بقوله: "إن الله قد أذهب عنكم نخوة بالجاهلية وتعظيمها بالآباء، كلكم من آدم وآدم من تراب لا فخر

لعربي على عجمي ولا لعجمي على العربي إلا بالتقوى ونرى مثلاً كتابة محمد فرمان
الندوي في مجلة "البعث الإسلامي" عنوانها "أفحكم الجاهلية ييغون؟" ثم يقول:

"شهد العام الإنساني جاهلية في القرن السادس المسيحي وكانت الإنسانية منها
على شفا جرف هار فانقذها من الهلاك والدمار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا
شك أن جاهلية جديدة في صورة الخضارة العفنة القذرة قد اشربت أعناقها في القرن
العشرين الميلادي، كادت تبتلع الإنسانية لولا جهاد وجهود الدعاة المخلصين في سبيله
تعالى وتلفظ نفسها الأخير لولا سبقت أرض الإنسانية بدماء الشهداء الغزار وحينما
طلع نجم الحادي العشرين الميلادي بدأت القوي الشريرة والحشائش الشيطانية تعبت
في الأرض فسادا وتحاول أن تعود الإنسانية بإذن الله إلى ذاك المصير المشؤم. ولن
تجد الجاهلية المنتنة سبيلا إلى المجتمعات بل ستزول تبعاتها على عجل، قال الله:
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز (المجادلة 21)".¹²⁸

أضف إلى ذلك أن مجلة البعث الإسلامي كانت ولا تزال تربي اللغة العربية
وتحتضنها بالكتابة الأدبية الفصحى، مما جعل مسلمي الهند يعتنون بها كلغة مقدسة،
لغة كلام الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحمسوا بتعليمها في مدارسهم.
وقد كانت اللغة قبل ظهور ندوة العلماء تكاد تذبذب وتضعف بقله اهتمام الناس بها،

¹²⁸ المجلة البعث الإسلامي، العدد الخامس، المجلد 62، نوفمبر 2016 .

ولما قامت ندوة العلماء بدعوتها قررت في نفوسهم أن هذه اللغة لغة حية، ولم يلبث أن صارت لغة الصحافة المتمثلة في البعث الإسلامي والرائد، وكلتاهما نفخت روحاً جديدة في كيان اللغة العربية. وحفظتها من الضياع وارتقت بها إلى مدارج التطور والازدهار.

كما كان الشيخ محمد الحسني في خلال صفحاتها يدعو المسلمين إلى الأخوة الإسلامية والوحدة والاتحاد في العالم الإسلامي، ويتمنى أن تسعى مجلة "البعث الإسلامي" إلى إيجاد صلة قوية تربط أبناء العرب بالهند، فهو يقول: "ستحاول مجلة البعث الإسلامي أن تكون نقطة اتصال وهمزة وصل بين الهند والبلاد العربية الشقيقة تحمل رسالة أبناء الهند إلى أخواتهم في الشرق العربي وتحمل تمنيات أبناء البلاد العربية عواطفهم الطيبة نحو إخوانهم في الهند".¹²⁹

ورئيس تحرير المجلة اليوم الدكتور سعيد الأعظمي الندوي يقول: "حين دخلت هذه المجلة في عامها الخمسين التي عرفت باسم البعث الإسلامي منذ نحو نصف قرن في جميع أوساط العلمية والأدبية والأكاديمية في الدول العربية والأعجمية حملت أهدافاً عالية من الحكمة والموعظة في مجال الدعوة الإسلامية الموضوعية والمنهجية في البحوث والكتابات العلمية".¹³⁰

¹²⁹ المصدر السابق.

¹³⁰ مجلة البعث الإسلامي، ص 21، العدد 10، رجب 1401 هـ.

يقول فضيلة الشيخ عبد الخياط رحمه الله إمام وخطيب المسجد الحرام سابقا في كلمة له منشورة في "البعث الإسلامي" لقد كان حقي أن أسهم في الكتابة دوما لهذه المجلة لأنها كما اعتقد المجلة الرصينة الرشيدة المسددة التي تسلك الطريق دون حيده في المذهب أو انحراف عن المنهج رغم أنها تصدر وسط العواطف الهوج لما اعتنت ندوة العلماء على تربية الجيل في تعليم اللغة العربية فتوالد من هذه المدرسة الكتاب الماهرين والخطباء الفصحاء والعلماء المفكرين والشعراء المفلقين، وصدرت منهم كثيرا من المجلات والصحائف وإذ اصارت المجلة البعث الإسلامي من مجالات الإسلامية الرائدة في نشر اللغة العربية وترقيتها وتمنيتها حتى علت بين المجلات العربية التي تصدر من العالم الإسلامي.

كما يجدر بنا أن نذكر هنا أن مجلة "البعث الإسلامي" مجلة إسلامية دعوية وتربوية وهي مجلة رائدة للصحافة العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية، فقد كانت المدارس العربية الإسلامية في الهند بحاجة ماسة إلى صدور صحيفة عربية إسلامية باللغة العربية التي ليست لغة الهند فقط. بل أنها لغة المسلمين الدينية الإسلامية التي تجتاز إلى العالم الإسلامي، تخدم هذه المجلة كالمُنبر لمخاطبة النفوس الفاترة للدعوة الإسلامية المعاصرة. وتقوم بدور مهم رائع في نشر الفكرة الإسلامية والثقافة، وتعزز الأذهان العربية والإسلامية في مواجهة التحديات الفكرية المعارضة على الفكر الإسلامي، حتى قضت خمسة وستين عاما تقريبا، ومع ذلك لا تزال سارية في ميدان

الصحافة العربية بكل قوة البيان والأسلوب وتحمل أهداف عالية من الحكمة، وفي بلد

قد يكون الكثيرون فيه على غير منهجها إن لم يكونوا مناهضين لها.

ومجلة البعث الإسلامي إذا مدرسة علم وأدب وثقافة وتربية. يدرس منها الأجيال

دروس الصلاح وتلقوا منها مواعظ الإحسان وعاشوا معها في جو مليء بالإيمان

والشرف والنزاهة. وبقية هي كدوحة كبيرة يستظلها العابرون من كل قاصية ودانية.

الباب الخامس: دراسة تحليلية عن أبرز المؤلفات العربية لعلماء الندوة

الفصل الأول: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة السيد عبد الحيّ

الحسني

بقي التحليل في الباب الأخير أبرز مؤلفات خريجي دار العلوم ندوة العلماء تحليلاً موضوعياً، ولا يمكن استيعاب كل مؤلفاتهم لهذا التحليل، علماً بأنها كثيرة ومتشعبة. وحيث أن دراستي لا تكمل إلا بهذا التحليل تم اختيار بعض الكتب لعلمائها. وفي مقدمتها "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" للعلامة السيد عبد الحيّ الحسني رحمه الله. والكتاب المشهور "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و"السيرة النبوية" وكلاهما للشيخ أبي الحسن علي الندوي. ورابعاً "شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض" للأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي.

1. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من

الأعلام)

وهب الله لشبه القارة الهندية مؤرخاً مثالياً وكاتباً ماهراً، وهو العلامة السيد أحمد المعروف بالسيد عبد الحيّ الذي صار مشهوراً بقلمه الفياض وجهوده المخلصة المتمثلة في التصنيفات العربية ومنها "نزهة الخواطر"، "والهند في العهد الإسلامي" و"الثقافة الإسلامية في الهند"، وكل واحد منها في ذاته شبه موسوعة.

كان الشيخ عبد الحي الحسنى رئيس جمعية ندوة العلماء لکنهو في الهند في عصره، وكان متضلعا في العلوم راسخ القدم في آداب اللغة العربية والفارسية والأردية، ومترجما ماهرا وناقدا متوقداً، ويعتبر أول من ترجم لعلماء الهند بشمولية واستيعاب. من أول عهدهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، وبجهد التآلفية كان قد خلف تراثا ثريا من أفكاره وأدبه وثقافته، وسعى سعيا جادا لرفيع دار العلوم إلى مستوى جامعة عربية إسلامية ثقافية نموذجية متزنة.

ولد السيد عبد الحي بمدينة راي بريلي عام 1285 هـ / 1869 م وكان والده السيد فخر الدين عالما كبيرا وأديبا بارعا، وله مؤلفات كثيرة مثل مهرجانات، وكتاب سيرة السادات، وديوان شعر في الفارسية. ودرس العلوم العربية والصرف والنحو والفقہ وأصوله والتفسير والعلوم العقلية والنظرية على أشهر علماء عصره. ثم بدأ الترحال والتجوال في أنحاء البلاد لاكتساب العلم. فتوجه أولا إلى بهوفال وهو مركز رجال العلماء والطلبة حينذاك، وكان هناك الأمير صديق حسن خان، لزمه واستفاد من علومه، واتصل بالمحدث العلامة حسين بن محسن الأنصاري أحد علماء اليمن، وتلقى العلوم منه وقويت العلاقة بينهما حتى جعله الشيخ في خواصه. وقرأ عليه صحيح الأحاديث ونال منه الإجازة. ثم استفاد من أمثال الشيخ عبد الحق بن محمد والشيخ الفاضل السيد أحمد الدهلوي والطبيب الشهير عبد العلي. وبإيع الشيخ الكبير مولانا

فضل الرحمن الكنج مرادآبادي. ثم زار دهلي وبانبيت وسهرانبور وسرهند وديوبند ولكنهو أكبر المراكز العلمية الدينية الإسلامية الكبرى آنذاك.

وبما أنه نشأ في بيت العلم والدين والشغف العلمي والتأليف، أصبح قادرا على الجمع بين الدين والعلم وفهم الشعر ونقده. وعند ما بلغ أشده شاهد المجتمع الإسلامي في جدل الخلافات والنزاعات التي فشت في العالم الإسلامي بوجه عام، وشبه القارة الهندية بوجه خاص. فبدأ دعوته الإصلاحية من أعضاء أسرته امتثالاً للآية الكريمة و"أنذر عشرتك الأقربين" ومن هذه التجمعات تكونت جمعية الإصلاح والتوعية الإسلامية في راي بريلي. وعندما وصل الشيخ عبد الحي الحسني إلى لکنهو انضم إلى جماعة الشيخ محمد علي المونكيري، وتطورت جهودهم إلى تأسيس جمعية باسم ندوة العلماء سنة 1311 هـ / 1894م.

وكان يفكر دائما في سوء حال الأمة المسلمة، ليس لهم علم ولا وعي ديني. فقام بإصلاحهم وتزكيتهم بالثقافة الإسلامية والتعاليم الإسلامية. ولما تأسست هذه الجمعية جهد في الإصلاح التعليمي السائد بين المسلمين وتطوير المناهج الدراسية، وشارك في نشاطاتها وأعمالها منذ بدايتها. ثم تفرغ لخدمتها وخدمة الإسلام بواسطها، حتى تم اختياره أمينا عاما لندوة العلماء سنة 1333 هـ / 1915م.

توفي رحمه الله 15 جمادى الآخرة 1341هـ / 2 يناير 1923 م ودفن عند

قبر السيد العارف علم الله في زاويته مخلفا وراءه أربعة أولاد. ومن الذكور: الدكتور عبد العلي الحسني والشيخ أبو الحسن علي الندوي.

يعتبر هذا الكتاب موسوعة تاريخية مرجعية، يشع النور على تاريخ الأعلام بالهند وما حدث في أيامهم من الحوادث السياسية والاجتماعية والدينية. ويشتمل الكتاب على تراجم الأعلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري.

وإذا التفتنا إلى الهند القديم وجدناها تعيش في عزلة عن العالم. ولم تستطع توسيع ثقافتها وتسهيل مرافق حياتها، وبقيت على ما كانت عليه من مدينة حتى أشرقت بنور الإسلام منذ سطوعها في الجزيرة العربية. وظل هذا الدين ينمو ويناضر في ساحة الديار الهندية، وحملوا معهم ثقافتهم وعلومهم عالية وناضجة. وفيهم الأدباء والعلماء وازدهرت معها العلوم الدينية والآداب العربية دراسة وتديسا وبحثا وتأليفا.

ولكن العلماء ما كادوا يهتمون بالتدوين في التاريخ في العربية، وإنما عنوا بالتدوين في الفارسية. وكانت اللغة الفارسية تأفل نجمها وقتئذ كما أن الأردية في مرحلة الطفولة. وأما العربية فبقت رافعة رأسها في كل مجالات الثقافة، مما تصدى الشيخ عبد الحي الحسني لهذه المهمة، وشرع في تأليف كتاب نزهة الخواطر. وتشرفت العربية في البلاد الهندية بهذا المبادرة التأليفية.

وقد اشتهر الكتاب بعنوان: الإعلام بمن في الهند من الأعلام في طبعاته الجديدة، التي جاءت بتحقيق نجله العلامة الشيخ أبي الحسن علي الندوي. وذكر فيه المؤلف تراجم أعيان الهند وعلمائها فيمن قدم إلى الهند من أعيان المسلمين ومآثرهم وكل ما انتهى إليهم علمه من تعلمهم وأعمالهم وألقابهم وأنسابهم وسنوات وفياتهم وأخبارهم. وكذلك كيف علموا من قرأوا عليهم. والكتاب بمجلداته الثمانية يحتوي على الفترات التاريخية بدءاً من القرن الأول وحتى القرن الرابع عشر. وكان المجلد الأول يختص بذكر الأعلام حتى القرن السابع، ثم دَوّن كل مجلد بحيث يغطي قرناً واحداً، حتى اختتم المجلد الثامن بتراجم أعلام القرن الرابع عشر. والمعلومات الواردة في هذا الكتاب تم اقتباسها من ثلاثمائة كتاب في العربية والفارسية والأردية ما بين المخطوطات والمطبوعات، حتى صدر الكتاب بتراجم الأعلام البالغ عددهم أربعة آلاف وخسمائة ونيف.

صدر لهذا الكتاب حتى الآن ثلاث طبعات. الطبعة الأولى من دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في عام 1350هـ / 1931م، والثانية من لکنهو عام 1366هـ / 1947م، مع مقدمة احتوت على ذكر أعلام المسلمين في التاريخ الإسلامي بقلم أبو الحسن علي الندوي، نجل المؤلف، والثالثة من بيروت، قدم لها أيضاً أبو الحسن علي الحسين الندوي، وهو يصف هذا الكتاب: "وقال ووفق والدي العلامة السيد عبد الحي الحسيني رحمه الله لوضع أكبر كتاب يعرف في شبه القارة الهندية بتراجم الرجال الذين

نبغوا في الهند من القرون الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلف سنة 1341هـ / 1923 م يغطي المساحة الزمنية من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري أو المساحة المكانية من ممر خيبر من الشمال الغربي من الهند إلى خليج بنغال في الشرق ومن قتل كشمير إلى "مالابار" و"كاليكوت" في الجنوب من كل طبقة على اختلاف مذاههم الفقهية واتجاهاتهم العلمية واختصاصاتهم الفنية، فجاء في ثمانية مجلدات كبار يحتوى على أكثر من أربعة آلاف وخمسة مائة من التراجم وهو أشبه في أسلوب الكتاب ومنهجه وتعبيراته بآبن خلكان في الدقة والأمانة وتجري الصدق والقياسات اللائقة والدقيقة في تحيز الأوصاف والنعوت".¹³¹

والكتاب يتميز كثيرا عن سائر الكتب في التراجم وكتب السيرة في الهند، وأعمال التراجم السابقة معظمها معوزة بقلّة التنقيح والتهديب والاستقصاء والاشتغال بالغرائب وبما لا يهم معرفته من سيرة الرجال وأخلاقهم وحياتهم وحوادثهم. بينما جاء هذا الكتاب مهذبا منقحا ملخصا مع تحقيق دقيق، مصحوبا بالحوادث التي شهدها هؤلاء الأعلام متحرّيا الصدق والدقة بعيدا عن الشكوك والشبهات، ولا شك إن كتب التاريخ والسير وتراجم الرجال يعرفونها الصدق والكذب، ولذا تحتاج إلى تطهير وتهذيب لكي تبرز في الصورة الحقيقة، هذا ما نرى في أسلوبه الذي أثر فيه لهجة النقد لتحقيق الوقائع واستخراج الحقائق عن الشخصيات، إيماناً منه أن هذا العمل يجب أن يكون خالياً من

¹³¹ حياة عبد الحي، الشيخ أبو الحسن علي الندوي

الأساطير الأباطيل. وأقدم لكم بعض النماذج بهذا الصدد لتصديق ما نقول، وفي

ترجمته شاه عالم بهادر شاه الدهلوي يقول:

"الملك الفاضل الحلیم محمد معظم بن أورنكزیب التموري شاه عالم بهادر شاه بن عالمكیر الدهلوي سلطان الهند. ولكنه كان سيئ التدبير والسيادة غلب في عهده عظیم "المراهتا" فتغلب على أكثر بلاد المسلمين فسلم له شاه عالم ربع الخراج من بلاد "الدكن" وهو أول وهن ظهر منه، فأدى إلى زوال شوكته ثم انقراض ملكه من أولاده وكان عادلا رحیما بارعا وفي العلوم لم یزل یشغل بما طالعة الكتب والمذاكرة، وكان شیعيا أمر أن یدخل في خطب الجمع والأعياد لفظ الوصي عند ذكر سيدنا علي المرتضى كرم الله وجهه، فارتفع الصخب وكثر الضوضاء بمدينة "لاهور"، فأمر بإحضار العلماء بين يديه وباحتهم في ذلك حتى كثر اللغط ورجب الناس كافة إلى العلماء سرا، حتى إن ولده عظیم الشأن أيضا مال إليهم، فلما علم السلطان رغبة الناس أمر أن یرجع الأمر إلى الأول حسبما كان جاريا في عهد عالمكیر مات في التاسع عشر من المحرم سنة أربع وعشرين ومائة ألف".¹³²

نجد كتب التاريخ في الهند محشوة بالخوارق والمعجزات، ومكشوفات الصوفية التي لا تمت بصلة إلى الحقيقة. وكلها يدل على الإبهام والشكوك والغموض في

¹³² الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشيخ عبد الحي الحسني

الكتابة. ولكن المؤلف استخرج الحقائق بالبراهين والاستدلال، فصار كتابه "نزهة الخواطر" موسوعة تاريخية عظيمة تحتوي على تراجم العلماء والشعراء والأدباء والملوك والمشائخ الهنود، مما يتميز الكتاب بغزارة موضوعه وأسلوبه وترتيبه واعتداله، كما أنه في أثناء الكتابة لا يتعصب لنحلة ولا يتحيز إلى فئة دون أخرى.

وهناك بواعث كثيرة تحضه على مثل هذا التأليف، كما أن لديه ظروف مواتية سهلت له هذه المهمة. وقد كان منذ شبابه يتجول في المدن الهندية ذات الشهرة العلمية والسمعة الثقافية، وهذه الرحلات أكسبت له تجارب قوية وسنحت له الفرصة للاطلاع على خفايا التاريخ وسيرة الأعلام، كما أن والده هو الآخر تشجيعاً له للتأليف، إذ كان فيه شغف علمي نحو التاريخ وسير الأعلام، وهو صاحب مؤلفات في التاريخ والأنساب. والمؤلف ورث شغف والده وصار يتمثل ذلك في هذا المؤلف.

كما أن الله تعالى رزقه صفاء الحس وثقوب النظر، وحسن الملاحظة ودقة التقييم. ثم إنه كان في غاية الإتقان والإحكام، فلم يستعجل في كتابه ولم يبادر بنشره بل أصبح ينقح ويهذب كل ما كتب، والكتاب يعروه في كل صفحاته الأمانة العلمية التي كان يتحلى بها المؤلف. ومن ذلك المنطلق نراه مدققاً في سرد الحوادث. كما أنه يبلور المصاعب التي كان يتجشمه في جمع المعلومات، ولم يكن من اليسير جمعها في تلك الأيام التي كانت وسائل الإعلام قاصرة وأسباب التوصل إلى المصادر ناقصة، والعوائق الاجتماعية والثقافية بارزة، مما صار الكتاب في تمام التوافق بين الاسم

والمسمى "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر". وهو نزهة لخواطر كل الأجيال
وبهجة لمسامع طلاب العلوم ومناظرهم. وكل كتب التراجم المؤلفة في الهند كانت عالية
على هذا الكتاب الجليل.

الفصل الثاني: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبي الحسن علي الندوي

هذا الكتاب هو الثاني مما اخترت للتحليل. ويقسم الشيخ الندوي هذا الكتاب خمسة أبواب: الباب الأول العصر الجاهلي، والباب الثاني من الجاهلية إلى الإسلام، والباب الثالث العصر الإسلامي، والباب الرابع العصر الأروبي، والباب الخامس قيادة الإسلام للعالم.

هو أشهر مؤلفات للشيخ الندوي وأوسعها صيتا وانتشارا في العالم العربي والإسلامي. وأكثرها نقلا إلى اللغات الشرقية والغربية لما يحتوى عليه من الأفكار العالية والنظرات الصادقة الصارحة، والمواعيظ النافذة إلى أعماق القلوب، وخاصة يقدم الشيخ الندوي للأمة البشرية الإسلامية صورة رائعة عن كيان المجتمع الإسلامي الراسخ في العقيدة المتمثلة في الإيمان بالله واتباع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يعالج نزعات القوم المادية حتى تمسكوا بالروحانية والمعنوية.

وهذا الكتاب يعد باكورة مصنفاته، ألفه الشيخ الإمام في الأربعينات وقد حكى المؤلف نفسه قصة تأليف هذا الكتاب الرائع مع إلقاء الضوء على مجرى تفكيره ومنطلقه ووجهته والعوامل العقلية والنفسية والدينية المؤثرة ويقول: لعل كثيرا من القراء الفضلاء

لا يعلمون أن هذا الكتاب كان باكورة مؤلفاتي، وكان بداية تاريخ التأليف، وقد ألفته
هذا الكتاب وأنا قد تجاوزت الثلاثين من عمري تقريبا.

وكفى رمزا لفضل هذا الكتاب قول الباحث الإسلامي الكبير الشهيد سيد قطب
في تقديمه الكتاب وصرح قائلا "ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم
بأنفسهم وثقتهم بماضيهم ورجاءهم في مستقبلهم، وما أحوجهم لمن يرد عليهم إيمانهم
بهذا الدين الذي يحملون اسمه ويجهلون كنهه، ويأخذونه بالوراثة أكثر مما يتخذونه
بالمعرفة." وهذا الكتاب الذي بين يدي "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" لمؤلفه
(السيد أبي الحسن علي الندوي) من خير ما قرأت في هذا الاتجاه في القديم والحديث
سواء".¹³³

إذا التفتنا إلى صفحات الباب الأول "العصر الجاهلي" نرى الشيخ الندوي صرح
أحوال الأمم الغابرة، وأحوال الدول الماضية وثقافتهم وحضارتهم وأديانهم المجفوفة
وأباطلهم، كما صرح الشيخ الندوي في الفصل الأول "الإنسانية في الاحتضار" كان
القرن السادس والسابع (الميلادي المسيح) من أخط أدوار التاريخ بلا خلاف، فكانت
الإنسانية متدلّية منحدرّة منذ قرون، وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها
من التردّي، وقد زادت الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها، وكان الإنسان في

¹³³ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الشيخ أبو الحسن علي الحسن الندي، ص 44.

هذا القرن قد نسي خالقه ونسي نفسه ومصيره وفقد رشده وقوة التمييز بين الخير والشر والحسن والقبح، وقد خفقت دعوة الأنبياء من زمن والمصاييح التي أوقدوها قد انطفأت من العواصف التي هبت بعدهم.

كما يبين الشيخ الندوي أحوال المسيحية في القرن السادس، وكانت مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومية والأفلاطون المصرية والرهبانية، ولذا اندرست منها تعاليم المسيح كما تتلاشى القطرة في اليم ثم صارت في معتقدات وتقاليد فأصبحت على مر العصور ديانة وثنية. ويقول "سايل" (Sale) مترجم القرآن إلى الإنجليزية عن نصارى القرن السادس الميلادي: "أسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاتشوليك في هذا العصر".¹³⁴

علاوة على هذا صارت في الدول الرومية الحروب الأهلية الدينية، وربما صارت حروبا دامية وحوّلت المدارس والكنائس والبيوت معسكرات دينية متنافسة حتى اشتد مظاهر الخلاف بين اليهود والنصارى وكل طائفة تقول للأخرى إنها ليست على شيء يقول الدكتور ألفردج بتلر.

¹³⁴ المصدر السابق، ص 67.

"إن ذينك القرنين كان عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين نضال يذكيه إختلاف في الجنس وإختلاف في الدين، وكان إختلاف الدين أشد من إختلاف الجنس إذ كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية".¹³⁵

ثم يبحث الشيخ الندوي بحثا دقيقا عن الحضارات والديانات في الدول العظيمة في هذا العصر، مثل دولة مصر وإيران والدولة الصينية والهندية والعرب وغيرهم. وأصيب كلهم بالانحطاط الحضاري والفكري والعلمي والديني من شرقه إلى غربه، وأصبحت مهود الحضارة والثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال والاختلال وسوء النظام لاتملك مشرعا صافيا من الدين السماوي.

وصرح الشيخ الندوي أحوال مصر في عصر الدولة الرومية في القرن السابع، وهي من أشقى بلاد الله بالنصرانية مع خصب النيل وصارت هناك خلافات ومناظرات في طبيعة المسيح كما يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (الحضارة العرب):

"ولقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية، ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي، وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التي كانت مسرحا للاختلافات الدينية الكثيرة في ذلك الزمن وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات، وكانت مصر التي أكلتها الإنقسامات

¹³⁵ المصدر السابق، ص 68.

الدينية وأنهكها استبداد الحكام يحقد أشد الحقد على سادتها الروم وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين"¹³⁶.

وهذه الدول كلها لفترة طويلة من الزمن خاضعة لأنواع الاضطهاد والابتزاز الديني والاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي ما شغلها بنفسها وكدر عليها صفو حياتها وألهاها عن كل مكرمة. وبلاد الحبشة ، جارة مصر كانت تعيش على المذهب (المونوقيسي) الذين كانوا يعبدون الأوثان.

الأمم الأوروبية الشمالية الغربية

كانت الأمم الأوروبية في الشمال والغرب في ظلام الجهل المطبق والأمية العامة، والحروب الدامية. وليس هناك العلم والحضارة كما أشار إليه البروفيسور شبلي في كتابه تاريخ الفلسفة.

"لعل القرنين السابع والثامن كانا أظلم عهد في تاريخ حضارة أوربا الغربية، إنه كان عهد بربرية وجهالة لا نهاية لهما، غمرت فظائعهما وأعمال تدميرها جميع المنجزات الأدبية والجمالية للعهد الماضي الكلاسيكي".¹³⁷

¹³⁶ حضارة العرب، ص 336.

¹³⁷ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص 73.

وبالجملة نرى الفريقين اليهود والنصارى في منافسة وجدال وحروب بينهم حتى قتلوا وأسروا بعضهم بعضا، وهم من القسوة والضراوة بالدم الإنساني وتحين الفرص للنكاية في العدو لأنهم لا يرعون الحديد، وبهذه الأخلاق المنحطة لم يستطيعوا أن يصلوا إلى رسالة الحق.

إيران والحركات الهدامة فيها

أما فارس التي شاطرت الروم في حكم العالم المتمدن فكانت الحقل القديم لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم، ولم تنزل المحرمات النسبية قائمة بكل وقاحتها حتى إن "يزدجرت الثاني" الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها. ثم ظهر ماني وثارت روح الفارسية على تعاليم ماني المجففة وتقمصت دعوة "مزدك" الذي ولد 487 م، فأعلن أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم كما قال الشهرستاني: "أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء".¹³⁸

وكان الفرس ينظرون إلى الأكاسرة كآلهة وينشدون الأناشيد بألوهيتهم ولا يجلسون أحد منهم في مجلسهم، ويرون الملك في البيت الكياني فقط، وأن ملكهم ميراثا لهم يتنقل منهم كابرا عن كابر، فإن لم يجدوا فيهم كبيرا ملكوا طفلا وإذا لم يجدوا رجلا

¹³⁸ الملل والنحل، الشهرستاني، ج 1، ص 89.

ملكوا عليهم امرأة فقد ملكوا بعد شيرويه ولده ازدشير وهو ابن سبع سنين . وملكوا بوران بنت كسرى ومع ذلك كان بين هؤلاء التفاوت بين الطبقات وبعضهم في القومية.

كان أهل الفارسية في قديم الزمان يعبدون الله وحده ثم صاروا يمجدون الشمس والقمر والنجوم والأجرام السماوية، ثم جاء زرادشت صاحب الديانة الفارسية، ودعا أولا إلى التوحيد وأبطل الأصنام وقال أيضا إن نور الله يسطع في كل ما يشرق ويلتهب في الكون، وأمروا أن يتجهوا إلى جهة الشمس والنار في ساعة الصلاة، لأن النور رمز الآله إثباتا لعبادة النار .

الصين: - انتشرت في الصين ثلاث ديانات: لاوتسو وكونفوشيوس والبوذية، وأهل لاوتسو وثنيون ومتشفون لا يتزوجون ولا ينظرون إلى المرأة ولا يتصلون بها.

وديانة كونفوشيوس فكان يعنى رجالها بالعمليات أكثر من النظريات. وكان تعاليمهم في شؤون هذه الدنيا وتدبيرها وليس لهم إله معين، يعبدون ما يشاؤون من الأشجار والأنهار. ثم ظهر البوذية وابتلعتها البرهمية، ثم تحولت وثنية من تماثيل بوذا ينصبونه في هياكل ويعبدونه.

الهند: الهند منذ القدم حقل الديانة والأخلاق والاجتماع، وكانت الوثنية تسود في أرجائها في القرن السادس. وقد كان عدد الآلهة في "ويدا ثلاثة وثلاثين". وأما نظام الطبقات فهي قمة ذروتها بصورة غير مسبقة، ومن هذه الطبقات الممتازة البراهمة

وشتري وويشي وشودر، وهكذا أصبحت هذه البلاد مسرحا للجهل الفاضح والوثنية
الوضيعة والقسوة الهمجية والجور الاجتماعي الذي ليس له مثل في الأمم ولا نظير
في التاريخ.

العرب حضارتهم وموهبتهم

كانت العرب امتازوا بين أمم العالم وشعوبه في العصر الجاهلي بأخلاق
ومواهب تفردوا بها، كالفصاحة وقوة البيان وحب الحرية والأنفة والفروسية والشجاعة
والحماسة في سبيل العقيدة والصراحة في القول وجودة الحفظ وقوة الذاكرة والإرادة وحب
المساواة والوفاء والأمانة.

ولكن العرب مع ميزتهم وعلوهم انحطوا بدين الوثنية السخيفة، وكان الشرك
دين العرب العام والعقيدة السائدة. ومع ذلك كانوا يعتقدون أن الله خالق كل شيء.
يشير إليه قوله تعالى: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" (الزخرف 87). وهكذا
انغمسوا في الوثنية وعبادة الأصنام وكان لكل بيت قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص،
يقول الكلبي: "كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم
السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما
يصنع إذا دخل منزل أن يتمسح به أيضا".¹³⁹

¹³⁹ كتاب أصنام، ص 33.

ومع ذلك نرى العرب يعتقدون بألهة شتى من الملائكة والجن والكواكب.
والملائكة بنات الله في اعتقادهم ويتخذون شفعاء لهم عند الله واتخذوا من الجن شركاء
الله ويعبدوهم كما قال الكلبي: " كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن".¹⁴⁰

وكذلك نرى عرب الجاهلية يعاقرون الخمر ويزنون ويقامرون ويتعاطون الربا،
وكان القمار مفاخرة لهم وكان الربا مرافق حياتهم كما هو شأن التجارة. والذين لا
يفرقون بينه وبين التجارة وقالوا (إنما البيع مثل الربا) البقرة 275.

وكان الزنا فاشيا بين أهل الجاهلية وينصبون رايات الزنا في بيوتهم، علامة لهم
وهذا فخر لهم ولا يستنكرون، وكان من العادات أن يتخذ الرجل خليلات وتتخذ النساء
أخلاء بدون عقد.

كانت المرأة في الجاهلية عرضة غبن وحيث تؤكل حقوقها وتبتز أموالها وتحرم
إرثها، وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجها ترضاه وتورث كما يورث
المتاع أو الدابة حتى بلغت كراهة البنات وأدوا بناتهم بحياتهن وأنهم يريدون عارا
لأجلهن.

والشيخ الندوي يبين في الباب الأول العالم القديم شرقه وغربه: من الهند والصين
إلى فارس والروم في القرن السادس السابع قبل مجيء الإسلام، حيث كان يسود روح

¹⁴⁰ المصدر السابق، ص 44.

الجاهلية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية مما فقدت البشرية مقاييس القيم وعاشوا تحت الوثنية والفوضى، بدون راع يروعونهم ويهدونهم من الظلمات إلى النور.

وفي الجانب الآخر كانت الديانات السماوية (اليهودية والنصرانية) أدركها

التحريف والتسيخ والضعف فاستحالت جامدة لاحياة فيها ولا روح، ولم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء. والنور الوحيد الضعيف الذي يترائى في هذا الظلام كان من بعض الأديرة والكنائس، وهو أشبه بالحباب الذي يضيئ في ليلة شديدة الظلام.

إذا أجلنا الطرف إلى الباب الثاني "من الجاهلية إلى الإسلام" نطلع على أحوال

أمة الجاهلية عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف حوّل الرسول من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

كانت البشرية في حالة بعثة محمد صلى الله عليه وسلم مذلين ومزدرين، عبدة

الأصنام والأوثان والحجر والشجر. ولم ترفع وجههم نحو رب السماء موحدين، والأديان السماوية السابقة كان رجالها يحرفون الكلم عن مواضعه، وتشعبت فيهم المذاهب والنحل، وسيطرت عليهم الطبقية والعصبية. وفي هذه الظروف بعث الله محمداً. وقد عالج النبي بالدواء الإلهي الجديد أدواءهم، واستطاع هدم الوثنية، هدمها بدون هوادة، وعاد بالبشرية إلى فطرة التوحيد. كما فعله الأنبياء عليهم السلام من قبل.

ويؤكد العلامة الندوي بهذا الصدد على سنة الله تعالى إذ لم يبعث رجلا إقليميا أو زعيما وطنيا ليكون هذا الرسول الخاتم. وهو يقول: "ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث لينسخ باطلا بباطل. ويبدل عدوانا بعدوان ويحرم شيئا في مكان ويحلّه في مكان آخر، ويبدل أثره أمة بأثرة أمة أخرى، لم يبعث زعيما وطنيا أو قائدا سياسيا يحر النار إلى فرصة ويصغى الإناء إلى شقه يخرج الناس من حكم الفرس والرومان إلى حكم عدنان وقحطان، وإنما أرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وإنما أرسل ليخرج عباد الله جميعا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

وفي الحقيقة لما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية إلى توحيد عاندوا عنادا شديدا وثبت الرسول صلى الله عليه وسلم على دعوة ثبوتا كالراسيات لا يثنيه أذى ولا يلويه كيد ولا حيلة ولا يلتفت إلى أغراء ولا يخاف في الله لومة لائم كما يقول لعمه: "يا عمي لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهر الله أو أهلك في طلبه".¹⁴¹

هكذا مكث الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشر حجة يدعو إلى الله وحده، فسمعوا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فضاقت عليهم الحياة بما رحبت،

¹⁴¹ البداية والنهاية، ابن كثير، ج 3، ص 33،

وضاقت عليهم أنفسهم وقلقت بهم مضاجعهم، فأمنوا وتقدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أفواجا، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة المنورة بإيذاء قريش، فالتقى أهل مكة بأهل يثرب لا يجمع بينهم إلا الدين الخالص الجديد، وكان الأوس والخزرج استمروا في حروب دائمة ولا تزال سيوفهم تسيل دما، ولكن الإسلام أَلَفَ بين قلوبهم ثم آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار حتى صاروا أمة واحدة.

هكذا أصبح الناس أسرة واحدة، وجعل النبي تقوى الله معيار الكرامة والشرف وأعلن بقوله: "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهي قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونون أهون على الله من الجعلان. وهكذا أهاب النبي لأصحابه أن يتركوا عصبية الجاهلية فتركوها".¹⁴²

وقد كان محمد رسول البشرية، تحلى بصفات نبيلة، ومنها حبه لأصحابه، وحبهم إياه، وكلاهما مبني على أساس الإخلاص والوفاء. وإليه يشير الأستاذ الندوي ويقول: "وخرجت امرأة من الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فقالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا خيرا وهو بحمد الله كما تحبين؟ قالت: أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته: كل مصيبة بعدك جلل".¹⁴³

¹⁴² سورة الحجرات، تفسير ابن كثير.

¹⁴³ رواه ابن إسحاق، رواه البيهقي مرسلا

ويذكر العلامة الندوي في الباب الثالث عن العصر الإسلامي، عهد القيادة الإسلامية منذ بدأ دور الخلافة الراشدة، فقد تعاونت فيه قوة الروح والأخلاق والدين والعلم والأدوات المادية في تنشئة الإنسان الكامل، وفي ظهور المدنية الصالحة أصبحت حكومة المسلمين من أكبر حكومات العالم فلم تعرف دورا من أدوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر في جميع هذه النواحي من هذا الدور.

ولم يزل الكتاب والسنة يبعثان في نفوسهم ثورة على الشرك والبدع، وعلى الجهالة والضلالة وثورة على أخلاق الجاهلية وعوائدها وثورة على ترف المترفين واستبداد الملوك، ولم يزل ينهض بتأثيرهما في كل دور من أدوار التاريخ الإسلامي وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي رجال يقومون في هذه الأمة على طريقة الأنبياء ويجدون لها أمر دينها.

حسن بلاء العالم الإسلامي في القرن السادس

ثم يذكر الندوي في هذا الكتاب المحنة التي تعرض لها المسلمون في القرن السادس الهجري، حيث بدت أمارات الضعف والشيخوخة في العالم الإسلامي، وبعد السلاجقة بدأت الغزوات الصليبية التي كانت تهدف إلى الاستيلاء على الأماكن المقدسة، واستولى الصليبيون الأوروبيون فعلا على القدس وعلى عامة مدن الشام وطمعوا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وكانوا أكبر خطر على الإسلام

والمسلمين بعد فتنة الردة. هناك قيض الله للإسلام رجلا متحمسا وهو عماد الدين أتابك زنكي (541هـ / 1146 م) الذي قارع الصليبيين وهزمهم وفتح عليهم، وأتى بعده ولده العظيم الملك العادل نور الدين محمود زنكي وصمم إجلاء الصليبيين من الشام واسترداد القدس للمسلمين، ولكن مات رحمه الله قبل أن يكمل مهمته ، وخلفه أحد مرشحيه الملك الناصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر، وهو الرجل الذي هياه الله لهذه المهمة العظيمة وجمع فيه من خصال الحزم والعزم والإخلاص والتجرد للغاية، وهزم الصليبيين في حطين عام 584 هـ / 1188 م هزيمة منكرة وكسر شوكتهم وفتح القدس في نفس العام واستولى على فلسطين كلها وانحصر الصليبيون في "صور" فقط.

ويشير الشيخ الندوي إلى الأحوال بعد موت صلاح الدين أيوبي. إذ كان هناك الخطر القريب العاجل على كيان الإسلام ومركزه، حتى ضعف قوة المسلمين في القرن السابع لما مزق التتار الإمبراطورية الإسلامية الأخيرة وسقطت بغداد في أيديهم.

ورث التتار والمغول تراث المسلمين وخلفوهم في الحكومة، وجلبوا البؤس والشقاء والخراب للإنسانية وللعالم أجمعه، وبدأ قيادة الجاهلية تتولى العالم من جديد، وفقد البشرية بهذه الجاهلية دينهم وعلمهم وثقافتهم وحضارتهم. ويقول الشيخ الندوي: أن هذه الآونة كانت بدء انحطاط المسلمين فكريا وعمليا منذ القرن الثامن الهجري، وساد الخمود والتقليد والمحاكات، ونرى هذا الخمود شاملا في العلوم الدينية والفنون الأدبية

والمعاني الشعرية والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم. وفي أثناء ذلك استيقظت أوروبا من نومها العميق وهبت من مرقدتها لتعدو إلى غايتها.

وأضاف قائلاً "قارن هذا الشوط الذي قطعه تركيا الإسلامية في ميدان الرقي والتقدم وبالأشواط التي قطعتها أوروبا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، تجد الفرق هائلاً فلم يكن جريهما في الميدان إلا مسابقة بين السلحفاة والأرنب إلا أن الأرنب ساهر دائب في عمله والسلحفاة قد يغلبها النوم وتغفى إغفاءة.

نرى في الباب الرابع تحليل الشيخ الندوي للحضارة الغربية (أوروبا)، وأكد أن الحضارة الغربية سليلة الحضارة اليونانية والحضارة الرومية، وورثت عنهما كل ما قد خلفتهما في تراثهما السياسي والعقلي والمدني وانطبعت فيها ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما.

كانت الحضارة اليونانية أول مظهر رائع، أول حضارة سجلها التاريخ قامت على أساس الفلسفة الأوروبية.

الخصائص الحضارة الإغريقية

اليونان أمة موهوبة من أنجب أمم العالم وأذكاهما وأكثرها استعداداً للعلم والأدب. وقد مثلت في العالم دوراً خالداً بفلسفتها وأدبها ووفرة من نبغ فيها من العلماء والحكام

والعبريين، تزهو بأثارهم مكتبات العالم. ويقول الشيخ الندوي عن خصائصها عن

المدنيات الأخرى خصوصا المدنيات الشرقية ما يلي:-

1. الإيمان المحسوسي وقلة التقدير لما لايقع تحت الحس.

2، قلة الدين والخشوع.

3، شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها

4، النزعة الوطنية.

واستطرد قائلا: كان الحضارة اليونانية شعارها "المادية" وهي التي يتم بها كل

ما يتصل باليونان من ثقافة وعلم وفلسفة وشعر ودين، ولم يستطيعوا أن يتصوّروا

صفات الله وقدرته إلا في شكل آلهة شتى نحتوا لها تماثيل وبنوا لها معابد وهيكل

فللرزق إله، وللرحمة إله، وللقهر إله.

ونرى أن قد انتقلت الفلسفة والثقافة اليونانية إلى الروم وجرت منهم مجرى

الروح والدم، لا يختلف الروم عن اليونان في الخصائص الفطرية بل هناك شبه عظيم

بين الأمتين، إيمان بالمحسوس وغلو في تقدير الحياة وشك في دين وضعف في يقين

واضطراب في العقيدة، إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد ولم يكن للدين

تأثير في أخلاق الأمة وسياستها ومجتمعها يقول ليكي : -

"إن الدين الرمي كان أساسه على الأثرة ولم يكن يرمى إلا إلى رفاهة الأفراد وسلامتهم من المصائب والمتاعب، والشاهد على ذلك أنه ظهر في رومية مئات من الأبطال والعظماء، ولكن لم ينهض فيها زاهد في الدنيا عزوف عن ملذات الحياة، ولا تسمع مثالا في تاريخ الروم للتضحية والإيثار إلا تجده لا تأثير فيه للدين ولكن مبنيا على الوطنية."¹⁴⁴

الانحطاط الخلفي في الجمهورية الرومية

وفي نهاية دور الجمهورية سال بالروم سيل الانحطاط الخلفي، وفاض بحر الترف في العيش البذخ فيضانا عظيما، غاص الروم فيه إلى الأذقان، وسالت فيه النظم الأخلاقية التي كانت الروم معروفين بها كالغناء وتزعزع البناء الاجتماعي حتى كاد ينهدم. وقد صوره "درابر" الأميركي بقلمه البليغ: "لما بلغت الدولة الرومية في القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجها ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات، هبطت في فساد الأخلاق وفي الانحطاط في الدين والتهديب إلى أسفل الدركات بطر الروم معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتارا وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة للتمتع ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ومن لهو إلى لذة".¹⁴⁵

¹⁴⁴ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن علي الحسيني الندوي. ص 198.

¹⁴⁵ المصدر السابق، ص 200.

تنصر الروم الوثنية لما جلس على سرير الأباطرة قسطنطين الكبير حامي ذمار
النصرانية ورافع لوائها، ثم دخلت الوثنية والشرك في النصرانية وابتدعت من حياتهم
حياة الرهبانية الفاسدة.

ويقول الشيخ الندوي: "ديانة أوربا اليوم المادية لا النصرانية كما صرح الأستاذ
الألماني المهندي محمد أسد في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق". وقال: "إن
الحضارة الغربية لا تجدد الله في شدة وصراحة ولكن ليس في نظامها الفكري موضع
لله في الحقيقة ولا تعرف له فائدة ولا تشعر بحاجة إليه."¹⁴⁶

هكذا تحولت أوربا النصرانية جاهلية مادية تجردت من كل ما خلفته النبوة من
تعاليم روحية وفضائل خلقية ومبادئ إنسانية، وأصبحت لا تؤمن في الحياة الشخصية
إلا باللذة والمنفعة المادية وفي الحياة السياسية إلا بالقوة والغلبة وفي الحياة الاجتماعية
إلا بالوطنية المعتدية والقومية الغاشمة وثارَت على الطبيعة الإنسانية، وهكذا أصبح
العالم كله قطارا سريعا ليسير به قاطرة الجاهلية والمادية إلى غايتها، هكذا نرى استلاء
الفلسفة الأوروبية على أميركا أفريقية وآسيا وروسيا الشيوعية والعالم كلها.

وكل هذا يدل على أن العلامة الندوي قد اطلع على مصادر المعلومات
الأساسية عن الشرق والغرب، ومدى صلاحية الثقافة الشرقية المبنية على الدروس

¹⁴⁶ المصدر السابق، ص 215.

الإلهية، وخطورة تخبط الغرب في غياهب الضلالة فاقدين هذه الدروس. وأكد الشيخ الندوي في الباب الأخير وعنوانه "قيادة الإسلام للعالم" على الحل الوحيد لابتعاث الأمة من جديد أن تحوّل العالم من الحضارة الأوروبية المادية إلى حضارة الإسلام التي يقودها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة ودينه الحكيم، وإذا تغير وجه تاريخ يصل العالم إلى رقيه وسكونه.

كما يشير إلى الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة السيئة، وذلك أن العالم تحول تماما إلى نزعة أوروبية، ومن ثم إلى الجاهلية المادية المتجردة من جميع الأخلاقيات التي جاء بها البعثة الإلهية. وأصبحوا يؤمنون بالحياة المادية بمجرد القوة والغلبة الظاهرة، ونسوا مقاصد الحياة العليا وضرورة الاكتشاف والاختبار بالتربية الخلقية وتغذية الروح بما جاءت به الأنبياء. والشيخ الندوي في هذا المجال يشبه أوروبا بالفيل الهائج، يدوس الضعيف ويهلك الحرث والنسل. ولما انسحب المسلمون من ميدان الحياة وتنازلهم عن قيادة العالم، وركبت أوروبا بناصية الأمم وتسير سفينة الحياة والمدنية التي اعتزل ربانها، أصبح العالم كله قطارا سريعا تسير به قاطرة الجاهلية والمادية إلى غايتها، وأصبح المسلمون ركابا لا يملكون من أمرهم شيئا، وكلما تقدمت أوروبا في القوة والسرعة ازداد هذا القطار البشري سرعة إلى غاية الجاهلية حيث النار والدمار والاضطرب والتناحر والفوضى الاجتماعية والانحطاط الخلقى والقلق الاقتصادي حتى سارت في السرعة كالطائرة أو بسرعة القوة الذرية.

وأيضاً يذكر الشيخ الندوي إن تحول القيادة من بريطانيا إلى أمريكا أو إلى روسيا - ليس للعالم منفعة لما تحول المجدف من اليمين إلى الشمال، إذا تعبت الأولى أو بالعكس فما دام المجدف واحداً فلا فرق بين يمينه وشماله وليس بريطانيا وأميركا وروسيا إلا أيدي رجل واحد تتداول دفة الحياة، كما نشاهد اليوم في العالم الإسلامي (اليمن وتونس ومصر وغيرها) الوقائع السياسية التي غيرت أحوالهم منذ زمان بدخول الأروبيين في البلاد وإقامة سياستهم وملكهم. وهو يتأسف حين يذكر أحوال المسلمين اليوم، إذ أصبحوا ورثة الجاهلية بدلاً أن يكونوا قادة الجيش الإسلامي. وسرت فيهم أخلاق الجاهلية ومبادئ الفلسفة الأوروبية سريان الماء في عروق الشجر والكهرباء في الأسلاك.

وبرغم ما أصيب به المسلمون من علة وضعف، إلا أنهم هم الوحيدة على وجه الأرض لتبقى خصيم الأمم الغربية ومنافسها في قيادة الأمم، ويقول الندوي: أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً، وأنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادّخاره كغيرها من الأمم، وأن علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ويضيئ لها العالم، ولكنني أخاف أن قوارع هذا العصر وهزاتته ستقضى مضجعتها وتوقظ هذه الأمة وتوجهها إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. أنى أحذركم وأنذركم من دين محمد صلى الله عليه وسلم.

وأوضح الشيخ الندوي أن المهم الأهم لقادة العالم الإسلامي أن يكون الإيمان ثابتا في قلوب المسلمين مع قوة العاطفة، وأن يجعل الدعوة الدينية والإيمان بالله واليوم الآخر والقرآن والسيرة النبوية من القوات الروحية تشعل في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان.

وبين الشيخ الندوي أسباب سقوط المسلمين اليوم، هو الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة والهدوء الزائد في الحياة، فلا يقلقه فساد ولا يزعجه انحراف، ويجب أن نجدد ذكرى بلال وعمار وخباب وخبيب وصهيب ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وأنس بن النضير رضي الله عنهم، وهناك تفوح روائح الجنة، وتهب نفحات القرن الأول، يولد للإسلام عام جديد لا يشبه العالم القديم في شيء.

أخيرا أوضح الشيخ الندوي أن زعامة العالم العربي لا بد أن تستلهم الإيمان من النزعات الدينية المحضة، لكي يمكن الوصول إلى قمة العالم، ومنها أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في المواقف والسلوك والقيم والأخلاقيات، وشخصيته الفاضلة هي بمثابة روح العالم والإيمان به قوتهم، يمكنهم في ضوءه التخلص من الأثرة والأنانية وتبادل الحنان والحب واحترام الآخر.

الفصل الثالث: السيرة النبوية لأبي الحسن علي الحسيني الندوي

هذا الكتاب لم يكن أقل أهمية من السابق، بل هو أحد الأعمال الرائعة التي خلفها الشيخ أبو الحسن الندوي للمكتبة الإسلامية. والسيرة النبوية حظيت باهتمام بالغ من علماء الهند المتقدمين والمتأخرين، وهذا الكتاب يتميز عن غيره من حيث الصناعة والأسلوب وتقييم المواضيع. وهو يعد كتابا مرجعيا في السيرة النبوية، والسيرة النبوية هدفها الدراسة عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم والأحداث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم منذ ميلاده إلى مماته، ويضيف إليها أخلاقه وشمائله ورسالاته إلى المجتمع البشري التي أخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله.

والمؤلف كان يندفع إلى تأليف السيرة النبوية اندفاعا منذ ريعان عمره، إذ كان يستمع إلى السيرة في الأردية في صغره، وقد عقدت جلسات خاصة للأطفال للسمع إلى السيرة النبوية وهو ابن ثمانية، مما أتاحت له الفرصة لسمع كثيرا عن السيرة وتلذذت بها عقلية واستلهم منها حماسه للتأليف. ثم إنه بكثره مطالعته لكتب الشرق والغرب وتعايشه أحوال المسلمين في العالم، تتقرب ذهنه وتشحذت قريحته للتمييز بين شخصيات العالم وقاداته، ورأى في خلال ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم ما لا يرى في غيره من الأخلاق والشمائل، مما صار هو الآخر سببا لهذا التأليف.

والشيخ الندوي يذكر ظروف تأليفه في مقدمة الكتاب: "وشرح الله صدري أخيراً لهذا التأليف فعكفت على هذا الموضوع وعشت فيه، أقرأ كتب السيرة والحديث، وكلما أستعين به في هذا الموضوع من القديم والحديث، وبدأت أكتب معتمداً على أصح ما كتب وألف في هذا الموضوع، واستعنت بما كتب في هذا الموضوع في العصر القديم والعصر الحديث وبالمراجع الأجنبية التي توضح الكثير من السيرة والتاريخ المعاصر وتلقى ضوءاً على الحكومة والمجتمعات المعاصرة وحاولت أن يجمع الكتاب بين الجانب العلمي وبين الجانب التربوي البلاغي، لا يطغى أحدهما على الآخر".¹⁴⁷

فقد كانت الإنسانية في عصر البعث في طريق الانتحار، وكان الإنسان في هذا القرن قد نسي خالقه، ونسي نفسه ومصيره وفقده رشده، وقوة التميز بين الخير والشر والحسن والقبیح. وكان الناس في شغل شاغل وفكر ذاهل لا يرفعون إلى الدين والآخرة رأساً، ولا يفكرون في الروح والقلب والسعادة الأخروية وخدمة الإنسانية، وإصلاح الحال لحظة، وربما كان أقليم واسع ليس فيه أحد يهمله دينه ويعبد ربه لا يشرك به شيئاً، ويتألم للإنسانية ومصيرها اليأس وصدق الله العظيم "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (الروم 41)".¹⁴⁸

¹⁴⁷ السيرة النبوية، الشيخ الندوي، ص 18.

¹⁴⁸ المصدر السابق، ص 42.

ويقوم المؤلف ببحث مستفيض عن الديانات العظمى السائدة في الجزيرة وما جاورها من البلاد في القرن السادس المسيحي مثل اليهودية والمسيحية والبوذية. وأصبحت الديانات العظمى وشرائعها القديمة فريسة العابثين والمتلاعبين، ولعبة المحرفين والمنافقين وعرضة الحوادث الدامية والخطوب الجسمية حتى فقدت روحها وشكلها. فلو بعث أصحابها الأولون وأنبيأؤها المرسلون من جديد أنكروها وتجاهلوها. وأصبحت اليهودية مجموعة من طقوس وتقاليد لا روح فيها ولا حياة، وهي بصرف النظر عن ذلك ديانة سلالية، لا تحمل للعالم رسالة ولا للأمم دعوة ولا للإنسانية رحمة. وانحطت إلى حضيض الفوضى الخلقى اليوم. وأخطر داهية أصيبوا به هو فقدان عقيدة التوحيد التي كانت شعار الأنبياء والتي وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب. وكان تلمود بابل الذي كان يبالغ اليهود في تقديسه، يفضلونه على التوراة أساسهم أولاً، وكان متداولاً بينهم في القرن السادس المسيحي. وهو أيضاً يدل على عمق انحطاطهم الأخلاقي والديني. وأما المسيحية فقد امتحنت بتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ووثنية الرومان المنتصرين منذ عصرها الأول، وأصبح كل ذلك ركاما، دفنت تحته معالم المسيح البسيطة واختفى نور التوحيد وإخلاص عبادة الله وراء هذه السحب الكثيفة.

ويوضح الشيخ الندوي ظهور الوثنية في عقيدة المسيحية باستدلال مستندات المؤرخ المسيحي، الذي يتحدث عن ظهور الوثنية في المجتمع المسيحي في مظاهر مختلفة وألوان شتى، وتفنن المسيحيون في اقتباس الشعائر والعادات والأعياد وأبطال

الوثنية، من أمم وديانات عريقة في الشرك بحكم التقليد والإعجاب أو الجهل، جاء في "تاريخ المسيحية في ضوء العلم المعاصر".

لقد انتهت الوثنية ولكنها لم تلق إبادة كاملة، بل أنها تغلغت في النفوس وتنكر كل شيء فيها باسم المسيحية وفي ستارها، فالذين تجردوا عن آلهتهم وأبطالهم وتخلوا عنهم أخذوا شهيدا من شهدائهم، ولقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تماثلا، وهكذا انتقل هذا الشرك وعبادة الأصنام إلى هؤلاء الشهداء المحليين، ولم ينته هذا القرن حتى عمت فيهم عبادة الشهداء والأولياء، وتكونت عقيدة جديدة، وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وصار هؤلاء الأولياء والقديسون خلقا وسطا بين الله والإنسان، يحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين، وأصبحوا رمزا لقداسة القرون الوسطى وورعها وظهرها، وغيرت أسماء الأعياد الوثنية بأسماء جديدة، حتى تحول في عام 400 ميلادي عيد الشمس القديم إلى عيد ميلاد المسيح".¹⁴⁹

وأما البوذية - الديانة المنتشرة في الهند وآسيا الوسطى فقط تحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت. وتبنى للهيكل، وتتصب تماثيل "بوذا" حيث حلت ونزلت".¹⁵⁰

¹⁴⁹ Rev: James Hoaston Bzxtter – the history of Christianity in the Light of modern knowledge.

¹⁵⁰ كتاب اكتشاف الهند، جواهر لال نهرو، ص 201 - 202.

وأما المجوس فقد عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية أعظمها النار، ثم عكفوا على عبادتها، وكان أهل إيران يستقبلون في صلاتهم النار، وقد حلف "يزدجرد" آخر الملوك الساسانيين بالشمس مرة وقال: "أحلف بالشمس التي هي "إله الأكبر" وقد كلف التائبون عن المسيحية عبادة الشمس إظهاراً لصدقهم".¹⁵¹

ثم قام ببحث مسهب عن بيئة البعثة وبلد الدعوة وأسباب اختيار الجزيرة والأمة العربية لحمل هذه الدعوة إلى العالم. ويسأل الندوي قراءه لماذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب. وهو بنفسه يجيب عليه. ويقول إن حكمة الله اقتضت أن تطلع هذه الشمس التي تبدد الظلام وتملأ الدنيا نورا وهداية من أفق جزيرة العرب الذي كان أشد ظلاما وكان أشد حاجة إلى هذا النور الساطع. وكذلك الحكمة في اختيار الجزيرة العربية وأمتها لحمل هذه الدعوة إلى العالم، ولها أسباب كثيرة. ومنها أن ألواح قلوبهم كانت صافية لم تكتب عليها كتابات دقيقة عميقة يصعب محوها وإزالتها، شأن الروم والفرس وأهل الهند الذين كانوا يتيهون ويزهون بعلمهم وآدابهم الراقية، ومدنياتهم الزاهية وبفلسفاتهم الواسعة، وكانت عندهم عقد نفسية وفكرية لم يكن من السهل حلها، أما العرب فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خطتها يدا لجهل والبداءة، ومن السهل الميسور محوها وغسلها ومع ذلك الأمة العربية وهم أصحاب فطرة وإرادة قوية، وإذا التوى عليهم الأمر حاربوه حتى انكشفوا الغطاء عن عيونهم، وأحبوه واختضوه

¹⁵¹ إيران في عهد الساسانيين، بروفييسور آرتهر كرتسن سين

واستماتوا في سبيله ويعبر عن هذه النفسية العربية خير تعبير ما قاله سهيل بن عمرو حين سمع ما جاء في كتاب الصلح في الحديبية "هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك".¹⁵²

ثم ألقى الضوء على وضع مكة الاجتماعي والاقتصادي والخلقي في عهد البعثة، ومع دراسة مدنية يثرب وطبقات العرب وطبيعة أرضها وجغرافيتها ومكانتها وأرضها الاقتصادية والسياسية.

وإذا أمعنا النظر في هذا الكتاب نراه مثالا بديعا لروائع السيرة النبوية والدراسات الصادقة والبحوث العلمية والتربوية والبلاغية والتحقيقات التاريخية، واعتمد على كتب الصحاح وسيرة ابن هشام وزاد المعاد لابن قيم الجوزية والسيرة النبوية لابن كثير. كما أنه طالع المستشرقين ومزاعمهم الباطلة ورد عليهم. ويقول إنه استخدم لهذا العمل أكثر من مائة وعشرين كتابا في التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والأخبار والتراجم وكتب الشريعة الإسلامية والأديان والمذاهب وكتب الأدب والمحاضرات والموسوعات، ومراجع أخرى باللغات الأجنبية، وهذا يدل على مهارته العلمية والأدبية ووفرتة المادية لديه في الموضوع.

¹⁵² صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير بالصلح الحديبية.

وصفوة القول إن السيرة النبوية غنية بجمال ألفاظها ومتانة تراكيبها وورصين أسلوبها وسحرها على نفوس القراء والتأثير في العقول والقلوب. وغنية كذلك بعرض وقائعها بلغة سهلة واضحة وبأسلوب رشيق مؤثر في النفوس. وقد راعى المؤلف فيه الترتيب الزمني للوقعات بحيث يحس القارئ أنه يعاشرها مع صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، وكفى به فخرا قول الدكتور يوسف القرضاوي وقال: "أنه ثمرة مطالعة عميقة طويلة واسعة للشيخ الندوي".

يقول تلميذه الدكتور محمد إجتباء الندوي: الكتاب بمواضيعه الجامعة الشاملة وبمحتوياته الوافرة الكاملة وجمعه الجانبين العلمي والتربوي البلاغي وبأسلوبه الأسر للقلوب والنفوس وبيانه الساحر الجميل الجذاب الخلاب، وبمعلوماته المقارنة والكشوف الحديثة وبخرائطه ومعالمه الجغرافية في السيرة وخصائصه المميزة، جدير بأن ينال خطوة وقبولا ويتبوأ مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والثقافية والدينية والدعوة والحضارة في العالم".¹⁵³

وقد طبع الكتاب أول مرة عام 1396 هـ / 1976 م، وأعيد طبعه مرات وترجم إلى اللغة الأردنية والإنجليزية وغيرها.

¹⁵³ أبو الحسن علي الندوي الداعية الحكيم، محمد اجتباء الندوي، ص 109.

الفصل الرابع: شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض للدكتور سعيد الأعظمي

الندوي

أسهم الدكتور سعيد الأعظمي الندوي في الكتابة والخطابة للدعوة الإسلامية مساهمة مثالية. فدبح يراعه عددا من المصنفات في اللغتين الأردية والعربية، وهي ذات قيمة من حيث المادة والمعنى. ولم يستعمل الكتابة كفن من الفنون كما استعمله الكتاب حسب حاجتهم بل تفرغ لخدمة الدين ونشر الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم.

ومن هذا المنطق جاء اختياري لهذا الكتاب ليكون موضع تحليل في هذه الدراسة. والكتاب يسلط الضوء ساطعا على أربعة شعراء في عصر النبوة، ذوي المواقف المحمودة في الدفاع عن الإسلام ورسوله، وهم: كعب بن مالك وحسان بن ثابت الأنصاري وعبد عبد الله بن رواحة وكعب بن زهير. والمؤلف يبين السبب الذي من أجله يسمى هؤلاء "شعراء الرسول". وكان كعب بن مالك الأنصاري يستخدم نفسه ومواهبه الشعرية في الدفاع عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وعن الدين. وكان يوظف القريض في جاهليته للأغراض التافهة. فلما اهتدى إلى الإسلام أسلم معه شعره، ووقف حياته لخدمة الدعوة الإسلامية، وكان لتربية النبي صلى الله عليه وسلم إياه أثر عظيم في قريضه يشهد به شعره الإسلامي، وكذلك حسان بن ثابت الأنصاري، وعبد الله بن رواحة، جند كلاهما الطاقة الكلامية لنشر الإسلام والدفاع عنه ومدح النبي صلى الله عليه وسلم والرد على الشعراء المشركين وإثارة عواطف المسلمين في

الغزوات ومناسبات الجهاد، والشاعر كعب بن زهير، أيضا قام بدوره في دعم الدين والرسول، مما صار هؤلاء الثلاثة شعراء الرسول دون غيرهم.

ودراسة الشيخ الأعظمي كانت "في ضوء الواقع والقريض" مما يوحي لنا موقفه ومنهجه في العمل. وقد كتبه مقالة لتقديمها لدرجة الدكتوراه.

وشهادة الشيخ أبو الحسن علي الندوي دليلا على فضل هذا الكتاب، يقول في مقدمته: بحث فيه في حياة كل شاعر من هؤلاء الأربعة وشعره المحضرم، وإثبات نماذج منه، وشرح الغامض من كلمات، وبيان المناسبات التي قالوا فيها هذا الشعر واعتمد في الحديث عن هؤلاء الشعراء على كتب التاريخ والتراجم، والأدب والسيرة، مع بحث مقارنة مع الشعر الجاهلي وحديث عن مكانة الشعر في الإسلام، وما زاد الإيمان بالله، واتباع تعاليمه الخلقية، والاحتفال بجانب النفع والهداية، وتفضيله على أشياء الرغبة البشرية والمادية والعاطفة من قيمة، وما أحدثت تلك الميزة من تطور ثوري وبنائي في المملكة الشعرية القريحة والأدبية، وزاد الثورة الأدبية والمكتبة الشعرية قيمة وقامة.¹⁵⁴

والمؤلف بنفسه يشير إلى ظروف تأليفه: "أما قصة هذا الكتاب المتواضع

فيرجع تاريخها إلى عام 1398 هـ / 1978م حينما قرر سماحة أستاذنا ومربينا الجليل

¹⁵⁴ تقديم الكتاب لأبي الحسن علي الندوي، ص 7-6.

العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي لي ولأخي الكبير الأستاذ السيد واضح رشيد الحسيني رئيس تحرير صحيفة "الرائد" رحلة علمية إلى بعض الدول العربية وبالأخص جمهورية مصر العربية حيث كنا نود أن نسجل للدكتوراه في جامعة الأزهر. ولكن الظروف لم تسمح لنا بذلك، وقضينا هناك وقتاً مشغولاً باللقاءات والزيارات العلمية وبالاتصالات برجالات العلم والأدب وكان الغرض منها الاستفادة العلمية والأدبية"

ثم بدا لي بعد العودة من مصر أن أحقق بمشيئة الله تعالى أمنية إعداد كتاب أدبي يكون بمثابة رسالة للدكتوراه عرضت هذه الفكرة على سعادة أستاذنا الشيخ محمد الرابع الحسيني الندوي مدير جامعة ندوة العلماء اليوم فرحب بها كل الترحيب وأشار عليّ أن أقوم بهذا العمل في جامعتنا العربية نفسها : ندوة العلماء".¹⁵⁵

وأوضح المؤلف مكانة هؤلاء الشعراء الدافعين عن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم تاريخياً ونقدياً، وتناول جوانب أدبية وشعرية بالتحليل والمقارنة وإظهار الجوانب الفنية كباحث في تاريخ الشعر وتاريخ الأدب العربي وعرض البيئة والأحداث والمواقع التي ذكر فيها الشعر الإسلامي الفني والخيالي والحسي. وذكر فيها الأسباب لقرض الشعر مقاومة لأعداء الرسول صلى الله عليه وسلم .

¹⁵⁵ المصدر السابق، ص 14.

والشعر في صدر الإسلام في المنظور الديني لم يجبذه النبي والمسلمون لعوامل كثيرة وقد قيل: "أن أحسن الشعر أكذبه" كما أن الله عاب على الشعراء وقوله "والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون." (الشعراء 224-226). وعلى هذا كان يظن الكثير أن لا خير في القريض ولا يناسب محاسن الدين. ولكن الشعر مع ذلك قام بدوره في الخدمات الإسلامية وفي تكثيف حركة البلاغة والأدب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حث الشعراء على قريض الشعر للحق والخير، وقال مرة: "ما يمنع الذين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروهم بألسنتهم". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا". وهكذا مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعراء الدافعين عن الإسلام وأبدعوا في الشعر بأغراضهم المتنوعة. ومع ذلك لم يأذن الرسول في أي حال من الأحوال ليكون الشعر أداة مجون ولهو ومفاخرة.

وإذا تأملنا في الشعر العربي الإسلامي نرى أن الشعراء من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في غاية الحيطة والحذر من أن تقع ألسنتهم في المحرمات، امتثالاً لأوامر القرآن وإرشادات الرسول.

وأوضح المؤلف في أولى صفحات الكتاب مكانة أدب المحضرم في تاريخ آداب اللغة العربية، و هذا الأدب له أهمية وقيمة فنية كبرى. لأن رجاله كانوا ممن أرضعوا بلبان الجاهلية والإسلام. وكان لهم تجربة شعرية بجاهليتهم كما لهم نفوس صافية نقية

بإسلامهم، فجمعوا بين هذين العنصرين. تمسكوا بالنزعات الإيجابية في الحياة القبلية واعتزوا بالتقاليد القومية والافتخار بأمجاد الآباء والدفاع عن شرف النسب، وكل هذا كان على قالب إسلامي. والشعر إذاً آلة لهم لتربية النفس ودعوة الناس إلى الله والدفاع عن الحق والحقائق.

والمخضرم من عاش نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام. يقول السيوطي في شرح التقريب: المخضرم في اصطلاح أهل اللغة: الذي عاش نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام سواء أدرك الصحبة أم لا. ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حيث يذكر طبقات الشعراء. وأصل المخضرم عندهم من أدرك الجاهلية والإسلام. وقال ابن بري أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم بكسر الراء، لأن أهل الجاهلية لما دخلوا في الإسلام خضرموا آذان إبلهم: قطعوا أطرافها وأما من قال مخضرم بفتح الراء فتأويله عنده أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام، وجاء في لسان العرب لابن منظور وأصل الخضرمة أن يجعل الشيء بين بين. وقال ابن خالويه: خضرم خلط ومنه المخضرم بكسر الراء الذي أدرك الجاهلية والإسلام.

والمؤلف يقسم هذا الكتاب إلى أربعة أبواب رئيسية، وكل باب يحتوى على ذكر شاعر من الشعراء المخضرمين وتعريف شعره ويورد نماذج من أشعاره. وهو يقول: "وسنبداً الكلام بمشيئة الله تعالى في الباب الأول عن شاعر الإسلام الأول كعب بن مالك الأنصاري، ويختص الباب الثاني - إن شاء الله تعالى بشاعر الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم، حسان بن ثابت الأنصاري الذي يليه عصرا كاملا، وسيدور الحديث في الباب الثالث حول الشاعر الجليل عبد الله بن وراحة أما الباب الرابع الأخير فسيشمل الحديث عن الشاعر المخضرم كعب بن زهير بن أبي سلمى بإذن الله (ص 30).

كعب بن مالك أبي كعب الأنصاري

كعب بن مالك أبي كعب الأنصاري الذي جمع بين النثر القوي والشعر الجيد، من بني سلمة من الخزرج. ولد بيثرب في 25 عاما قبل الهجرة.

واسمه عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، وكنيته أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو محمد وقيل أبو البشير المدني الشاعر، وأمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة أيضا، شهد العقبة الثانية واختلف في شهوده بدرأ، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة آخى بين كعب وبين طلحة بن عبيد الله حين آخى بين المهاجرين والأنصار".

ولكعب بن مالك الأنصاري شعر قاله في الجاهلية يوم الحرب التي دارت بين

قبيلتين من يهود المدينة وهما من آل الكاهنين فقد قال :

لعمري لقد حكمت رحى الحرب بعدما أطارت لؤيا قبل شرقا ومغربا

بقية آل الكاهنين عزها

فقد ذليلا بعد ما كان أغلبا.

إسلامه: أكرمه الله بالإسلام قبل أن يشهد العقبة وهو في وطنه يثرب، فكان يفتقه الدين ويصلى سراً، وانتهاز فرصة خروج قومه من المشركين في موسم الحج ليبيع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمايته ومنعه مما يمنع منه عائلته. وذلك في شهر ذي الحجة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بشهرين.

فقد جاء في رواية ابن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنشد كعب بن مالك وهو راكب ناقته فأنشد البيتين وما بعدهما من القصيدة.

قضينا من تهامة كل وطر وخبير ثم أغمدنا السيوفا

تخبرها ولو نطقت لقاتل قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لهي أشدّ عليهم من رشق

النبيل" وقال ابن سيرين: فنبئت أن دوسا إنما أسلمت بكلمة كعب هذه.

ويقول المؤلف أن كعب بن مالك شارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

معظم الغزوات، كغزوة أحد وفتح مكة والمؤتة وغزوة الخندق إلا تبوك الذي تخلف عنه

ومعه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، وقد تحدث عنهم القرآن فقال (وعلى الثلاثة الذين

خلفوا) وقرض شعره في كل معركة شاركه النبي صلى الله عليه وسلم، ولاعجب في

ذلك، إن ملكته الشعرية قد نمت وتمهرت بعد إسلامه. وقد فتقت قريحته ورقته شعوره لما رأى من شدة عداوة المشركين وقسوتهم في معارضة النبي صلى الله عليه وسلم ودحض دعوته، فقام يرد على شنانهم وبغضهم بالشعر. وكان معروفاً بين العربي بشاعريته الفائقة.

ويحسن بنا أن نقف قليلاً عند مشاركته مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعاطي شعره في المناسبات المختلفة على حسب الوقائع والأحداث، كما سرد المؤلف إسهامه في أحد وقال: حضر كعب بن مالك في غزوة أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاض مأزق الحرب وأبلى فيها أحسن بلاء ولم يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل معه حتى في أصعب أوقات الحرب وأشدّها بلاء. ولما انتقضت صفوف المسلمين في المعركة ووقعت الهزيمة انتهز الفرصة إبليس ونادى عند جبل عينين "إن محمداً قد قتل... وقتل مصعب بن عمير وبيده اللواء وتفرق المسلمون... فكان أول من بشرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم سالماً كعب بن مالك، فجعل يصيح رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليه بأصبعه على فيه أن اسكت ودعا بلأمة كعب وكانت صفراء فلبسها ونزع لأمته فلبسها كعب وقاتل حتى جرح سبعة عشر جرحاً لشدة قتاله.

أورد المؤلف نماذج كثيرة من شعره في أحد، وردّه على شعر هبيرة بن أبي وهب الذي كان شاعراً من قريش شديد العداوة لله ورسوله. وفيما يلي بعض نماذجه.

سقنا كنانة من أطراف ذى يمن عرض البلاد على ما كان يزجيهها

قالت كنانة : أنى تذهبون بنا؟ قلنا :النخيل فأموها ومن فيها

نحن الفوارس يوم الجر من أحد ها بت معد فقلنا : نحن نأتيها

فرد عليه كعب بن مالك بقصيدة طويلة ذات ثمانية وأربعين بيتا ومنها:

الآ هل أتى غسان عنا ودونهم من الأرض خرق سيره متنع

صحار وأعلام كأن قتامها من البعد نقع هامد متقطع

تظل به البزل العراميس رزحا ويخلو به غيث السنين فيمرع.

وأسهم كعب بن مالك في حفر الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،

يحفر ويرتجز، وهو في ذلك الوقت ساهم جسميا وذهنيا ليساعد المسلمين. وله قصائد

عديدة أخرى يوم الخندق مثل:

لقد علم الأحزاب حين تألبوا علينا وراموا ديننا مانوادع

أضاميم¹⁵⁶ من قيس بن عيلان اصفقت وخندف لم يدروا بما هو واقع

¹⁵⁶ أضاميم ج أضمامة : جماعات انضمت بعضها مع بعض.

يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمن راء وسامع

إذا غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصرمن الله واسع

وذلك حفظ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع

هدانا لدين الحق واختاره لنا ولله فوق الصانعين صنائع

وقال كعب بن مالك أبيات في يوم خيبر

ونحن وردنا خبيرا وفروضه بكل فتى عاري الأشاجع مذود

جواد لدى الغايات لا واهن القوى جريئ على الأعداء في كل مشهد

عظيم رماد القدر في كل شتوة ضروب بنصل المشرفي المهند

يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزا بأحمد

يذود ويحمى عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد

وينصره من كل أمر يريبه يجود بنفس دون نفس محمد

يصدق بالأنباء بالغيب مخلصا يريد بذاك الفوز والعز في غد

وقال أيضا في غزوة مؤتة

جرت معركة مؤتة في السنة الثمانية، واشتشهد فيها زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، وفاضت الدموع غزيرة من أعين المسلمين كما فاضت قريحة أشعارهم. والشاعر كعب بن مالك تفجر حزنا وأنشد:

نام العيون ودمع عينك يهمل سحا كما وكف الطباب المخضل

في ليلة وردت علي همومها طورا أحن وتارة أتململ

واعتادني حزن فبت كأنني ببناات نعش والسماك موكل

وكأنما بين الجوانح والحشا مما تأو بني شهاب مدخل

وجدا على نفر الذين تتابعوا يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا

صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

فمضوا أمام المسلمين كأنهم فنق عليهن الحديد المرفل

إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول.

وقصيدته في رثاء سيد الشهداء تحتوى معانى الألم والحزن الذي ينبعث من

قلب الشاعر الكئيب، كما فيها معانى السرور الفرح بالشهادة التي أكرمها الله بها، فهو

يدخل الجنة والمشركون مأواهم النار وهو يقول:

طرقت همومك فالرقاد مسهد

وجزعت أن سلخ الشباب الأعيد

ودعت فؤادك للهوي ضمرية

فهواك غوري وصحوك منجد

فدع التمادى في الغواية سادرا

قد كنت في طلب الغواية تفند

ولقد أتى لك أن تنهى طائعا

أو تستفيق إذا نهاك المرشد

ولقد هددت لفقد حمزة هدة

ظلت بنات الجوف منها ترعد.

وقال أيضا في رثاء رسول صلى الله عليه وسلم

يا عين فابكي بدمع ذرى

لخير البرية والمصطفى

وبكى الرسول وحق البكاء

عليه لدى الحرب عند اللقا

على خير من حملت ناقة

واتقى البرية عند التقى

على سيد ماجد جحفل

وخير الأنام وخير اللهها

له حسب فوق كل الأنا

م من هاشم ذلك المرتجى

نخص بما كان من فضله

وكان سراجا لنا في الدجى

وكان بشيرا لنا منذرا

ونورا لنا ضوءه قد أضأ

ونجي برحمته من لظى.

فانقذنا الله في نوره

حسان بن ثابت الأنصاري

أبو الوليد حسان بن الثابت الأنصاري المولود ببثر ب عام 563 م، أشعر الشعراء المخضرمين، وأحسنهم دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحا له وأمنعهم لحوزة الإسلام وعزته حتى عرف بشاعر الرسول.

وكانت أسرته تيم اللات من بني نجار في الجاهلية، فبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم تيم الله لئلا يكون في أنساب الأنصار تيم اللات، وهو من الخزرج ويصل بنسبه إلى يعرب بن قحطان من اليمن، وأمه الفرعية بنت خالد بن قيس بن لوزان من الخزرج، وأسلم حسان وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ونراه يرحب بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع أهل المدينة. فانضم بذلك إلى هذه الأسرة المؤمنة الجديدة التي كانت تعتبر درعا للدعوة الإسلامية في هذا المجتمع الجديد، وهكذا صار حسان رضي الله عنه سلاحا قويا وشجاعا نادرا في الدفاع عن الإسلام ولقبه بشاعر الرسول يزيده بهاء وشرفا لشخصيته.

ويقول المؤلف إن إسلام حسان بعد أن قضى ستين عاما في جاهليته، فتح الأبواب واسعة لنشر الدين في ربوع المدينة وبين قبائلها. وكان في أشعاره سفيرا للدعوة الإسلامية. وقويت جبهة الدفاع عن الدين، وكان لأشعاره وقع حاد في القلوب، يجرح

¹⁵⁷المنكرين ويحنو على المؤمنين. وهي أشد وقعا من السيوف. وقد تأثر كثيرا بالقرآن وأسلوبه وبدأ يلمح ذلك في أشعاره كما يشير إليه عمر فروخ وقال " اكتسب شعر حسان في الإسلام كثيرا من العذوبة والإخلاص وكثرت فيه التعبيرات الإسلامية والافتباس من القرآن الكريم وحسان خليق أن يسمى رأس البديعين فهو الذي بدأ فن الشعر في المديح النبوي الشريف".¹⁵⁸

ويذكر المؤلف وقت وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حيث استقبله الأنصار بكل حفاوة، وقد حقق وصوله الأخوة العظيمة بين المهاجرين والأنصار. وتحرق قريش غيظا وحقدًا على المسلمين حين رأوا إيثار الأنصار للمهاجرين. ولم يكن الأنصار أقل شأنًا في مواقفهم المخلصة نحو النبي والإسلام، وقد قال لهم الرسول: ما يمنع الذين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم، فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: و الله ما يسرني به مقول من بصرى وصنعاء، فقال كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال أسلك كما تسلك الشعرة من العجين، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة.

¹⁵⁸ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ص 326.

هذا إلى جانب إيثاره قومه، ونراه دائما يفتخر بمحاسنهم ومناقبهم وصفاتهم
العالية، ويشيد بفخر ويقول إنهم تشرفوا بشرف المدينة كما هي تشرفت بوجودهم.
ويذكر أيضا تجارب حسان الشاعر مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته .
كما يمدح المسلمين في حسن تعاملهم مع الآخرين ومسانداتهم المخلصة للرسول. وهو
يقول في قصيدته الميمية التي تحتوي على أربعة وثلاثين بيتا، ومنها :

أولئك قومي فإن تسألني

كراما إذا الضيق يوما ألم

غظام القدور لأيسارهم

يكبون فيها المسن السنم

يواسون مولاهم في الغنى

ويحمون جارهم إن ظلم

وكانوا ملوكا بأرضيهم

يبادون غضبا بأمر غشم

ملوكا على الناس لم يملكوا

من الدهر يوما كحل القسم.

وقد تأثرت المسلمون بهذه القصيدة بالغا، إذ وجدوا الفرصة لتكريم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد اطلعت قريش على هذه العواطف التي أظهرها
الأنصار إزاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة حسان بن ثابت الذي وضع
مقدرته الشعرية في تثبيت الإسلام ونصر الدعوة، وقد كبر على المشركين أشعار

حسان، وكادوا لا يصبرون عليه. ولما ضاقوا به ذرعا لجأوا إلى هجائه، واستعانوا
بشاعرهم أمية بن خلف الخزاعي، وقام هو بهجاء حسان وهو يقول:

الأمّن مبلغ حسان عنى الرسالة مغلطة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فشلا في الحفاظ

يمانيا يظل يشد كبرا وينفخ دائما لهب الشواظ

ولم تكن قناة حسان تلين أمام هذه التذمرات فأجاب فوراً:

أتاني عن أمية زور قول وما هو بالمغيب بذى حفاظ

سأنشر إن بقيت لكم كلاما ينشرفي المجامع من عكاظ

قوافي كالسلام إذا استمرت من السم المعجرفة الغلاظ.

دور حسان في مفاخرة وفد بني تميم

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وفد بني تميم، وفيهم
كبار رؤسائهم الكبار وأشعر شعرائهم وأصقع خطبائهم. جاؤوا لبيعنوا الرعب في قلوب
المسلمين ببلاغة كلامهم، ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته
وهم في نشوة الانتصار، أن اخرج إلينا يا محمد، مما تأذى به رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وقد كانوا في عدتهم الكاملة لمقاومة النبي صلى الله عليه وسلم في المجال الأدبي وتحديثه. وتأكدوا أنهم سيتغلبون عليه، وهناك طلب النبي صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت ليرد على شاعرهم الكبير الزبيرقان بن بدر الذي أنشد بفخر قومه:

نحن الملوك فلا حي يقاربنا منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

وننحر الكوم عبطا في منازلنا للنازلين إذا ما اسطعموا أشبعوا

ونحن نطعم عند القحط ما أكلوا من العبيط إذ لم يظهر القزع.

فأجابه حسان بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الذوائب من فخر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمير الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا.

وإذا تصفحنا هذا الكتاب نرى المؤلف يشير إلى ثلاثة جوانب هامة في شخصية

الشاعر. فشعره الجاهلي يمثل شخصيته القومية، والثاني قصيدته المخضرمية، والثالث

شعره الإسلامي الدافع عن الدين. كان يرتجل ويهيم في خيال سماء الشعر ويجول في

مضماره منذ صغره إلى أن مات. ويرد على أعدائه ردا قاسيا. ولم يسعهم أمام تأثير

شعره إلا أن يسلموا ويخضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به الدين والشريعة.

كان لحسان بن ثابت ثقة عالية ومكانة كبيرة عند قومه في الجاهلية وعند النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام، وقد شهد النقاد بعلو مكانته الشعرية، يقول أبو عبيدة "أجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر".¹⁵⁹

وروي عن أبي عبيدة أيضا قال: فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.¹⁶⁰

وقال الأصفهاني: "حسان فحل من فحول الشعراء"¹⁶¹.

شخصيته القومية في شعره الجاهلي

أكد المؤلف أن شعر حسان الجاهلي ذو قيمة أدبية كبيرة في تاريخ الشعر الجاهلي. فهو يعد ثروة شعرية في الأدب الجاهلي، ولذا اعتبره النقاد والمؤرخون في الطبقة الأولى من الناحية الفنية بفضل ارتجاله البديع ومواهبه الفياضة، وقد شهد بعلو

¹⁵⁹ الاستيعاب، ابن عبد البر.

¹⁶⁰ كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني.

¹⁶¹ المصدر السابق.

كعبه الشعراء شعراء الجاهلية كالنابغة الذبياني والحطيئة والأعشى، ولما سمع النابغة
الذبياني شعر حسان قال له: إنك لشاعر، وكان الأعشى من أصدقاء حسان وشهد له
بتفوقه الشعري.

ولم يترك حسان في الجاهلية أي فن من فنون الشعر إلا وقد أبدع فيه، مما
يجعل شعره مرآة صافية لآثار الجاهلية ويصور جوانب الفخر والحماسة والمدح والغزل
والوصف والهجاء، إلى جانب اعتزاه بمفاخر القبيلة.

نرى أهم أعراض الشعر الجاهلي الفخر الذي تغلب على أمجاد قبائلهم وأنسابهم،
وامتدت بينهم حروب دائمة دامية إلى إحقاب طويلة وخاصة بين الخزرج والأوس،
وكان حسان من أنصار الخزرج وشارك فيها بلسانه الفياضة، ولذا نرى شعره في الغالب
على فخره كما أشار إلى هذا الجانب المهم في حياة الشاعر الدكتور محمد طاهر
درويش "كان بيت حسان في بني النجار بيت رئاسة وشرف وبيئة شعر ولسن، وإن
هذه حياة بما فيها قد أثرت في حسان وأثر فيها، ولذلك كان شعره أول الأمر دائرا بين
تصوير عواطفه ولذاته في الشراب والغزل وبين الافتخار بمظاهر هذه السيادة في قومه
والهجاء لإعدائهم.

فإن شعور حسان بمجد آبائه ومفاخر قومه وشدة حاجته إلى التنويه بهذه المناقب العالية والوقوف إلى جانب الخزرج في حروبهم الطاحنة مع الأوس، وكان داعياً إلى شيوع الفخر وغلبته على أكثر ما أثر له من الشعر...¹⁶²

نماذج تفوقه في الشعر الجاهلي

عدد من قصائده الجاهلية تجمع بين الاعتداد بالنفس وبيان مفاخره ومفاخر قومه ونسبه ووصف ناقته، ثم الغزل والإفاضة مع الحبيبة في مناجاته معها وبيان محاسنها، والعودة إلى فخر بني النجار في نهاية القصيدة، يقول:

إن النضيرة ربة الخدر أسرت إليك ولم تكن تسرى

فوقفت بالبيداء أسألها أنى اهتديت لمنزل السفر

والعيس قد رفضت أزمتهما مما يرون بها من الفتر

وعلت مساوئها محاسنها مما أضربها من الضمر

كنا إذا ركد النهار لنا نغتا له بنجائب صعر

¹⁶²حسان بن ثابت، دكتور محمد طاهر درويش، ص 232-233.

وأشهر قصيدة قالها حسان بن ثابت في الفخر بوالده والاعتزاز بنفسه وأهله.
وهو يخاطب فيها بني النجار ويحذرهم من البغى ومصيره، ويناشدهم بالله أن يذكروا
أفعال والده الجليلة من الكرم وكف المعتدين عن المظلومين وتقديم العون لكل عان،
وتحتوى هذه القصيدة على واحد وعشرين بيتا يقول :-

نشدت بنى النجار أفعال والدي إذا لم يجد عان له من يوازعه.

قصيدته المخضرمة

وأشعاره المخضرمة بدأها في الجاهلية وأتمها في الإسلام. وهي القصيدة الأولى
من ديوانه في قافية الهمزة ومطلعها وقال :-

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بنى الحساس قفر تعفيها الروامس والسماء

وكانت لايزال بها أنيس خلال مروجها نعم وثناء

فدع هذا، ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء

لشعشاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء

كان سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء.

نرى هذه القصيدة مطلعها بالغزل كعادات الشعراء الجاهليين، ثم يتدرج الشاعر إلى ممدوحه، لأن الشاعر الجاهلي يتميز بذكر الحبيب وآثارها ومواضعها وطبيعتها وبوصف الناقة وكل مرئي في عينه.

والمؤلف يستعرض مناقب حسان الشعرية وخصوصا وصف الحبيبة، وهذا الحب رغم أنه غير حقيقي، إلا أنه بلغ في الوصف غايته، في وصف الجمال والمحاسن، في الإقامة والترحال، وآثار المنازل، وتوحش المنازل حين تركها الأهل والعيال، والمناظر الطبيعية التي تحيط بها. كل هذا الكلام يجعل شخصية حسان ذات ملامح جامعة في الشعر الجاهلي.

ثم الشاعر يتحوّل من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، يتدرج إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويدافع عنه ورسالته. وقد آمن بكل قلب أن الإسلام سينتصر على الكفر وتضيئ به وجوه المسلمين، وتشتمل هذه الأبيات على معانى الفخر والاعتزاز بالدين وهجاء المشركين وخاصة أبا سفيان بن الحارث، يقول:

تشيرانقع موعدها كداء

عدمنا خيلنا أن لم تروها

على أكتافها الأسل الظماء

يبارين الأعنة مصعدات

تلطمهن بالخمير النساء.

تظل جياندا متمطرات

وقد تحققت هذه النبوة يوم فتح مكة، إذ جرت خيول المسلمين تثير النقع وبلغت
الثنية العليا بمكة تسمى بـ"كدا". وهي حاملات على أكتافها الرماح الصلبة التي كانت
تترقب الري بدماء المشركين، ووقفت نسوة المشركين يرمين خمريهن على أعين الخيول
لكي يردنها عن غايتها، وذلك ما عبر عنه الشاعر بتلطيم الخيل، ثم تفاخر الشاعر
بفخر الإسلام وبأمين الوحي فقال:-

وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله: قد أرسلت عبدا يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم: لانقوم ولا نشاء.

وقال الله: قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء.

ثم يتظاهر الشاعر بالفخر والاعتزاز بالإسلام وبأمين الوحي ورسول الإسلام.

ولا يترك شيئا من معانى الهجو والتهديد والتحدى والفخر والترغيب والترهيب .

شعره الإسلامي والدفاع عن الإسلام

يوضح المؤلف أن حسان بعد إسلامه أصبح شاعرا فذا، ولم يوجد من شعراء العرب في الإسلام من يتجسد فيه مواهبه الشعرية في الدفاع عن الإسلام. وقد دعا إلى الدين بكل فنون الكلام، فهد وضع طاقاته الكلامية ومؤهلاته الفنية في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته والذود عنه ومدحه والاعتزاز به.

وإن قريحته الشعرية حافلة بصحبته مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المناسبات الدينية الخالصة. ويعتبر قريضه بهذا المضمار شعرا قويا حافلا بالروح والتأثير، وقد استعمل فيه الفنون الكلامية كلها من الغزل والفخر والهجاء والمدح والثناء والوصف والحكمة والرد على الأعداء، والدفاع عن الإسلام والدعوة الإسلامية حتى فاق في شعره الإسلامي جميع الشعراء المخضرمين كيفما وكما.

وقد علمنا أن حسان رضي الله عنه تعاطى الشعر في كل مناسبات الأحداث والوقائع التي وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وارتفعت حميته ففاض الشعر من أعماق قلبه وعجز أعداء الإسلام عن مقاومته. وخاصة في الغزوات، وقد أعطاه الله القوة الشعرية بدلا لقوة السلاح.

وفيما يلي ما قاله يوم بدر، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين أن يطرحوا في القليب، ووقف عليهم الرسول وقال " يا أهل القليب هل وجدتم

ما وعد ربكم حقاً؟، فإنني قد وجدت ما وعد ربي حقاً. وقد أثار الموقف معانى شعرية جميلة في نفس حسان بن ثابت. فقال :-

عرفت ديار زينب بالكثيب	كخط الوحي في الرق القشيب
تعاورها الرياح وكل جون	من الوسمي منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست	يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم	ورد حزازة الصدر الكئيب
وخبر بالذي لاعيب فيه	بصدق غير أخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر	لنا في المشركين من النصيب
غداة كان جمعهم حراء	بدت أركانه جنح العيوب
فوافيناهم منا بجمع	كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد أزروه	على الأعداء في لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات	كل مجرب خاطى الكعوب
بنوا الأوس الغطارف أزورها	بنو النجار في الدين الصليب

فغادرنا أبا جهل صريعا وعتبة قد تركنا بالحبوب

وشيبة قد تركنا في رجال ذوي حسب إذا نسبوا نسيب

يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب

ألم تجدوا حديثي كان حقا وأمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب

قول حسان في مناسبة غزوة أحد

شارك شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد وأسلحته الشعر، وذاد
عن الإسلام والمسلمين، ولما هاج الشعراء المشركون بهجائهم وفخرهم على المسلمين،
رد عليهم بشعره القوي المتين، مما كان لأسلوبه تأثير إيجابي في قلوب الأعداء. وقد
بكى على شهداء أحد ورثى سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه. وقصيدته الميمية يذكر
فيها عدد أصحاب اللواء يوم أحد يفتخر بنفسه وبأبيه وخاله ويهجو الزبيري وقد بدأ
القصيدة كعادة ذكر الحبيب والهموم والأحزان ومطلعها.

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أضاف قلبك منه سقم فهو داخل مكتوم

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم

وحين استشهد حمزة رضي الله عنه بدأ يبكي عليه وقال :-

أصحاب أحد عالمهم دهر ألم له جوارح

من كان فارسنا وحا مينا إذا بعث المسالح

يا حمزة لا والله لا أنساك ما صر اللقائح

لمناخ أيتام وأضياف وأرملة تلامح

ويقول في مدح النبي وراثته:

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله أسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد.

وفي الرثاء يقول:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تتمحى الآيات من دار حرمة بها منبر الهادى الذي كان يصعد

وواضح آيات وبقى معالم وربع له فيه مصلى ومسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد .

عبد الله بن رواحة الأنصاري

وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلب بن امرئ القيس بن عمرو الخزرجي ، يكنى

أبا محمد وقيل أبا رواحة، وأمه كبشة بنت واقد.

ويقول المؤلف إنه شاعر كبير مرتجل، وكان حاضر البديهة سريع القول، ويقول

هشام بن عروة عن أبيه قال سمعت أبي يقول: ما سمعت أحدا أجراً ولا أسرع شعراً

من عبد الله بن رواحة. سمعت رسول الله صلى الله يقول له يوماً: قل شعراً تقتضيه

الساعة، وأنا أنظر إليك فانبعث مكانه يقول:-

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب لقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبت موسى ونصراً كالذي نصرُوا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة. قال هشام

فثبته الله أحسن الثبات فقتل شهيدا، وفتحت له الجنة فدخلها.

وأخرج أبو يعلى بسند حسن عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو

يقول:-

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقلبه ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا بن رواحة أفى حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه

وسلم تقول هذا الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّ عنه يا عمر فوالذي

نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل.

مكانته الشعرية في الجاهلية

وكان شاعرا مفلحا ذا منزلة عالية وسيدا كبيرا في قومه بني الحارث بن الخزرج،

وشعره الجاهلي ذو قيمة شعرية جيدة، يفتخر فيه بقومه وله مناقضة شعرية مع قيس

بن الخطيم وخاصة في الحروب بين الأوس والخزرج، أشار إليها ابن سلام الجمحي

في "طبقات فحول الشعراء" ويقول: وعبد الله بن رواحة عظيم القدر في قومه، سيد في الجاهلية، شهد بدرا وكان في حروبهم في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم.

وكان عبد الله بن رواحة أحد أصحاب المذاهبات من الخزرج. وقد استمرت الحروب بين الأوس والخزرج نحو قرن، والشعراء فيها دافعوا عن قومهم وقبيلتهم. وابن رواحة بلغ في هذا المضمار ما لم يبلغه معاصروه.

أورد الكاتب لهذا دليلا عن قول ابن الأثير في تاريخه "الكامل" عن الأوس والخزرج وأسباب الخلاف بينهما ويقول.

الأنصار لقب قبيلتي الأوس والخزرج، لقبهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إليهم. وهم الذين منعه ونصروه، وأم الأوس والخزرج قبيلة بنت الكاهل بن عذرة بن سعد، ولذلك يقال لهم أبناء قبيلة، وأقامت الأوس والخزرج في يثرب حيث كان بعض قبائل اليهود. وأول حرب بينهم حرب سميرالتي امتدت طويلة، ورثوا بذلك الحقد والبغض. وقد أنجبت القبيلتان شعراء.

لما سمع عبد الله بن رواحة بهذه القصيدة التي أثارت فيه روح الحمية والمهاجاة ضد العدو، نقض قصيدة قيس بن الخطيم بقصيدة مماثلة، بدأها بالغزل وبذكر الحبيبة :

وكانت تيمت قلبي وليدا

تذكره بعد ما شطت نجودا

كذى داء يرى في الناس يمشى ويكتم داءه زمنا عميدا

مكانته الشعرية في الإسلام

أسلم قبل بيعة العقبة ومع رجال بنى قومه وهو ممن شهد بيعة العقبة. وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان في مكة نفر من شعراء المشركين تصدوا لهجوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد المسلمين بالنقمة والعقاب، ومنهم عبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص فوجب على شعراء المسلمين أن يرد عليهم أقوى من شعرهم، واختار النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من شعراء المدينة للرد والدفاع، فإذا بحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، ليعرضوا أنفسهم للقيام بهذه المهمة. ودعا لهم بالتوفيق والبركة.

في الميدان الجهاد والقتال

يشهد صفحات التاريخ أن عبد الله بن رواحة كان من أشد الناس حرصا على المشاركة في الجهاد بنفسه، ركب في ركاب النبي صلى الله عليه وسلم للقتال وكان يتمنى أن يرزقه الله الشهادة في سبيله. وشارك في موقعة بدر وأحد والخندق والحديبية والخيبر وعمره القضاء. وكان صاحب لواء في غزوة مؤتة، أكرمه الله فيها بالشهادة.

وكانت غزوة بدر من أكرم الغزوات والمشاهد، وهي التي أنزل الله الملائكة الذين قاتلوا المشركين وحضرها كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وفيهم عبد الله بن رواحة.

لما استشهد حمزة رضي الله عنه وقد مثله المشركون، فاض قريحة شعره، وأراد أن يعزى رسول الله عليه، وقال:

بكت عيني وحق لها بكاهما
وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا
أحمزة اذاك الرجل القليل .

كعب بن زهير بن أبي سلمى

مكانته في الشعر المخضرم

يستعرض المؤلف سعيد الأعظمي في الباب الأخير الشاعر المخضرم كعب بن زهير، ويقول إن الأدب المخضرم لا يتجمل إلا بذكر كعب بن زهير. وشعره الخصب يدل على ذلك. وهو من أسرة ذات شهرة شعرية منذ القدم. ومكانته عالية وأصيلة، كان أبوه زهير أشعر الشعراء وأحد فحول المعلقات، يدل عليه قول عمر بن الخطاب حيث قال: انشدوني لأشعر شعرائكم. قيل: من هو؟ قال: زهير، قيل: وبما

صار كذلك؟ قال: كان لا يعاقل بين القول ولا يتبع وحشيّ الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه وهو القائل: -

إذا اتبدرت قيس بن غيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرر سبوق إلى الغيات غير مخلد

ويبين المؤلف أن كعب بن زهير فاق والده الشاعر في غزيرة مادته وبديهة كلامه وعلو قريحة شعره. يشير إليه ما رواه أبو الفرج الأصفهاني من قصته مع أبيه في قرص الشعر. قال أخبرني أحمد بن عبد الغزير الجوهري وحبیب بن نصر المهلي قالاً: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن الصباح عن هشام عن إسحاق بن الجصاص قال قال زهير بيتاً ونصفا ثم أكدى فمر به النابغة الذبياني قال له أبا أمامة أجز فقال: وما قلت؟ قال: قلت.

تزيد الأرض إما مت خفا وتحيا إن حييت بها ثقيلاً

نزلت مستقر العرض منها

أجز قال: فأكدى والله النابغة وأقبل كعب بن زهير وأنه لغلام. فقال أبوه أجز يا بني. فقال: وما أجز؟ فأنشده فأجاز النصف بيت فقال :-

وتمنع جانبها أن يزولا فضمه زهير إليه وقال: أشهد أنك ابني¹⁶³

وقد مال بعض الأدباء والنقاد إلى أن كعب بن زهير أشعر من أبيه وقد سئل
خلف الأحمر: زهير أشعر أم ابنه كعب؟ قال لولا أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت: إن
كعبا أشعر منه.¹⁶⁴

وقد نال زهير هذه القدرة الفائقة في قرض الشعر وصناعته وراثيا، إذ كان والده
زهير وجده أبو سلمى وعمته سلمى والخنساء وخال أبيه بشامة وأولاد عمته تماضر
وصخروأخوه بجير وولده عقبة وحفيده العوام بن عقبة، كلهم من زعماء القريظ وأمرء
البيان.

ويشير المؤلف إلى أن زهير بن أبي سلمى قد أوصى بنيه باللحوق بنبي آخر
الزمان الذي سيظهر بعد موته، وأمرهم بالإيمان به، وفي رواية الأصفهاني في كتابه
"الأغاني" نرى: إن زهيراً كان نظاراً متوقياً، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه فحملة إلى
السماء حتى كاد يمسخها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قصى رؤياه
على ولده فقال: إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء، فإن كانوا تمسكوا
به وسارعوا إليه، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم خرج إليه بجير بالمدينة وكان

¹⁶³ كتاب الأغاني طبع مؤسسة جمال لطباعة والنشر بيروت

¹⁶⁴ الشعر والشعراء، ابن قبيبة، ص 73.

من خيار المسلمين، وشهد يوم الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم خيبر
ويوم حنين".¹⁶⁵

بجير بن زهير يحرض أخاه على قبول الإسلام

يؤيد ذلك ما رواه ابن هشام في سيرته عن أمر كعب بن زهير: "لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه من الطائف كتب بجير إلى أخيه كعب بن
زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة، ممن كانوا يهجونه
ويؤذونه، وإن من بقي من شعراء قريش ابن الزبيري، وهبيرة بن أبي وهب. وقد هربوا
في كل وجه فإن كانت لك حاجة في نفسك فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض، ولكن
كعبا قال:

الآ أبلغا عني بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك دلكا

على خلق لم ألف يوما أبا له عليه وما تلقى عليه أبا لكا

فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قائل إما عثرت لعا لكا

¹⁶⁵ كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني.

سقاك بها المأمون كأساً روية فانهلك المأمون منها وعلكا.

قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا: هو مقتول.

ولم يلبث أن صار عناده إيمانا وإعراضه إقبالا، وبدأ يقول في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر فيه خوفه وإرجافه وأعمال الوشاة عليه، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت به معرفة من جهينة، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الصبح وصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار له إلى الرسول فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه. فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إليه. فوضع يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه. فقال: يا رسول الله إن كعبا بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، قال ابن إسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: إنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فإنه قد جاء تائبا نازعا (عما كان عليه) قال: فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبه، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير فقال في قصيدته التي قالها حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مطلعها.

متيمم إثرها لم يفد مكبول

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول

ولكعب بن زهير أبيات قالها في خليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي

الله عنه.

أترجوا اعتذاري يا ابن أروى ورجعتي عن الحق قد ما غال حلمك غول

وإن دعائي كل يوم وليلة عليك بما أسديته لطويل

وإن اغترابي في البلاد وجفوتي وشتمي في ذات الإله قليل.

وله قصيدة قالها في مدح سيدنا علي بن أبي طالب ومطلعها .

هل حبل رملة قبل البين مبتور أم أنت بالحلم بعد الجهل معذور

ما يجمع الشوق إن دار بنا شحطت ومثلها في تدايني الدار مهجور

نشفي بها وهي داء لو تصاقبنا كما اشتقى بجياد الخمر مخمور

وله قصيدة طويلة تظهر فيها مهارته الشعرية وطرافة الفنية يصور فيها الدمن

والأطلال، ويصف الناقة ورعاة الإبل والغنم ومطلعها:

أمن دمنة الدار أقوت سنينا بكيت فظلت كئيبا حزينا

بها جرت الريح أذ يا لها فلم تبق من رسمها مستبينا

وصفوة القول إن الكاتب القدير الدكتور سعيد الأعظمي الندوي يفتح أمام الباحثين آفاق الشعرية الإسلامية من خلال عرضه لهؤلاء الشعراء الأربعة المعروفين بدفاعهم عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم. ويؤكد المؤلف أن الشعر ليس أداة للتسلية واللهو والفخر والمجون، وإنما هو أدب بريء لم يخلق لمثل هذه الأعراس السافلة والغايات الخسيسة، ومع ذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء الإسلام الذين ينبعث من أعماق قلوبهم حمية الإيمان الخالص والبغض والحق على الكفر، ليفجروا قريحة شعرهم للدفاع عن الإسلام والرسول وبالهاء المقذع على أعداء الإسلام.

وهذا الكتاب الذي ألفه الشيخ الأعظمي لعمل جليل وثمره جهود متضافرة لاكتشاف محاسن الأدب الإسلامي، وكان يهدف إلى التركيز للعالم المثقف أن الأدب الإسلامي لكفيل بتصقيل المشاعر وتصفية القرائح، ولا يحتاج الإنسان إلى السفساف الأدبية والترهات الفنية التي كان يكب عليها الجاهليون، والتي كاد يميل إليها الأدب المعاصر. والكتاب ليبقى رمزا صادقا على تقانيه المخلصة وحب استطلاعها على المعلومات الطرية التي تحمل للقارئ كل نفع وفائدة. ويؤكد أن مذهب "الأدب للأدب" لا طائل تحته، وأن الخير كل الخير حين نوظف الأدب شعره ونثره للقيم المثلى وإحياء الإنسانية والعدالة. كما يتميز هذا الكتاب من حيث سهولة الألفاظ وجزالة الكلمات ورشاقة الأسلوب.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً وهو الذي أتاح لي الفرصة لإكمال هذا البحث العلمي، وإني قد وفيت هذا المقصود قدر طاقتي، وأتمنى من الله السميع العليم أن تكون هذه الرسالة دليلاً للباحثين في الدراسات الأدبية في قادم الأيام.

هذه الأطروحة في خمسة أبواب، ومقدمة، والباب الأول: اللغة العربية وآدابها في الهند في فترات الحكم الإسلامي. والباب الثاني: ندوة العلماء والتقدم اللغوي والعلمي في الهند. والباب الثالث: مساهمات دار العلوم ندوة العلماء في تطور اللغة العربية وآدابها. والباب الرابع: مساهمات دار العلوم في الصحافة العربية. والباب الخامس: دراسة تحليلية عن أبرز المؤلفات العربية لعلماء الندوة.

ومما لا شك فيه أن الهند كانت مهد الحضارة الأولى ومراكز أنظار العالم ولا سيما العرب والأفرنج الذين نظروا إليها بعين الإعجاب والدهشة. وكان العرب متواصلين بين الهند منذ العصور العتيقة وهم من الأمم السالفة التي كانت العلاقات التجارية قائمة بينهم، وبعد طلوع الإسلام في الجزيرة العربية توطدت هذه العلاقات وانتشروا في نواحي الهند وحملوا معهم ثقافتهم ولغتهم وآدابهم، وإن القرن التاسع عشر الميلادي كان فترة ازدهار الغرب وانحطاط الشرق، لأن الإنجليز احتلوا الهند وبدأوا ينشرون ثقافتهم وعقيدتهم، كما ظهر منهم آثار التعسف والاستبداد علي الهند وخاصة نحو الأمة الإسلامية، وكانت هذه المشكلة مهددة للمسلمين، لأن لهم عقيدة خاصة

سماوية، مما جعلهم يدافعون عن الدين. وعلاوة على هذا كان الإنجليز يفتحون مدارس رسمية في كل مناطق المسلمين لتكون مكيدة وحيلة ليغرسوا في قلوب أبناء المسلمين عقيدتهم ولم يلبث أن أدرك نبهاء المسلمين خطورة الأمر .

وفي هذه الظروف الحالكة تسرب إلى الأمة الإسلامية اختلافات فرعية واشتدت الخصومات بين المسلمين لأمر تافهة ولا سيما بين المذاهب الفقهية، ولم يكن يستطيع المتخرجون من المدارس الدينية أن يردوا على شبّهات الفلسفة والإلحادية فصاروا إلى طائفتين، طائفة آمنت بالعلوم الغربية وثقافتها وأخرى آمنت بطريقة العلماء القدماء، والعلماء كأمثال السيد محمد علي المونكيري وفضيلة الشيخ مولانا أشرف علي التهانوي ومولانا ثناء الله الأمرتسري وفضيلة الشيخ مولانا خليل أحمد السهارنفوري وغيرهم فطنوا إلى هذا الوضع الأليم وتشاؤروا فأسسوا جمعية باسم "ندوة العلماء" سنة 1893 م الموافق 1311 هـ.

ولما تم تأسيس هذه الحركة الفكرية لمسوا حاجة مدرسة نموذجية فأنشأوا "دار العلوم لندوة العلماء" سنة 1898 م الموافق 1316 هـ، وشعارها الجمع "بين القديم الصالح والجديد النافع". مما صارت بذور مدرسة فكرية ثقافية إصلاحية إسلامية في الهند. وقد رفع مؤسسو دار العلوم أصواتهم لإصلاح المناهج والتعليم الدراسي واستيعاب المنهج بجمع العلوم والفنون التي تسد حاجة العصر ولهذا قدم الشيخ مشروعاً وخطة

واضحة محكمة لهذا المنهج الدراسي ومدة التعليم ،ودستورا جامعا لدار العلوم، وانضم إليها الكاتب الإسلامي المشهور العلامة شبلي النعماني الذي هو المجدد المصلح في مناهج التعليم الإسلامي، ففتحت آثار التجديد في المناهج الدراسية لدار العلوم بضم اللغة الإنجليزية رغم إنكار العلماء، فظهر منهم الخطباء والكتاب في اللغة الإنجليزية ولهم دور ملموس في الدعوة الإسلامية والإصلاحية في أنحاء العالم.

وجدير بالذكر أن ندوة العلماء معروفة بشعارها " الى الإسلام من جديد" يتمثل فيه المنهج الوسط في شؤون الدين والعلم والاجتماع والحضارة ، وكل معاهدها في الموقف المتوسط بين حركة دار العلوم ديوبند وحركة جامعة عليكرة وكلتا هما مختلفتان في نظرية التعليم. كانت دار العلوم ديوبند متمسكة بالقرآن والسنة كما كانت جامعة عليكرة تفضل العلوم العصرية، وصفه العلامة الإمام السيد أبو الحسن علي حسن الندوي فقال: "تأسست ندوة العلماء ودار العلوم على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن مناهج الدراسة خاضعة لناموس التغير والتجديد، فيجب أن يناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه ويخذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم".

تفصيلاً لما ذكرنا قامت دار العلوم ندوة العلماء بدورها البارز في الدعوة والثقافة والتربية والتعليم منذ بدئها إلى الآن، وتخرج منها في كل عام آلاف من الدعاة الإسلامية الذين أدوا واجباتهم لأمة الإسلام في الهند وخارجها كما تصدر منها الصحف والمجلات وأهمها مجلة "البعث الإسلامي" وهي مجلة إسلامية شهرية جامعة عربية تصدر عن ندوة العلماء ومؤسسها مولانا محمد الحسني في 1374هـ / 1955 م. وأخرى جريدة "جريدة الرائد" إسلامية نصف شهرية عربية وأنشأها سماحة الشيخ مولانا محمد الرابع الحسني الندوي رئيس دار العلوم سنة 1378 هـ / 1959 م تخدم كالسيف المهند على البغاة والطغاة الذين أنكروا عقيدة الإسلام ورفعت لثام المؤامرات والفساد ضد الإسلام والمسلمين.

أهم نتائج البحث

وفي الواقع تحتل ندوة العلماء مكانة مرموقة في قلوب المسلمين في الهند، ولها دور ملموس في المجتمع الهندي المسلم، وآثار رفيعة في العالم الإسلامي. تتميز دار العلوم ندوة العلماء بشعارها الخاصة "الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع".

وقد قامت ندوة العلماء في مبدأها عقيدة التوحيد الصحيحة مع محاربة أهل التحريف
والعقائد الضالة وأهل البدع والخرافات والقاديانية.

إن مناهجها الدراسية منهج مبتكر طريف وخاصة في القرآن والحديث والعلوم الشرعية
والأدب العربي، و قدوة للجامعات الأخرى في العالم العربي والإسلامي .

مجلة «البعث الإسلامي» والجريدة «الرائد» تضيئان ميدان الأدب العربي أكثر من
سائر المجالات والجرائد العربية في الهند وخارجها أدبيا وثقافيا وإسلاميا، ويصدر كل
منها المقالات حسب الظروف والمقتضيات والمناسبات .

ومكتبة شبلي النعماني مركز من مراكز العلم في العالم وهي معروفة بجهودها المكثفة
في الأدب العربي والعلوم الشرعية والأردية التي ليس لها مثل في الهند.

وفي الختام أدعو الله التقدير أن يتقبل هذا الإنجاز العلمي وينفع به طلبة العلم والأساتذة
، ويجعله ذخيرة علمية تبقى إلى الأبد، ويوفقني للاستزادة من العلوم والاستمرار في
البحوث ، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

الكتب العربية

- ابن منظور
لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو البقاء محمد علي
ندوة العلماء في الهند وجهودها في الدعوة إلى
الله تعالى، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى،
المملكة العربية السعودية، 1435 هـ.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
ندوة العلماء: مدرسة فكرية شاملة حركة علمية
ثقافية توجيهية، الأمانة العامة لندوة العلماء،
لكناؤ، الهند، 1428 هـ - 2007 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف
والإعتراف، المجمع الإسلامي العلمي، 1409 هـ
- 1989 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
ارتباط مسير الإنسانية ومصيرها بقيام المسلمين
بواجبهم ودورهم في تكوين وحدة وتوجيه دعوة،
المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند، 1416
هـ - 1996 م.

- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
اسمعي يا مصر!، المجمع الإسلامي العلمي،
لكنائ، الهند، 1410 هـ - 1990 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الإسلام والمستشرقون، المجمع الإسلامي
العلمي، لكنائ، الهند.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الإنسانية تنتظركم أيها العرب!!!، المجمع
الإسلامي العلمي، لكنائ، الهند.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل
المنقطف، مكتبة أبو الحسن علي، دهلي، الهند،
1425 هـ - 2004 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية
وصيانة الدين من التحريف، المجمع الإسلامي
العلمي، لكنائ، الهند، 1412 هـ - 1991 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
السيرة النبوية، المجمع الإسلامي العلمي، لكنائ،
الهند، 1434 هـ - 2013 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في
الأقطار الإسلامية، المجمع الإسلامي العلمي،
لكنائ، الهند، 1426 هـ.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الطريق إلى المدينة، المجمع الإسلامي العلمي،
لكنائ، الهند، 1437 هـ - 2015 م.

- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
العرب والإسلام، المجمع الإسلامي العلمي،
لكنائ، الهند، 1429 هـ - 2008 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
العرب يكتشفون أنفسهم، المجمع الإسلامي
العلمي، لكنائ، الهند، 1400 هـ - 1980 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الفتح للعرب المسلمين، المجمع الإسلامي
العلمي، لكنائ، الهند، 1410 هـ - 1990 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
القراءة الرائدة، مؤسسة الصحافة والنشر، لكنائ،
الهند.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
المدخل إلى الدراسات القرآنية، المجمع الإسلامي
العلمي، لكنائ، الهند، 1415 هـ - 1994 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف،
المجمع الإسلامي العلمي، لكنائ، الهند، 1415
هـ - 1994 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
المسلمون في الهند، دار ابن كثير، 1420 هـ.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
النبى الخاتم والدين الكامل وما لهما من أهمية
في تاريخ الأديان والملل، المجمع الإسلامي
العلمي، لكنائ، الهند، 1407 هـ - 1987 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
إلى الإسلام من جديد، المجمع الإسلامي
العلمي، لكنائ، الهند، 1435 هـ - 2014 م.

- أبو الحسن علي الحسيني الندوي بين الصورة والحقيقة، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1400 هـ - 1980 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي بين نظرتين، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1410 هـ - 1989 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر، مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية، رأي بريلي، الهند، 1420 هـ.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1418 هـ - 1998 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1410 هـ - 1990 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي حكمة الدعوة وصفة الدعاة، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1409 هـ - 1989 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي خطر للبلاد كبير ومسئولية المثقفين نحوه، مؤسسة سماحة العلامة السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي للطبع والنشر، حيدر آباد، الهند، 1433 هـ - 2012 م.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية وإسعادها، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1413 هـ - 1992 م.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجاهة، المجمع الإسلامي العلمي، 1407 هـ - 1987 م.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الثالث، الإمام السرهندي حياته وأعماله، دار الرشيد، لكاناؤ، الهند، 1436 هـ - 2014 م.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الشيخ ولي الله الدهلوي، الجزء الرابع، دار الرشيد، لكاناؤ، الهند، 1436 هـ - 2014 م.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي روائع إقبال، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1435 هـ - 2014 م.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي عاصفة يواجهها العالم الإسلامي، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1418 هـ - 1997 م.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي قصة كتاب يحكيها مؤلفه، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1413 هـ - 1993 م.

- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
قصص النبيين للأطفال - 2، مؤسسة الصحافة
والنشر، لكتاؤ، الهند، 2010 هـ - 1431 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
قصص النبيين للأطفال - 3، مؤسسة الصحافة
والنشر، لكتاؤ، الهند، 1432 هـ - 2011 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
قصص النبيين للأطفال - 4، مؤسسة الصحافة
والنشر، لكتاؤ، الهند، 1416 هـ - 1996 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية، المجمع
الإسلامي العلمي، لكتاؤ، الهند، 1412 هـ -
1991 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
كيف دخل العرب التاريخ؟، المجمع الإسلامي
العلمي، 1400 هـ - 1980 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة
العرب؟، المجمع الإسلامي العلمي، لكتاؤ، الهند،
1411 هـ - 1991 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، المجمع
الإسلامي العلمي، لكتاؤ، الهند، 1435 هـ -
2014 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي
مطالبة القرآن الإنقياد والإستسلام الكامل،
المجمع الإسلامي العلمي، لكتاؤ، الهند، 1410
هـ - 1990 م.

- أبو الحسن علي الحسيني الندوي ملة الإسلام وحضارة الإسلام، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1412 هـ - 1992 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي مواساة أم مساواة، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1411 هـ - 1990 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي نحن الآن في المغرب، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1411 هـ - 1990 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي نحو تكوين إسلامي جديد، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1410 - 1990 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي نظامان إلهيان للغلبة والانتصار، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1413 هـ - 1992 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي نظرة مؤمن واع إلى المدنيات المعاصرة الزائفة، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1413 هـ - 1992 م.
- أبو الحسن علي الحسيني الندوي وأذن في الناس بالحج، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1400 هـ - 1980 م.
- أبو الزبيران عبد الرحمن الكاشغري الندوي الزهرات، مكتبة الضياء، لكاناؤ، الهند.

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

أبو سحبان روح القدس الندوي أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، مؤسسة
القدس لخدمة الحديث وعلومه، لكاناؤ، الهند،
2011 م.

أبو سحبان روح القدس الندوي روائع الأعلام، مؤسسة القدس لخدمة الحديث
وعلومه، لكاناؤ، الهند، 2011 م.

أبو سحبان روح القدس الندوي فصل الخطاب في تفسير ثلاث سور من الكتاب
(الأعراف ويونس وهود)، مؤسسة القدس لخدمة
الحديث وعلومه، لكاناؤ، الهند، 1432 هـ -
2011 م.

أحمد رضا معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت.

اي ايچ النعماني العلامة شبلي النعماني رائد النهضة التعليمية
الحديثة، مركز الدراسات الإسلامية، لكاناؤ،
الهند، 1433 هـ - 2012 م.

حسين مؤنس الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها
وتطورها، المجلس الوطني للثقافة والفنون
والآداب، الكويت، 1978 م.

حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية، لبنان،
1987 م.

د/ أحمد شلبي

موسوعة تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية،
مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1416 هـ -
1996 م.

د/ أيوب تاج الدين الندوي

محمد الحسني حياته وآثاره، مؤسسة الفيصل
التعليمية، جمو كاشمير، الهند.

د/ جمال الدين الفاروقي وغيره

أعلام الأدب العربي في الهند، مكتبة الهدى،
كاليكوت، كيرالا، الهند، 2008 م.

د/ جمال الدين الفاروقي وغيره

أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية، مركز
جمعة الماجد، ظبي، 1434 هـ - 2013 م.

د/ سليم الرحمن خان الندوي

الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها،
المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1431
هـ - 2010 م.

د/ عبد العزيز عثمان التويجري

العالم الإسلامي والغرب: التحديات والمستقبل،
دار الرشيد للنشر والتوزيع والطباعة، لكاناؤ،
الهند، 1429 هـ - 2008 م.

الدكتور عبد المنعم النمر

تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية
للدراستات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1401
هـ - 1981 م.

راشد حسين الندوي

الفقهاء الميسر على مذهب الإمام أبي حنيفة
النعمان، مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

لإحياء المعارف الإسلامية، لكاناؤ، الهند، 1437 هـ.

الدعوة الإسلامية منجزات - مشكلات - طرق
المعالجة، مكتبة الفردوس، لكاناؤ، الهند، 1428 هـ - 2007 م.

محاضرات في فن التدريس، مكتبة الفردوس،
لكاناؤ، الهند، 1435 هـ - 2014 م.

شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض، مكتبة
الصفاء، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،
1430 هـ - 2009 م.

مقدمة المحدث الجليل الشيخ عبد الحق
الدهلوي في أصول الحديث، مؤسسة الصحافة
والنشر، لكاناؤ، الهند، 1436 هـ - 2014 م.

الهند في العهد الإسلامي (جنة المشرق ومطلع
النور المشرق)، مجمع الإمام أحمد بن عرفان
الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية، لكاناؤ، الهند،
1436 هـ - 2014 م.

الهند في العهد الإسلامي، دار عرفات، الهند،
1422 هـ - 2001 م.

سعيد الأعظم الندوي

سعيد الأعظم الندوي

سعيد الأعظمي الندوي

سلمان الحسيني الندوي

عبد الحي بن فخر الدين الحسني

عبد الحي بن فخر الدين الحسني

عبد الحي بن فخر الدين الحسيني نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار بن حزم، بيروت، لبنان.

عمر فروخ تاريخ الأدب العربي، دار النشر ودار القلم للملايين، بيروت، لبنان.

محمد إجتباء الندوي أبو الحسن علي الحسيني الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، دار القلم، دمشق.

محمد أكرم الندوي السيد سليمان الندوي أمير علماء الهندي في عصره، دار القلم، دمشق، 1422 هـ - 2001 م.

محمد أكرم الندوي شبلي النعماني علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأريب، دار القلم، دمشق.

محمد الرابع الحسيني الندوي الأدب العربي بين عرض ونقد، مؤسسة الصحافة والنشر، لكهنؤ، الهند، 1438 هـ - 2017 م.

محمد الرابع الحسيني الندوي العالم الإسلامي اليوم قضايا وحلول، المجمع الإسلامي العلمي، لكانؤ، الهند، 1432 هـ - 2011 م.

محمد الرابع الحسيني الندوي تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، لكانؤ، الهند، 1436 هـ - 2015 م.

محمد الرابع الحسني الندوي جهود إصلاح العقيدة وأبعادها في التاريخ الإسلامي والعهد الأخير في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1437 هـ - 2016 م.

محمد الرابع الحسني الندوي قيمة الأمة الإسلامية منجزاتها وواقعها المعاصر، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1435 هـ - 2014 م.

محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي مهذب رحلة ابن بطوطة، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1933م.

محمد حماد الكريمي الندوي الأستاذ عبد الباري الندوي في ضوء حياته وخدماته، مكتبة الحمد العلمية، مظفر بور، بيهار، الهند، 1435 هـ - 2014 م.

محمد سعيد الله الندوي دور النادي العربي في بناء الشخصية، مكتبة إحسان، لكاناؤ، الهند، 2016 م.

محمد فرمان الندوي مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند، 1438 هـ - 2017 م.

محمد واضح رشيد الحسن الندوي حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، المجمع الإسلامي العلمي، لكاناؤ، الهند.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي أدب الصحوة الإسلامية، دار الرشيد، لكاناؤ،
الهند، 1430 هـ - 2009 م.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي الشيخ أبو الحسن الندوي قائداً حكيماً، دار
الرشيد، لكاناؤ، الهند، 1433 هـ - 2012 م.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن
علي الحسني الندوي، رابطة الأدب الإسلامي
العالمية، لكاناؤ، الهند، 1425 هـ - 2004 م.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي إلى نظام عامي جديد، المجمع الإسلامي
العلمي، لكاناؤ، الهند، 1433 هـ - 2012 م.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي تاريخ الثقافة الإسلامية، دار الرشيد، لكاناؤ،
الهند، 1430 هـ - 2009 م.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي مصادر الأدب العربي، دار الرشيد، لكاناؤ، الهند،
1434 هـ - 2012 م.

مسعود الندوي تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، دار العربية،
بيروت.

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة، تصدرها: مؤسسة

الصحافة والنشر، لكناؤ، الهند. العدد الثامن،

المجلد الرابع والستون، ربيع الأول 1440 هـ -

ديسمبر 2018 م، مؤسس الصحافة والنشر،

لكهناؤ، الهند.

العدد الأول، المجلد 62، شعبان، رمضان

1437 هـ - أبريل 2016 م.

العدد الأول، المجلد 63، رجب - شعبان 1438

هـ - أبريل - مايو 2017 م.

العدد الأول، المجلد 64، شعبان 1439 هـ -

مايو 2018 م.

العدد الأول، المجلد الخامس والستون، جمادى

الأخرى ورجب، 1440 هـ - مارس وأبريل

2019 م، مؤسس الصحافة والنشر، لكهنأؤ،

الهند.

العدد التاسع، المجلد 60، جمادى الأولى 1436

هـ - مارس 2015 م.

العدد التاسع، المجلد 63، جمادى الثانية 1429

هـ - مارس 2018 م.

العدد الثالث، المجلد 62، ذو القعدة 1438 هـ

- يوليو 2016 م.

العدد الثالث، المجلد 63، شوال، ذو القعدة

1438 هـ - يوليو 2017 م.

العدد الثالث، المجلد 64، شوال 1439 هـ

- يوليو 2018 م.

العدد الثامن، المجلد 62، ربيع الثاني 1438 هـ

- يناير 2017 م.

العدد الثامن، المجلد 63، ربيع الثاني، جماد

الأولى 1439 هـ - يناير، فبراير 2018 م.

العدد الثاني، المجلد 62، شوال 1437 هـ

- مايو، يونيو 2016 م.
العدد الثاني، المجلد 63، رمضان 1438 هـ
- يونيو 2017 م.
العدد الثاني، المجلد 64، رمضان 1436 هـ
- يونيو 2018 م.
العدد الخامس، المجلد 62، محرم 1438 هـ
- أكتوبر 2016 م.
العدد الخامس، المجلد 63، محرم 1439 هـ
- أكتوبر 2017 م.
العدد الرابع، المجلد 62، ذو الحجة 1437 هـ
- أغسطس، سبتمبر 2016 م.
العدد الرابع، المجلد 63، ذو الحجة 1438 هـ
- أغسطس وديسمبر 2017 م.
العدد السابع، المجلد 60، ربيع الأول 1436 هـ
- يناير 2015 م.
العدد السابع، المجلد 62، ربيع الأول 1438 هـ
- ديسمبر 2016 م.

العدد السابع، المجلد 63، ربيع الأول 1439

- ديسمبر 2017 م.

العدد السابع، المجلد 64، صفر 1440 هـ

- نوفمبر 2018 م.

العدد السادس، المجلد 62، صفر 1438 هـ

- نوفمبر 2016 م.

العدد السادس، المجلد 63، محرم - صفر

1439 هـ - أكتوبر - نوفمبر 2017 م.

العدد السادس، المجلد 64، محرم 1440 هـ

- أكتوبر - نوفمبر 2018 م.

العدد العاشر، المجلد جمادى الأولى 1440 هـ

- فبراير 2019 م.

العدد العاشر، المجلد 61، جمادى الثانية، رجب

1437 هـ - مارس 2016 م.

العدد العاشر، المجلد 62، جمادى الآخرة

1438 هـ - مارس 2017 م.

العدد العاشر، المجلد 63، رجب 1439 هـ -

الرائد

إسلامية نصف شهرية، تصدر عن مؤسسة

الصحافة والنشر لندوة العلماء لكاناؤ، الهند.

السنة-60، العدد 11، 22 ربيع الأول،

1440هـ، لكاناؤ، الهند.

عدد خاص عن المهرجان، الأعداد 10، 11،

12، 10 -26 ذي القعدة وذي الحجة 1395 هـ

- 16 نوفمبر و 1 -16 ديسمبر 1975 م.

السنة 58، العدد 14، 17 ربيع الآخر 1438هـ.

السنة 58، العدد 20، 19 رجب 1438 هـ.

السنة 58، العدد 21، 4 شعبان 1438 هـ.

السنة 59، العدد 1، 6 شوال 1438 هـ.

السنة 59، العدد 12، 26 ربيع الأول 1439 هـ.

السنة 59، العدد 14، 28 ربيع الآخر 1439 هـ.

السنة 59، العدد 19، 15 رجب 1439 هـ.

السنة 59، العدد 2، 22 شوال 1438 هـ.

السنة 59، العدد 5، 9 ذي الحجة 1438 هـ.

السنة 59، العدد 6، 24 ذي الحجة 1438 هـ.

السنة 59، العدد 8، 25 محرم 1439 هـ.

السنة 59، العددان 10 - 11، 26 صفر و ربيع الأول 1439 هـ.

السنة 59، العددان 17 - 18، 12 و 29 جمادى الآخرة 1439 هـ.

السنة 59، العددان 23 - 24، رمضان وشوال 1439 هـ.

السنة 60، العدد 12، 8 ربيع الآخر 1440 هـ.

السنة 60، العدد 5، 20 ذي الحجة 1439 هـ.

السنة 60، العدد 6، 5 محرم 1440 هـ.

بدر الدجي 1435 هـ الموافق 2014 م،

دار العلوم لندوة العلماء، لكاناؤ، الهند.

